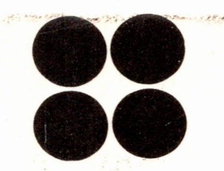


المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

الماركسيّة وحربُ العِصابات

تأليف مجموعة من المفكرين الماركسيّين

ترجمة : ماهر الكيالي ابراهيم العابد

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

بناية برج الكارلتون . ساقية الجنزير . ت ٨٠٧٩٠٠/١
برقياً . موكيالي بيروت . ص.ب: ١١/٥٤٦٠ بيروت

الطبعة الثالثة

١٩٨٦

الماركسية وحرب العصابات

الماركسيّة وحرب العصابات

ماركس . انجلز . لينين . ماوتسي تونغ

لين بياو . تيتو . غياب . غيفارا . دوبريه

ترجمة

ابراهيم العابد و ماهر كيّالي

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

مقدمة الناشر

تواجه أمتنـــا العربية في المرحلة الراهنة حملة استعمارية صهيونية شرسة تستهدف اخضاعها للهيمنة الامبريالية والسيطرة الصهيونية لعشرات السنين عن طريق الحفاظ على التخلف والتجزئة وإشاعة روح الاستسلام واليأس والتبعية في صفوف شعبنا . ومن هنا كان للمعركة أثرها التاريخي الحاسم على الأجيـال العربية القادمة ومستقبل الأمـــة العربية كوحدة حضارية وبالتالي كان علينا جميعاً أن نعي طبيعة المعركة التي نخوضها وأن نسعى الى إرساء دعائم نضالنا على أسس ثابتة وراسخة بغية تحقيق الصمود واحقاق النصر .

ولقد أصبح من الواضح الجلي ان الشعوب المتخلفة لا تقـــوى على مجابهة عدوها الاستعماري المتفوق عليها تكنولوجياً عن طريق المواجهة العسكرية المباشرة . كما بات من المعروف ان طبيعة العلاقـــات والمواجهات الدولية في في العصر النووي قد أغلقت سبل اعتماد الدول المتخلفة على الدول التقدمية الكبرى في نضالها من أجل التحرير . ان سبيل الشعوب المتخلفة الوحيد الى التحرير هو سبيل الاعتماد على الذات وخوض الكفـــاح المسلح وشن حروب العصابات وحروب التحرير الشعبية الطويلة النفس .

وعلى الرغم من أن الاحتـــلال الصهيوني الاستعماري لفلسطين والأراضي المجاورة يشكل حالة فريدة من نوعها فإن الاطلاع على تجارب الامم الاخرى التي خاضت حروب العصابات وحروب التحرير الشعبية ضرورة لا بد منهـــا

لتوسيع آفاقنا الفكرية والنضـــالية العملية ولتعميق فهمنا لطبيعة المعركة وقوانين حركتها .

والواقع هو أن الماركسية قد أولت حروب العصابات وحروب التحرير اهتماماً خاصاً انطلاقاً من فهمها للظواهر والتناقضات الاجتماعية والاقتصادية ومن خلال بحثها عن أساليب تجنيد الطاقات الثورية في المجتمع لتحقيق أهـــداف الطبقات المضطهدة . ويتضح من القراءات التاريخية المثبتة في هذا الكتاب ان الحركات التاريخية تبحث عن إمكانيات وسبل العمل في ظل أصعب الظروف الأمر الذي يشكل حكماً قاسياً على جميع الحركات « الثورية » ولا سيما الحركات الشيوعية التي تخلفت عن خوض الكفاح المسلح في سبيل تحرير الأرض العربية المحتلة والمغتصبة .

ان الانفتاح على الظواهر والتجارب الكفاحية العالمية يشكل ظاهرة ثورية صحية نظراً لفائدة الانفتاح على الصعيدين النظري والعملي ونظراً لما يمثله هذا الانفتاح من إدراك لوحدة قضية الشعوب المضطهدة ضد الاحتـــلال والتمييز والاستغلال الاستعماري .

الباب الأول

خلفية تاريخية



فن الثورة المسلحة

كارل ماركس وفردريك انجلز

أصبحت الثورة المسلحة الآن فناً كالحرب أو أي فن آخر ، وهي تخضع لقوانين معينة اذا اهملت تؤدي الى تدمير القائمين بالثورة . هذه القوانين ، وهي استنتاجات منطقية مستمدة من طبيعة الفرقاء والظروف التي نواجهها ، بسيطة وواضحة لدرجة جعلت الالمان يعرفونها تماماً من خلال تجربة عام ١٨٤٨ القصيرة . أولاً ، لا تحاول أبداً القيام بعصيان مسلح إلا إذا كنت مستعداً تماماً لمواجهة عواقب محاولتك . فالقوى التي تواجهك متفوقة عليك بتنظيمها وانضباطها وتسلطها ، واذا لم يكن لديك القوة فسوف تنهزم وتتحطم. ثانياً ، على الثائر ، أن يظهر تصميماً عظيماً في ثورته وأن يتخذ جانب الهجوم. الدفاع هو موت كل ثورة أو انتفاضة مسلحة . على الثوار مفاجأة أعدائهم عندما تكون قواتهم مبعثرة ، وعليهم تحقيق انتصارات جديدة ويومية مهما كانت صغيرة ، وعليهم المحافظة على تصاعد معنوياتهم التي اعطتهم أياها أول انتفاضة ناجحة ، أن يستقطبوا العناصر التي تقف الى جانب القوي والذين يتخذون الجانب الأكثر أماناً ، وعليهم اجبار أعدائهم على التراجع قبل أن يستطيعوا تجميع قواتهم ضد الثوار .

حرب العصابات في اسبانيا

كارل ماركس

كان الجيش الاسباني ، رغم هزائمه المتعددة ، يظهر في كل مكان . وقد تبعثر هذا الجيش أكثر من عشرين مرة لكنة كان دائماً على استعداد لتكوين جبهة في وجه العدو، وغالباً ما كان يعود للظهور بعد الهزيمة بشكل أقوى مما كان عليه قبلها . كانت هزيمتهم لا تجدي العدو نفعاً لكنهم كانوا يسارعون الى الهرب وبالتالي تكون خسائرهم بسيطة ، ولم يعيروا خسارتهم لميدان أو موقع أي اهتمام . كانوا بعد كل هزيمة يتراجعون بشكل غير منظم الى الأدغال حيث يعيدون تجميع أنفسهم والظهور بتعزيزات جديدة حيث لا يتوقعهم أحد . وكانوا قادرين على إشغال الجيوش الفرنسية بصورة دائمة وإجبارهم على بعثرة قواتهم .

كانت معركة أوكانا في ١٩ تشرين الثاني ١٨٠٩ آخر معركة كبيرة نظامية خاضها الاسبان، وكانت نتيجتها وبالاً عليهم. منذ ذلك التاريخ اكتفى الاسبان بحرب العصابات . ان التخلي عن الحرب النظامية يثبت اختفاء مراكز الحكومة الوطنية أمام المراكز المحلية. عندما أصبحت مصائب الجيش النظامي منتظمة،

أصبح ظهور الفدائيين أمراً عاماً ، وانهمك الشعب كله في انتصارات أبطاله المحلية متناسياً الهزائم الوطنية وقد شاركت الحكومة المركزية الشعب اهتمامه هذا لدرجة انها طلبت تفاصيل عن عملية فدائيـــة أكبر مما طلبته عن معركة أوكانا .

يمكن تمييز ثلاث حقب في تاريخ حرب العصـــابات الاسبانية . في الحقبة الأولى حمل سكان المقاطعات السلاح وشنوا حرب أنصار . في الحقبة الثانية ، قامت عصابات الفدائيين من بقايا الجيوش الاسبانية ومن الاسبان الذين فروا من الجيوش الفرنسية ومن المهربين الخ، قامت هذه العصابات بشن حربها الخاصة، المستقلة عن كل تأثير أجنبي، وفقاً لمصالحها الذاتية وذلك نظراً لطبيعة تكوينها. وفي هذه الحقبة ، لم يؤلف الفدائيـــون ، أفراد هذه المنظمات جسماً بارزاً ، لكنهم كانوا يشكلون خطراً كبيراً على الفرنسيين . كانوا يؤلفون أساساً جيداً للتسلنح الشعبي . وكانوا يقومون بعملياتهم ثم يتفرقون ويذهب كل فدائي في سبيله بعد إتمام العمليات . وكان الفـــلاحون منهم يعودون للعمل في حقولهم دون أن يلاحظ أحد غيابهم عنها . وهكذا كان الفدائيون يسدون كل طرق المواصلات . كانوا يخطفون كل مراسل يرسله الجيش الفرنسي ويستولون على كل الامدادات ، وباختصار كانت كل حركة يقوم بها الفرنسيون تراقبها مئة عين . وفي الوقت نفسه لم يجد الفرنسيون وسيلة لضرب جذور هذا التجمع الفدائي . كان الفرنسيون مضطرين لحمل سلاحهم دائمـــاً ضد عدو يهرب باستمر ويعود للظهور دائماً ، عدو في كل مكان لكن لا يمكنهم رؤيته ، وكانت الجبال تشكل ستائر يختفي وراءها الفدائيون .

في الحقبة الثالثة قلد الفدائيون الجيش النظامي، فزادوا عدد قواتهم من ٣٠٠٠ الى ٦٠٠٠ رجل ولكنهم وقعوا في قبضة زعماء قلائل استغلوهم لأهدافهم الخاصة هذا التغيير في تنظيم الفدائيين أعطى الفرنسيين تفوقاً واضحاً عليهم . فان عدد

الفدائيين الضخم جعلهم غير قادرين على التنكر وعلى الاختفاء بدون أن يجبروا على خوض معارك مع الجيش ، كما كانوا يفعلون في الحقبة الثانية . وهكذا تمكن الجيش الفرنسي من اجتيـــاح الفدائيين الاسبان وهزمهم وبعثرتهم وتعطيلهم لفترة طويلة .

فإذا نظرنا الى حقب حرب العصابات الاسبانية الثلاث من خلال التاريخ السياسي لاسبانيا نجد ان هذه الحقب تمثل تصاعد مقدرة الحكومة على اضعاف الروح الثورية عند الشعب . بدأت حرب العصابات بانتفاضات شعبية شاملة ثم انحصرت في جماعات صغيرة كانت دائماً مهددة بالتحول الى عصابات خارجة على القانون أو إلى أفواج نظامية .

حول حرب العصابات

فريدريك انجلز

لقد تغيرت طبيعة الحرب الفرنسية ـ البروسية (الالمانية) خلال السنوات الست الماضية . فقد اختفت الجيوش الفرنسية النظـامية . وتشترك في الحرب الآن جيوش مؤلفة حديثاً وعديمة الخبرة مما يجعلها أقرب الى الجيوش النظامية . وقد هزمت هذه الجيوش في كل معركة مواجهة خاضتها ، لكنها حين قاتلت في القرى والمدن خلف المتاريس والحواجز أظهرت مقدرة كبيرة على المقاومة . كما أن الحكومة تشجعهم على القتال بأسلوب العصابات وخاصة الهجمات الليلية المفاجئة ، وتدعو السكان في كل المناطق الى تقديم كل مساعدة ممكنة لهم .

لو كان العدو يملك قوات نظامية كافية لاحتلال فرنسا كلها لاستطاع القضاء على المقاومة بسهولة. لم يعد باستطاعة الالمان دخول القرى والمدن والقاء القبض على الناس بسهولة لأنهم أصبحوا يتعرضون للخطف أو الاغتيـــال . كذلك أصبحت قوافل التموين تتطلب حراسة الجنود ، وأصبحت القوات المرابطة في القرى معرضة لهجمات ليلية ، واذا انتقلت من مكانها تتعرض لضربات من الخلف. أصبحت المواقع الألمانية محاصرة بحزام من المناطق المتنازع عليها ، وفي هــذه المناطق بالذات كانت المقاومة الشعبية تقلق الألمان .

ولجأ الألمان في محاولتهم القضاء على المقـــاومة الشعبية الى تطبيق قانون عسكري وحشي وبربري . وينص هذا القانون على احراق كل قرية أو بلدة اشترك فرد أو اثنان من أبنائهـــا في اطلاق النار على الجنود الألمان أو ساعد الفرنسيين بشكل عام ، كذلك ينص القانون على قتل كل فرد يضبط وهو ينقل سلاحاً ، يستثنى من ذلك الجنود النظاميون . كذلك إذا كان هناك عدد كبير من سكان القرية يحملون السلاح يجري تجميع كل الرجال القادرين على حمل السلاح وقتلهم فوراً. وقد طبق الألمان فعلاً هذا القانون وبرروه بأنه «عدالة عسكرية» وبأن منفذيه « جنود شرفاء يعدمون قتلة وقطاع طرق جبناء » . انِ كل أمة تستسلم لأن جيوشها لم تستطع المقـــاومة لهي أمة جبناء تستحق كل احتقار . وكل أمة شنت حرب عصابات ضد الغزاة انتصرت ، ومن الأمثلة على ذلـــك هزيمة الانكليز في أميركا ، وهزيمـــة نابليون في اسبانيا وهزيمة النمساويين في ايطاليا والمجر .

كوميون باريس[1]

كارل ماركس

استسلم معظم الجيش الفرنسي وامبراطور فرنسا الى البروسيين (الالمان) في سيدان في ٢ أيلول ١٨٧٠ . وبعد يومين من الاستسلام أعلنت الجمهورية في فرنسا وتم إقامة حكومة تدعى حكومة الدفاع المدني مقرها فرساي ويرئسها « ثيير » وتتألف من الاقطاعيين والملاكين . أمـا في باريس التي كانت الجيوش البروسية على أبوابها ، فقد قـام الحرس الوطني (معظم أفراده من العمال) بمحاولتين فاشلتين لإسقاط تلك الحكومة ومنع استسلام باريس . وبعـد ان أرسل « ثيير » جيشه لتجريد الحرس الوطني من السلاح ، ثار عمال باريس في ١٨ آذار ١٨٧١ وأعلنوا قيـام الكوميون على أن تكون اللجنـة المركزية للحزب الوطني حكومته المؤقتة . لكن ثيير استطاع بمساعدة الخونة ، دخول باريس في ٢١ أيار ١٨٧١ والقضاء على الكوميون بعد ثمانية أيام من المقـاومة البطولية لأبناء باريس التي لم تنته إلا بعد مذابح وحشية .

---

(١) كوميون باريس : لجنة ثورية الفت حكومة اشتراكية في باريس من ١٨ آذار الى ٢٧ أيار عام ١٨٧١ .

لن تحاول الثورة الفرنسية بعد اليوم نقل الجهاز البيروقراطي العسكري من يد إلى أخرى ، بل انها ستسحق هذا الجهاز ، وهذا أمر ضروري لكل ثورة شعبية حقيقية . وهذا ما يحاول القيام به الآن رفاق حزبنا الأبطال في باريس. تضحية الباريسيين وصلابتهم ومبادرتهم التاريخية لا مثيل لها . انهم يثورون تحت حراب البروسيين وبعد ستة أشهر من الجوع والدمار وكأنه لم تقع حرب بين فرنسا والمانيا وكأن الألمان ليسوا على أبواب باريس . إذا هزموا فالسبب في ذلك هو « طبيعتهم الطيبة » . كان عليهم أن يزحفوا إلى فرساي بعد تراجع الحكومة و « حرس باريس الوطني » الرجعي . لقد ضاعت اللحظة المناسبة بسبب تردد أصحاب الضمائر . كانوا لا يريدون إشعال حرب أهلية ولم يروا أن « تيير » بدأ حرباً أهلية حين أرسل جنوده لتجريد باريس من السلاح . الخطأ الثاني الذي ارتكبه الرفاق هو أن اللجنة المركزية تسرعت في التخلي عن سلطتها وذلك لإقامة الكوميون . وهذا أيضاً نتيجة الضمائر « الشريفة » .

فن حرب المتاريس

فردريك انجلز

بعد اعطاء حرية الانتخاب لكل المواطنين برز شكل جديد لنضال الطبقة العاملة ، فقد اتضح ان مؤسسات الدولة التي يحكم البورجوازيون من خلالهـــا تعطي فرصاً للطبقة العاملة لمحاربة هذه المؤسسات نفسها . ورشح أبناء الطبقة العاملة أنفسهم لكل المناصب وزاحموا البورجوازيين على كل منصب . وهكذا أصبح البورجوازيون والحكومة يخـــافون من كل عمل قانوني أكثر بكثير من خوفهم من أي عمل غير قانوني تقوم به الطبقة العـــاملة ، وأصبحوا يخشون نتائج الانتخابات أكثر من خشيتهم نتائج الثورة .

يجب ألا نخدع أنفسنا ، ان انتصار الثورة على الجيش في حرب الشوارع ؛ على النحو الذي يحدث عند انتصار جيش على آخر ، لهو من الأمور النادرة . لكن الثوار في الواقع لا يأملون بالانتصـــار في حرب الشوارع . ان حرب الشوارع بالنسبة لهم وسيلة لجعل الجنود يخضعون لتأثيرات أخلاقية . فإذا نجح الثوار في إخضاع الجنود لتأثيرات أخـــلاقية يمتنع الجنود عن مقاتلتهم وقد ينقلبون على قادتهم وتنتصر الثورة . أما إذا فشلوا في إخضاع الجنود لتأثيرات أخلاقية ، فإن الجيش بتفوقه العسكري وخاصة في مجالي التسليح والتدريب

سيتفوق حتماً على الثوار . إن أقصى ما يمكن للثوار تحقيقه في مجال التكتيك الفعلي هو إقـــامة حاجز أو متراس واحد والدفاع عنه . ولكن من الصعب الدفاع عن حي في مدينة ، دع عنك الدفاع عن المدينة كلهـــا . كذلك فإن تجميع القوات في نقطة حاسمة أمر مستحيل ، وبالتالي فإن الدفاع السلبي هو شكل القتال الشائع . ويقتصر هجوم الثوار على احتلال مواقع يخليها الجنود المتراجعون . وبالإضافة الى ذلك فإن لدى الجيش مدفعية وسلاح هندسة جاهز التسليح وأجهزة حربية أخرى لا يملكها الثوار . فلا عجب إذا رأينا ان أعظم معارك المتاريس بطولة انتهت بهزيمة الثوار في اللحظة التي تخلى فيها قادة الثورة عن الاعتبارات السياسية وتصرفوا بناء على وجهة نظر عسكرية بحتة ، ومثال ذلك ، حدث في باريس في حزيران ١٨٤٨ ، وفيينا في تشرين الأول ١٧٤٨ ودرسدن في أيار ١٨٤٩ .

ان النجاحات العديدة للثورات المسلحة حتى عام ١٧٤٨ تعود الى أسباب مختلفة . في باريس في تموز ١٨٣٠ وشباط ١٨٤٨، كما في معظم حروب الشوارع الاسبانية ، كانت تقف المليشيا الشعبية بين الثوار والجيش، وكانت هذه المليشيا تؤيد الثوار تأييداً مباشراً أو تأخذ موقفاً متردداً منهم ممـــا يدفع الجيش الى اتخاذ موقف متردد أيضاً . لكن عندما عارض الحرس الشعبي الثوار، كما حدث في باريس في حزيران ١٨٤٨ ، تم اخماد الثورة .

أما في برلين فقد انتصر الشعب عام ١٨٤٨ بسبب تزايد عدد القوات المقاتلة ليلاً ، وبسبب إرهاق الجنود ، وأخيراً بسبب شلل قيادة الجيش . لكن في كل الحالات انتصر الثوار لأن الجنود رفضوا إطاعة الأوامر ، ولأن الضباط فقدوا سلطتهم على اتخاذ القرارات أو لأن أيديهم كانت مقيدة .

وهكذا نرى انه حتى في اوج حروب الشوارع كان للمتراس أثر معنوي أو أخلاقي أكثر منه أثر مـــادي . وعندما كان المتراس قادراً على الصمود لحين

احداث الأثر المعنوي ، كان يربح المعركة ، وحين لم يصمد لتلك اللحظة كان ينهزم . هذه هي النقطة الرئيسية التي يجب ان يدركها ويذكرها كل من يخوض حرب شوارع في المستقبل .

كانت فرص نجاح ثورة ١٨٤٩ ضعيفة . فقد القي البورجوازيون في كل مكان ثقلهم وراء الحكومات ، وهللوا لتحرك الجيش ضد الثـــوار . وزال سحر المتراس لأن الجنـــدي لم يعد يرى « الشعب » خلفه ، بل أصبح يرى خلفه المتمردين والمخربين واللصوص وحثالة المجتمع ، كما ان الضباط تعلموا فنون حرب الشوارع وأقلعوا عن مهاجمة المتراس من الأمام ثم أصبحوا يهاجمونه من البيوت والحدائق المحيطة .

منذ ذلك التاريخ طرأت تغييرات كثيرة كلها في صالح العسكريين . ومع ان المدن كبرت فإن الجيوش كبرت ايضاً . فقد كبرت باريس وبرلين أربعة أضعاف ما كانت عليه إلا أن حاميتيهما كبرتا أكثر من أربعة أضعاف . ويمكن بواسطة القطارات مضاعفة حجم الحاميات خـــلال ٢٤ ساعة ، وزيادتها الى جيوش كبيرة ٤٨ ساعة . وأصبح السلاح الذي يملكه الجيش أكثر دقة وأبعد مدى وأقوى نيراناً . كما ان بإمكان بضعة قذائف مدفع تدمير أفضل متراس ، حـــالياً .

ومن ناحية أخرى ، زاد شكل ظروف الثورات سوءاً . أصبح من الصعب حدوث تمرد مسلح أو ثورة تتعاطف معها كل فئات الشعب ، لن تلتف فئات الطبقة الوسطى في الصراع الطبقي ، حول الطبقة العاملة . لذلك فإن «الشعب» سوف يكون دائماً منقسماً على نفسه . وحتى اذا انضم عدد كبير من الجنود إلى الثوار فإن مسألة تسليحهم تصبح أكثر صعوبة كما ان الاستيلاء على بنـــادق الصيد من محلات بيع السلاح أو حتى على بنادق حربية من مخافر الشرطة لم يعد كافياً . في الماضي كان يمكن صنع الذخيرة من البارود والرصاص في المنازل .

أما اليوم فإن ذخيرة كل بندقية تختلف عن الأخرى مما يجعل الذخيرة انتاجاً صناعياً لا يمكن صنعه محلياً خلال وقت قصير ، وبالتـــالي فإن البنادق عديمة الفائدة إذا لم تكن معها ذخيرتها الخاصة بهـــا . وأخيراً ، فإن شوارع المدن الحديثة طويلة وعريضة مما يجعل البنادق والمدافع فعـالة في حرب الشوارع . هل يعني هـــذا انه لن يكون لحرب الشوارع دور في المستقبل ؟ طبعاً لا . لكنه يعني فقط ان الظروف أصبحت منذ عام ١٨٤٨ في صـالح العسكريين أكثر بكثير مما هي في صالح الثوار . ويمكن إذاً أن تنتصر حرب الشوارع في المستقبل إذا تم تعديل هذه الحالة السيئة بواسطة عوامل أخرى . وبالتالي فإن الثورات المسلحة تحتاج الى عدد أكبر من المسلحين وتحدث عادة أثنـــاء ثورة عظيمة وليس في بدايتهـا . لكن إذا كانت هناك ثورة عظيمة وعدد كبير من الثوار المسلحين فقد يفضل هؤلاء الهجوم العلني العام على فن المتراس السلبي كما حدث في الثورة الفرنسية العظمى وكذلك في حركتي ٤ أيلول و ٣١ تشرين الاول ١٨٧٠ ، في باريس .

لقد مضى الى غير رجعة أوان الثورات التي يقوم بهـــا قلة من الأشخاص الواعين على رأس جماهير غير واعية . فحين تكون القضية قضية تغيير تام في التنظيم الاجتماعي ، على الجماهير نفسها أن تشارك في هذا التحول ، وعليها أيضاً أن تعي خطورة الأمر وأن تعرف لماذا هي تقاتل روحاً وجسداً . لكن افهام الجماهير ماذا يتوجب عمله يتطلب جهوداً كبيرة وعملاً متواصلاً من جانب القلة الطليعية الواعية .

دروس من انتفاضة موسكو المسلحة

ف. لينـين

إن نشر كتـاب « موسكو في كانون الأول ١٩٠٥ » (موسكو ١٩٠٦) قد جاء في توقيته مناسباً تماماً. وإنها لمهمة ملحة أن يتمثل عمال الحزب دروس انتفاضة كانون الأول . ومن سوء الحظ أن هذا الكتاب أشبه شيء ببرميل عسل أفسدته ملعقة من الزفت ، فمعظمه مادة شائقة – بغض النظر عن عدم كمالها – وهو مهمل إلى حد لا يصدق ويتضمن نتائج مبتذلة جداً . وهذه النتائج سوف نعالجها في مناسبة أخرى ، وأما الآن فإننا سنلتفت إلى المسألة السياسية الملتهبة في يومنا هذا ، إلى دروس انتفاضة موسكو .

إن الأشكال الرئيسيـة لحركة كانون الأول في موسكو كانت الإضراب السلمي والمظاهرات ، وهذه كانت الأشكال الوحيدة للنضال التي شاركت فيها الاغلبية الساحقة من العمال ، بشكل نشيط . ومع ذلك فإن حركة كانون الأول في موسكو قد أظهرت بوضوح أن الإضراب العام ، كشكل صراع مستقـل وسائد ، ليس عصرياً ، وان الحركة أخذت بالبروز من خـلال هذه القيود الضيقة بقوة لا تقاوم مسببة أعلى أشكال الصراع – الانتفاضة المسلحة .

وفي الدعوة للإضراب أدركت جميع الأحزاب الثورية وجميع نقـــابات موسكو وشعرت بحدسها أن الاضراب يجب أن يأخذ شكل عصيان مسلح . وفي السادس من كانون الأول قرر ممثـلو مجلس العمال « النضال لدفع الأحزاب نحو العصيان المسلح » . ومهما يكن من أمر فإن الحقيقة هي ان أياً من المنظمات لم تكن مهيأة لذلك . وحتى «المجلس المشترك لفرقة المقاتلين المتطوعين » تحدث عن الانتفاضة (٩ كانون الأول) كشيء منعزل . ومن الواضح تماماً انـــه لم يكن له يد أو سيطرة على قتال الشوارع الذي جرى . لقد فشلت المنظمات في مجاراة نمو واتساع الحركة .

كان الاضراب آخذاً في التطور نحو عصيان مسلح . وهذا يعود ، بصورة أساسية ، إلى ضغط الظروف الموضوعية التي وجدت بعـد تشرين الأول . ان الاضراب العام لا يستطيع أن يصرف انتبـــاه الحكومة ، فهي قد نظمت مسبقاً قوات الثورة المضادة ، وكانت هذه القوات مستعدة لعمل عسكري . إن المسار الشامل للثورة الروسية بعـــد تشرين الأول وتعاقب الأحداث في موسكو في أيام تشرين الأول قد أثبتت بوضوح أحد افتراضات ماركس القوية: إن الثورة تنجح عندما تحدث ثورة مضادة قوية ومتحدة، أي انها تجبر العدو على اللجوء الى إجراءات أشد تطرفاً في الدفاع وبهذه الطريقة توقـظ طرفاً أقوى بكثير في الهجوم .

السابع والثامن من كانون الأول : إضراب سلمي، مظاهرة جماهيرية سلمية. مساء الثامن من الشهر : حصار « الاكويريوم » ، صباح التاسع : يهاجم الحشود المجتمعة في ساحة ستراسنايا جنود الفرسان . وفي المساء يتعرض للهجوم مبنى « الفيدلر » . التوتر يزداد . في الشوارع، الحشود غير المنتظمة والعفوية المترددة تقيم أول حاجز .

في العاشر من الشهر : تُصوب نيران المدفعية نحو الحواجز والحشـــود في

الشوارع . تنصب الحواجز بترو أكثر وليس بشـــكل منفصل ، ولكن على نطاق واسع جـــداً . جميع السكان في الشوارع ، جميع المراكز الرئيسية في المدينة مغطاة بشبكة من الحواجز ، ولعدة أيام تشن وحدات القتال المتطوعة معارك عصابات قوية ضد الطوابير مما أرهق القوات وأجبر دوباسوف (الحاكم العام العسكري في موسكو) على طلب التعزيزات . ولم تصبح هيمنة الحكومة كاملة إلا في الخامس عشر من كانون الأول . وفي السابع عشر من كانون الأول قام فوج سيميونوفسكي بحق مقاطعة برسنايا آخر معقل للعصيان .

لقد تطورت الأمور من إضراب ومظاهرات إلى حواجز منعزلة ، ومـن الحواجز المنعزلة إلى إقامة الحواجز بأعداد كثيرة وخوض قتال الشوارع ضد الطوابير . ثم تطور النضال البروليتاري الجماهيري من إضراب إلى عصيان مسلح . وهـــذا أكبر كسب تاريخي حققته الثورة الروسية في كانون الأول ١٩٠٥ . ولقد دفع ثمنه ، ككل المكتسبات السابقة ، بتضحيـات جسيمة ، وجرى تطوير الحركة من إضراب سياسي شامل إلى مرحلة أرقى بحيث أجبرت الرجعية على أن تحشد أقصى طاقاتها . وبهذا اقتربت اللحظة التي تستخدم فيها الثورة بدورها وسائل الهجوم . إن الرجعية لا تستطيع أن تذهب إلى أبعد من قصف الحواجز والمباني والحشود ، بيد أن الثورة تستطيع أن تذهب إلى مـا هو أبعد بكثير من وحدات موسكو المقاتلة طوعاً . فبوسعهـا أن تذهب إلى أبعد من ذلك بكثير في الاتساع وفي العمق . لقـــد تقدمت الثورة كثيراً منذ كانون الأول واتسعت قاعدة الأزمة الاقتصادية بشكل لا حد له .

ولقد أدركت البروليتاريا قبل قيادتها التحول في الظروف الموضوعية للنضال وفي الحاجة إلى التحول من الاضراب إلى العصيان المسلح . وكما هو الحال دوماً سار التطبيق أمام النظرية . إن الاضراب السلمي والمظاهرات لم تعـد ترضي

العمال ، فقد سألوا ما هي الخطوة التالية ؟ وطلبوا تحركاً أكثر تصميماً . إن التعليمات لإقامة الحواجز قد وصلت إلى المقاطعات في وقت متأخر جداً عندما كانت الحواجز قد أقيمت مسبقاً في وسط المدينة . وانطلق العمال للعمل بأعداد كبيرة ولكن حتى هذا لم يكن ليرضيهم ، فقد أرادوا أن يعرفوا ما الذي يتوجب فعله بعد ذلك ؟ — لقد سألوا عن إجراءات فعالة . كنا نحن قادة البروليتاريين الاشتراكيين - الديمقراطيين في كانون الأول ، مثل قائد الجيش الذي نشر جنده بطريقة عابثة بحيث لم يستطع معظمهم أن يشارك بدور فعال في المعركة . لقد طلبت جماهير العمال ولكنها فشلت في الحصول على تعليمات لعمل جماهيري صادق العزم .

وهكذا، ما من شيء يمكن أن يكون أقصر نظراً من وجهة نظر بليخانوف التي تمسك بها جميع الانتهازيين من أن الاضراب كان في غير أوانه وانه كان ينبغي أن لا يبدأ به وانه كان « ينبغي أن لا يلجأوا إلى السلاح». وعلى العكس من ذلك ، فقد كان ينبغي أن نحمل السلاح بشكل أكثر عزماً وفعالية وعدوانية ، كان ينبغي لنا أن نوضح للجماهير انه من المستحيل أن تقتصر الأمور على إضراب سلمي وانه كان من الضروري القيام بقتال مسلح لا يعرف الخوف ولا الكلل . والآن يجب أن نعترف أخيراً بصراحة وبشكل علني بأن الاضرابات السياسية غير واقية ، ويجب أن نواصل القيام بأكبر قدر ممكن من التحريض في صفوف الجماهير داعين إلى عصيان مسلح وأن لا نحاول حجب هذه المسألة بالتحدث عن « المراحل التمهيدية » أو أن نلفها بالضباب بأية طريقة . سوف نكون خادعين لأنفسنا وللشعب إذا أخفينا عن الجماهير ضرورة خوض حرب إبادة دموية كمهمة فورية للعمل الثوري القادم .

هذا هو الدرس الأول من أحداث كانون الأول . وثمة درس آخر يتعلق بطبيعة العصيان المسلح والأساليب التي يتبع بها والأحوال التي ينحاز فيها

الجنود إلى جانب الشعب . وحول هذه المسألة الأخيرة هناك نظرة متحيزة جداً منتشرة في صفوف الجناح اليميني من حزبنا . فثمة من يزعم بأنه لا توجد إمكانية لمقاتلة قوات عصرية ، ولهذا يجب العمل على أن تصبح القوات العسكرية نفسها ثورية . ولكن ما لم تتخذ الثورة طابعاً جماهيرياً وتؤثر في الجنود فلن يكون هناك صراع جدي . إن عملنا على دعوة الجنود إلى الثورة يجب أن لا يكون موضع جدال . بيد اننا يجب أن لا نتوهم أنهم سينحازون إلى جانبنا دفعة واحدة كنتيجة للإقناع ، أي بناء على معتقداتهم الخاصة . لقد أظهرت انتفاضة موسكو بوضوح مدى ابتذال هذه النظرة وخلوها من الحياة. والواقع ان تردد الجنود ، وهو أمر حتمي في كل حركة جماهيرية حقيقية ، يقود إلى قتال حقيقي من أجل الجنود حين يشتد النضال الثوري . إن انتفاضة موسكو كانت على وجه التمام مثالاً للصراع الشديد والمرير من أجل الجنود الذين اتخذوا موقعاً بين الرجعية والثورة . وقد أعلن دوباسوف نفسه أن من أصل ١٥٠٠٠ رجل تابعين لحامية موسكو كان يمكن الوثوق بخمسة آلاف فقط . لقد ضبطت الحكومة المتمردين بأكثر الطرق تنوعاً وبعثاً لليأس ، فقد تملقتهم وقامت برشوتهم . قدمت لهم الساعات والنقود الخ ... خدرتهم بالفودكا ، كذبت عليهم حيناً وهددتهم حيناً آخر ، وحصرتهم في حواجزهم وجردتهم من سلاحهم. وأولئك الذين اشتبه بضعف ولائهم قتلوا غدراً . ويجب أن تكون لدينا الشجاعة الكافية للاعتراف بصراحة وبدون تحفظ بأننا في هذا المقام تلكأنا وراء الحكومة. لقد فشلنا في استخدام القوات التي كانت تحت تصرفنا لاستمالة القوات المترددة في حين تصرفت الحكومة تصرفاً اتسم بالجسارة والدهاء والعدوانية وحاربت وفازت . لقد واصلنا العمل في الجيش وسوف نضاعف جهودنا ، إيديولوجياً في المستقبل كي « نكسب » الجنود بيد أننا سوف نثبت اننا متحذلقون بائسون إذا ما نسينا أنه في وقت الانتفاضة يجب أن يكون هناك أيضاً نضال مادي للقوات .

وفي أيام كانون الأول لقننا عمــــال موسكو دروساً عظيمة في « كسب » الجنود إيديولوجياً، ومثال ذلك ما حدث في الثامن من كانون الأول في ستراستنايا سكوير عندما التفت العامة حول « الكوزاك » واختلطت بهم وتآخت معهم وأقنعتهم بالعودة . أو كما حدث في مقاطعة برسنايا في العاشر من كانون الأول عندما اندفعت فتـــاتان عاملتان ، تحملان علماً أحمر ، وسط ١٠٫٠٠٠ نسمة لتقابلا الكوزاك وهما تصرخان « اقتلونا ! سوف لن نتنازل عن العـــلم ونحن أحياء .. » فاضطرب فرسان الكوزاك وذهبوا بعيداً بـين صيحات الجماهير وهي تهتف : « يحيا الكوزاك » . إن هذه الأمثلة من الشجاعة والبطولة ينبغي أن تطبع في أذهان البروليتاريا إلى الأبد .

ولكن إليكم بعض الأمثلة على كيفية تباطئنا خلف دوباسوف . في التاسع من كانون الأول كان الجنود يسيرون باتجاه شارع بولشـايا سير بوتشوفسكايا وهم ينشدون المارسيليز في طريقهم لمواجهة المتمردين ، فأرسل العمال ممثليهم لمقابلتهم فما كان من مالكوف (رئيس أركان منطقة موسكو العسكرية) إلا أن أسرع نحوهم حيث ألقى خطاباً حماسياً ، ثم طوقهم بسلاح الفرسان وساقهم للحواجز وأقفل عليهم الأبواب هناك . لقد وصل مالكوف إلى الجنود في الوقت المناسب بينما لم نفعل نحن ذلك ، على الرغم من أنــه في غضون يومين أعلن ١٥٠٫٠٠٠ نسمة العصيان استجابة لندائنا ، وكان بوسع هؤلاء أن يملأوا الشوارع . ومنذ زمن طويل أشارت الصحافة الديمقراطيــة الاشتراكية إلى أن الإبادة الوحشية للرؤساء المدنيين والعسكريين هي واجبنا خلال قيام العصيان المسلح . إن مـــا جرى في شارع بولشايا سير بوتوفسكايا قد تكرر بوضوح بملامحه الرئيسية ، أمام حواجز نيفيتيسكي وكروتيتسكي وأيضاً عندما حاول العمال أن « يطردوا » فوج ايكاتريونوسلاف ، وعندمـــا أرسل المندوبون إلى المهندسين العسكريين في الكسندروف ، وكذلك عندما أعيدت مدفعية روستوف وهي في طريقها إلى موسكو ، وعندما جرد المهندسون العسكريون من أسلحتهم في كولوف وهكذا

دواليك . خلال العصيان المسلح أثبتنا اننا لسنا على مستوى مهمتنا في القتال من أجل استمالة الجنود المترددين .

وأكدت أحداث كانون الأول مسائل عميقة أخرى تحدث عنها ماركس ونسيها الانتهازيون وهي أن الانتفاضة المسلحة فن وأن القانون الرئيسي لهذا الفن هو شن هجوم جريء ونهائي . نحن لم نقم بتمثل هذه الحقيقة بصورة كافية ، ونحن أنفسنا لم نتعلم بما فيه الكفاية ولا قمنا بتعليم الجماهير ذلك الفن ، وذلك القانون في الهجوم مهما كلف الأمر . يجب علينا أن نسد هذا النقص بكل طاقتنا ، ليس يكفي تأييد مسألة الشعارات السياسية ، فمن الضروري أيضاً تأييد مسألة الثورة المسلحة . فأولئك المعارضون لها وأولئك الذين لا يهيأون لها يجب أن يطردوا بقسوة من صفوف مؤيدي الثورة ويرسلوا إلى الأعداء ، إلى العملاء والجبناء . ذلك ان اليوم الذي سوف تجبرنا فيه قوة الأحداث وظروف النضال على التمييز بين الأعداء والأصدقاء حسب المبدأ آخذ في الاقتراب. ليس الاستسلام أو مجرد الانتظار إلى أن يتخذ الجنود موقفاً جديداً هو ما ينبغي أن نبشر به ، كلا ، فيجب علينا أن نعلن من على أسطحة المنازل الحاجة إلى هجوم مسلح عدواني وحازم وضرورة إبادة الأشخاص الذين يتولون القيادة عند العدو في مثل تلك الأوقات وأن نخوض القتال الفعال من أجل الجنود المترددين .

إن الدرس الثالث الكبير الذي لقنته لنا موسكو يتعلق بالتكتيكات وتنظيم القوات من أجل الثورة . إن فن تنظيم القوى العسكرية يعتمد على مستوى التقنية العسكرية . إن هذه الحقيقة البسيطة أثبتها أنجلز ووضحها لجميع الماركسيين . التقنية العسكرية اليوم هي ليست ما كانت عليه في منتصف القرن التاسع عشر ، وسوف يكون من قبيل السخافة أن نناضل ضد المدفعية بالحشود وأن ندافع عن الحواجز بمسدسات . كان كاوتسكي على حق

عندما كتب يقول ان الوقت مناسب الآن ، بعد موسكو ، (يقصد أحداث موسكو) لكي نعزز استنتاجات انجلز وان موسكو دشنت « أساليب متاريس جديدة » . هذه الأساليب هي أساليب حرب العصابات . إن المنظمة المطلوبة لمثل هذه الأساليب هي تلك التي تحتل وحدات متحركة ومتناهية في الصغر كأن يكون فيها ٣ أشخاص، أو حتى شخصان . وكثيراً ما نلتقي بالديمقراطيين الاشتراكيين الذين يسخرون لدى سماعهم عن وحدات تتكون من ١٥ أو ٣ . بيد ان الهزء ما هو إلا طريقة رخيصة لتجاهل المسألة « الجديدة » للتكتيكات والمنظمات المنبثقة من قتال الشوارع في ظل ظروف فرضتها التكتيكات العسكرية الحديثة . ادرسوا قصة انتفاضة موسكو بحرص ، أيها السادة ، وسوف تفهمون ما هي الارتباطات الموجودة بين « وحدات من ٥ » ومسألة « أساليب متاريس جديدة » .

لقد دفعت حركة موسكو بهذه الأساليب إلى الأمام ولكنها فشلت في تطويرها بما فيه الكفاية ، وفي تطبيقها إلى مدى هام ، إلى مستوى جماهيري حقيقي . كان يوجد القليل من الشراذم المقاتلة طوعاً فشعار الهجوم الضاري لم يعمم على جماهير الشغيلة ولم يقوموا بتطبيقه ، كانت فصائل المقاومة متماثلة جداً في طبيعتها ، وكانت أسلحتها وأساليبها غير ملائمة وكانت قدرتها على قيادة الحشود غير متطورة في الغالب . يجب علينا أن ننظم كل هذا وسوف نفعل ذلك بالتعلم من تجربة موسكو وبنشر هذه التجربة بين الجماهير وبحفز جهودها الخلاقة كي نطورها أكثر من ذلك . ومما لا شك فيه أن حرب العصابات وإرهاب الجماهير الذي كان حاصلاً عملياً في روسيا بكاملها وبدون انقطاع منذ كانون الأول سوف يساعد الجماهير على تعلم الأساليب الصحيحة للثورة المسلحة . يجب على الاشتراكية – الديمقراطية أن تدرك هذا الإرهاب الجماهيري وتدمجه في تكتيكاتها تنظمه وتضبطه وتخضعه لمصالح وظروف حركة الطبقة العاملة والنضال الثوري العام بينما تقوم بالحد من الانحراف حديث العهد في حرب

العصابات وهو الانحراف الذي قابله رفاقنا في موسكو بشكل رائع وقاس خلال الثورة المسلحة في منطقة البلطيق .

كانت هناك تطورات جديدة في الأساليب العسكرية في الفترة الحديثة جداً . فقد أنتج اليابانيون القنبلة اليدوية وأنزلت مصانع الأسلحة الصغيرة البنادق الاوتوماتيكية في الأسواق . وكلا السلاحين سبق أن استخدم بنجاح في الثورة الروسية ولكن لدرجة بعيدة عن أن تكون كافية . إن بوسعنا ويجب علينا أن نستفيد من التحسينات في التكنيك ونعلم فصائل العمال أن يصنعوا القنابل بأعداد كبيرة ونقدم المساعدة لهم ولمجموعاتنا المقاتلة كي يحصلوا على إمدادات للمتفجرات وفتائل المقوقعات والبنادق . إذا شاركت جموع العمال في الانتفاضات في المدن وإذا شنت الهجمات على العدو وإذا شن قتال ذكي مقترن بالتصميم من أجل استمالة الجنود الذين أصبحوا مترددين أكثر من أي وقت مضى بعد الدوما ، سفيبورج وكروستادت -- وإذا أمنا مشاركة المناطق الريفية في الصراع العام -- فسوف يكون النصر حليفنا في الانتفاضة الروسية المسلحة الشاملة التالية .

دعونا إذن نطور علنا وبصورة أكثر شمولاً ونعد مهامنا بصورة أكثر حزماً حتى نستوعب دروس الأيام العظمى من الثورة الروسية . إن أساس عملنا هو التقدير الصحيح للمصالح الطبقية ولمتطلبات تطور الأمر في الظرف الحالي . إننا نحشد وسوف نواصل حشد قطاع متزايد من البروليتاريا والفلاحين والجيش تحت شعار إسقاط النظام القيصري وعقد مجلس تأسيسي بواسطة حكومة ثورية . وحتى الآن فإن الأساس والمضمون الرئيسي لعملنا هو تطوير الفهم السياسي للجماهير . ولكن دعونا لا ننسى أنه بالاضافة إلى هذه المهمة العامة والثابتة والأساسية ، فإن مثل هذه الأوقات الحالية في روسيا تفرض مهمات أخرى خاصة ومحددة . دعونا لا نصبح متحذلقين وعديمي الاستنارة ، وأن لا نتملص

من هذه المهام الخاصة الانية، المهام الخاصة لأشكال معينة من النضال، بإشارات لا معنى لهـــا عن مهامنا المؤقتة ، والتي تبقى على حالها في كل الأوقات وفي كل الظروف .

فلنتذكر أن صراعاً كبيراً يقترب منا . وان هذا الصراع سوف يكون ثورة مسلحة ويجب أن يكون متنوعاً قدر الإمكان . ويجب أن تعرف الجماهير انها داخلة في صراع مسلح دموي ومرير . ويجب أن ينشر الازدراء من الموت بينهم وسوف يتحقق النصر، فالانقضاض على العدو يجب أن ينفذ بأقصى طاقة، ويجب أن يكون شعار الجماهـير الهجوم وليس الدفاع وسوف تكون مهمتهم الإبادة التي لا تعرف الرحمة ، وسوف يصبح تنظيم الكفاح متحركاً ومرنـــاً وسوف تجر العناصر المترددة من الجنود إلى المشاركة . وفي هذا الصراع الخطير يجب على قطاعات حزب البروليتاريا الواعية طبقيـــاً أن تقوم بواجبها إلى أقصى مدى .

حرب العصابات

ف. لينـــين

إن مسألة حرب العصابات هي من المسائل التي تثير اهتمام حزبنا وجماهير العمال بشكل كبير . ولقد عالجناها في مرات عديده مضت ونحن نعتزم الآن أن نعطي آراءنا التي سبق ان وعدنا بها بصورة كاملة .

دعونا نبدأ من البداية. ما هي المطالب الأساسية التي ينبغي لكل ماركسي أن يقوم بها لفحص مسألة أشكال الصراع ؟ في المقام الأول ، تختلف الماركسية عن جميع الأشكال البدائية من الاشتراكية بعدم تقييدها لحركة أي شكل معين من النضال . انهـــا تدرك أكثر أشكال الصراع تغيراً ولكنها لا تخترع تلك الأشكال وإنما تقوم بعملية تقييم وتنظيم وتعطي تعبيراً واعياً لأشكال نضـــال الطبقات الثورية والتي تنشأ في مسار الحركة . وبمعاداتهـا المطلقة لجميع الصيغ المجردة وطرق الاجراءات غير العملية تطالب الماركسية بموقف يقظ من نضال الجماهير الدائر ، والذي مع تطور الحركة ومع نمو الوعي الطبقي للجماهير ومع اشتداد حدة الأزمة الاقتصادية والسياسية يحدث باستمرار طرقاً جديدة من الدفاع والهجوم أكثر عرضة للتغير . فالماركسية إذن لا ترفض أي شكل من النضال وهي لا تقيد نفسها تحت أية ظروف بأشكال النضال الممكنة والموجودة

في اللحظة الحالية ، مدركة ان الأشكال الجديدة للنضال والتي يجهلها المشاركون في الفترة المعطاة ، تنبثق حتماً عندما يتغير الوضع الاجتماعي . في هـذا المقام تتعلم الماركسية إذا جاز هـذا التعبير ، من ممارسة الجماهير ولا تطالب بتعليم الجماهير أشكالاً من النضال اخترعهـا « المصنفون » في عزلة دراساتهم . يقول كاوتسكي على سبيل المثال : إننا نعلم ، عند فحص أشكال الصراع الاجتماعي ، أن الأزمة القادمة سوف تقدم أشكال جديدة من النضال نحن الآن غير قادرين على التنبؤ بها .

وفي المقام الثاني تطـالب الماركسية بفحص تاريخي مطلق لمسألة أشكال النضال . ان معالجة هذه المسألة بشكل منفصل عن الوضع المادي التاريخي إنما ينم عن فشل في فهم مبادىء المادية الديالكتيكية . فتندفع أشكال النضال الى الأمام في مراحل مختلفة من التحول الاقتصادي معتمدة على الفروقات السياسية والثقافية والمعيشية والشروط الأخرى وتصبح الأشكال الرئيسية للنضال مرتبطة بذلك تخضع لأشكال النضال الثانوية المساعدة على التغير . إن محاولة الإجابة بنعم أو لا على مسألة ما إذا كان ينبغي استخدام شكل معين من النضال دون اجراء فحص مفصل للوضع المـادي في لحظة معينة وفي مرحلة معينة ، ان محاولة كهذه تعني التنازل الكلي عن الموقف الماركسي .

هاتان هما القضيتان النظريتان الرئيسيتان التي يتوجب علينـا الاسترشاد بها . إن تاريخ الماركسية في أوروبا الغربية يزودنا بعدد من الأمثلة لا نهاية له يدعم مـا سبق ان قيل . ان الاشتراكية الديمقراطية الأوروبية في الوقت الحاضر تنظر الى البرلمانية وحركة النقابات كأشكال رئيسية للنضال ، لقـد أقرت الانتفاضة المسلحة في الماضي وهي مهيأة تماماً للاعتراف بها إذا ما تغيرت الظروف ، في المستقبل — برغم رأي البورجوازيين الأحرار . لقـد أقرت الاشتراكية الديمقراطية بقتال الحواجز في الشوارع في الأربعينات : ورفضته لأسباب معينة في نهاية القرن التاسع عشر وأبدت استعداد كاملاً لإعادة النظر

في رأيها اللاحق وان تقر بوسيلة قتـــال الحواجز بعد تجربة موسكو التي قال عنها كاوتسكي بأنها دفعت بتكتيكات جديدة في قتال الحواجز .

• • •

بعد إن أثبتنا صحة الفرضيات الماركسية العـــامة دعونا ننتقل للثورة الروسية ودعونا نتذكر التطور التاريخي لأشكال النضـــال التي أفرزتها . كان هناك في البدء الاضرابات الاقتصـــادية للشغيلة (١٨٩٦ ـ ١٩٠٠) ثم التظاهرات السياسية للعمال والطلاب (١٩٠١ ـ ١٩٠٢) ثورة الفلاحين (١٩٠٢)، بدء الاضرابات السياسية الجمـاهيرية التي كثيراً مـا أتحدث مع التظـاهرات (روستوف ١٩٠٢ ، اضرابات صيف ١٩٠٣ ، ٩ كانون الثـــاني ١٩٠٥) ، الاضراب السياسي الروسي الذي صاحبته حالات محلية من قتـــال الحواجز والعصيان المسلح (كانون الاول ١٩٠٥) النضال البرلماني السلمي (نيسان ـ حزيران ١٩٠٦) ثورات عسكرية جزئية (حزيران ١٩٠٥ ـ تموز ١٩٠٦) وثورات فلاحية جزئية (خريف عام ١٩٠٥ ـ خريف عام ١٩٠٦) .

هكذا كانت الأحوال في خريف عام ١٩٠٦ فيما يتعلق بأشكال النضـــال بشكل عام . ان شكل النضال « الانتقامي » الذي تبنتـــه الأوتوقراطية هو مذبحة « المئة السود » من كيشينيف في ربيع عام ١٩٠٣ الى سيدلتز في خريف ١٩٠٦ . فطوال هذه الفترة استمر تنظيم مجازر «المئة السود» والاعتداء على اليهود والطلاب والثوريين والشغيلة الذين لديهم وعي طبقي جـامعاً عنف قوات «المئة السود» مع عنف المرتزقة المتوحشين ذاهبـاً الى حد استخدام المدفعية في القرى والمدن دامجاً حملات التأديب مع نظام التأديب وهلم جراً .

هذه هي الخلفية الرئيسية للصورة ، ومقابل هـــذه الخلفية كانت هناك ـ كأمر جزئي وثانوي ومساعد ـ ظاهرة الدرس والتقييم التي تعتبر هـــذه المقالة مكرسة لها . ما هي هذه الظاهرة ؟ ما هي أشكالها ؟ ما هي أسبابها ؟

متى ظهرت وإلى أي مدى انتشرت ؟ ما هي أهميتها في المسار العام للثورة ؟ ما هي علاقتها بنضال الطبقة العاملة التي تنظمها وتقودها الاشتراكية الديمقراطية ؟ هذه هي الأسئلة التي يتوجب علينا الآن أن نتقدم بها ونفحصها بعد أن رسمنا الخلفية العامة للصورة .

إن الظاهرة التي نبدي اهتمامنا بها هي الكفاح المسلح. وهي التي يقودها الأفراد والمجموعات الصغـــيرة . وينتمي البعض الى المنظمات الثورية بينما لا ينتمي — الآخرون (وهم الأغلبية في أجزاء معينة من روسيا) الى أية منظمة ثورية . إن الكفاح المسلح يمارس هدفين مختلفين يتوجب التمييز بينهما بدقة : ففي المقـام الأول يهدف هذا الصراع إلى اغتيال الأفراد والرؤساء ومساعديهم في الجيش والبوليس، وفي المقام الثاني يهدف إلى مصادرة الموارد المالية من كل من الحكومة والأفراد الذين لا يتولون منصباً عاماً . ويذهب جزء من الأموال المصادرة الى خزينة الحزب وينفق جزء آخر في الهدف الخاص بالتسليح والاعداد للانتفاضة وينفق جزء ثالث في إعالة الأشخاص المشغولين بالصراع الذين نحن بصدده . إن الجزء الأكبر من « الأموال المصادرة » ينفق في معظم الأحيان وأحياناً بصورة كلية على إعالة « المصادرين » . وهذا الشكل من الصراع أصبح بدون شك ، في عام ١٩٠٦ ، أي بعد العصيان المسلح في كانون الأول ، متطوراً بشكل واسع ومنتشر . إن اشتداد الأزمـة السياسية إلى مدى الوصول الى الكفاح المسلح وبوجه خاص اشتداد الفقر والجوع والبطالة في البلد كان أحد أهم أسباب الصراع الذي نحن بصدده . لقد جرى اختيار هذا الشكل من الصراع بوصفه الشكل المفضل وحتى الوحيد من أشكال الصراع الاجتماعي من قبل العناصر المتشردة ومجموعات البروليتاريا الرثة والفوضويين . ويجب أن ينظر إلى إعلان الحكم العسكري ، تعبئة قوات جديدة ، مجازر المئة السود (سيدلتز) والمحاكم العسكرية كشكل « انتقامي » من أشكال الصراع تبنته الأوتوقراطية .

• • •

إن التقييم الاعتيـــادي للصراع الذي نتولى الآن تفسيره هو أن الفوضوية والبلانكية والارهابية القديمة وأفعال الأفراد معزولةعن الجماهير، هي التي تحط من الروح المعنوية لدى العمال، وتنفر قطاعاً واسعاً من السكان وتوقع الفوضى في الحركة وتلحق الضرر بالثورة، والأمثلة التي تدعم هذا التقييم يمكن أن توجد بسهولة في الأحداث التي يكتب عنها كل يوم في الصحف .

ولكن هل مثل هذه الأمثلة مقنعة ؟ لكي نختبر هذا دعونا نأخذ مركزاً بحيث يكون فيه شكل الصراع الذي نختبره من أكثر الأشكال تطوراً ـ منطقة مقاطعة البلطيق . هــــذه هي الطريقة التي تتذمر منها صحيفة نوفوي فيرميا Novoye Vermya (في أعدادها الصادرة في التاسع والثاني عشر من أيلول) من نشاطات الاشتراكيين ـ الديمقراطيين. إن حزب العمل الاشتراكي الديمقراطي اللتواني يصدر جرائده في ٣٠ الف نسخة بانتظام وتنشر أعمدة الاعلانات أسماء الجواسيس التي تعتبر إبادتهم مهمة ملقاة على عاتق كل شخص شريف . إن أولئك الذين يساعدون الشرطة تعلن أسماؤهم « كأعداء للثورة » وهم عرضة لتنفيذ أحكام الاعدام بهم وكذلك لمصادرة أملاكهم . وقـــد أعطي الجمهور تعليمات بإعطاء الأموال للحزب الديمقراطي الاشتراكي فقط مقابل الوصولات المختومة والموقع عليها وفي آخر تقرير للحزب وهو يظهر ان مجموع الدخل وصل إلى مبلغ ٤٨٫٠٠٠ روبل خلال السنة ساهم فرع ليبو بمبلغ ٥٦٠٠ روبل بالأسلحة التي حصل عليهـــا عن طريق المصادرة . وبالطبع فإن صحيفة Novoye Vermya ترغي وتزبد ضد هذا « القانون الثوري » وضد « حكومة الارهاب » هذه .

على أن الوقـــاحة لا يمكن أن تبلغ بأحد إلى حد القول بأن نشاطات الاشتراكيين ـ الديمقراطيين فوضوية، بلانكية أو إرهابية . ولكن لمـاذا ؟ لأن لدينا هنا ارتباطاً واضحاً بـــين الشكل الجديد للصراع والعصيان الذي نشب في كانون الأول والذي أخذ يتبلور مرة أخرى . لم يكن إدراك هــذا

الارتباط واضحاً تماماً في حالة روسيا ككل وإنما كان موجوداً . إن حقيقة كون حرب العصابات قد أصبحت منتشرة تماماً بعد كانون الأول وارتباطها بإبراز لا الأزمة الاقتصادية فحسب بل الأزمة السياسية أيضاً ليس موضع خلاف . إن الارهاب الروسي القديم كان من شأن المفكرين المشاركين في التآمر واليوم تشن حرب العصابات ، كقانون عام ، بواسطة العامل المقاتل أو ببساطة بواسطة العامل العاطل عن العمل . إن البلانكية والفوضوية تطرأ بسهولة على أذهان أولئك الذين يفتقرون الى الأصالة الشخصية بيد انه في ظروف العصيان المسلح ، والتي تبدو واضحة تماماً في المقاطعات البلطيقية ، فإن عدم ملاءمة مثل هذه الألقاب المبتذلة واضح جداً .

إن المثال السابق يظهر ، بوضوح ، مدى عدم صحة وعدم علمية التطبيق الشائع جداً بيننا في تحليل حرب العصابات دون الرجوع الى ظروف الانتفاضة ومدى مغايرة هذا التطبيق للتاريخ. هذه الظروف لا بد أن تكون في الحسبان ويجب أن نفكر ملياً في المميزات الخاصة بفترة تتوسط الأعمال الكبيرة للانتفاضة . ويجب أن ندرك أشكال الصراع التي تظهر بصورة حتمية في ظل هذه الظروف وأن نحاول على غرار تلك الكلمات التي يستعملها « المبتدئون » وأتباع صحيفة (Novoye Vermya) فوضوية ، لصوصية ، إجرام .

يقال إن أفعال الثوار تربك عملنا . دعونا نطبق هذه الحجة على الوضع كما تجلى منذ كانون الأول من عام ١٩٠٥ حتى فترة مجازر المئة السود والحكم العسكري . ما الذي يربك الحركة أكثر في مثل هذه الحالة ، هل هو غياب المقاومة أم حرب العصابات المنظمة ؟ قارنوا بين مركز روسيا بحدودها الغربية مع بولندا ومقاطعة لتوانيا . إن ازدياد انتشار حرب العصابات وتطورها في مناطق الحدود الغربية هو أمر لا يحتاج الى التساؤل . وكذلك فإن الحركة الثورية بشكل عام ، وحركة الاشتراكيين الديمقراطيين بشكل خاص ، هي أكثر تنظيماً في وسط روسيا منها في منطقة الحدود الغربية وهذه أيضاً حقيقة

لا تحتاج الى التساؤل . وبالطبع فإننا لن نستنتج من هذا ان الحركة الديمقراطية الاشتراكية في لتوانيا وبولندا هما أقل تنظيماً نتيجة لحرب العصابات . كلا . إن النتيجة الوحيدة التي يمكن الخروج بها هي أن حرب العصابات ليست ملومة على حالة الفوضى في حركة العمال الإشتراكية الديمقراطية في روسيا في ١٩٠٦ .

وفي هذا الصدد كثيراً ما توجه التلميحات بالنسبة لخصوصيات الظروف القومية . بيد أن هذا التلميح ينم بوضوح عن ضعف الحجة الرائجة فإذا كانت القضية قضية ظروف قومية فهي إذن ليست قضية فوضوية ، بلانكية أو إرهابية ـ خطايا اعتيادية بالنسبة لروسيا ككل وحتى للروسي بشكل خاص ـ وإنما هي شيء آخر . حللوا هذا الشيء الآخر عينياً ، أيها السادة فسوف تجدون ان الاضطهاد القومي أو العداوة لا تفسر شيئاً بسبب أنها برزت على الدوام في حدود المناطق الغربية ، بينما تولدت حرب العصابات فقط بالفترة التاريخية الحاضرة . ثمة أماكن عديدة يوجد فيها اضطهاد قومي وعداوة ، ولكن ليس هنالك نضال ثوار ، وهو الذي يتطور أحياناً حيث لا يكون هناك اضطهاد قومي على الاطلاق . إن تحليلاً محسوساً للمسألة سوف يظهر أن القضية ليست قضية اضطهاد قومي وإنما هي ظروف الانتفاضة . وعندما تكون الحركة قد وصلت الى مرحلة العصيان وعندما تحدث فواصل زمنية كبيرة بين « المعارك » الكبيرة في الحرب الأهلية فإن حرب العصابات ستكون شكلاً حتمياً من أشكال الصراع .

ليست أعمال الثوار هي التي تربك الحركة وإنما ما يربكها هو وجود حزب غير مؤهل لتبني هذه الأعمال . هذا هو السبب في أنه كثيراً ما تكون اللعنات التي نرشقها نحن الروس ضد أعمال الثوار ملازمة للأعمال السرية والعرفية غير النظامية التي يقوم بها الثوار والتي تربك الحزب حقاً. ولأننا كنا غير مؤهلين لفهم ماذا أحدثت الشروط التاريخية لهذا الصراع فنحن غير مؤهلين لتحييد مظاهره المؤذية . ومع ذلك فان الكفاح مستمر وهو متولد عن طريق أسباب

اقتصادية وسياسية قوية . فليس من قوتنا أن نتجاهل هذه الأسباب أو هذا الصراع . إن شكاوانا من حرب العصابات هي شكاوانا ضد ضعف حزبنا في قضية الانتفاضة .

إن ما ذكرناه حول الارتباك والفوضى ينطبق أيضاً على ضعف المعنويات فليست حرب العصابآت هي التي تضعف المعنويات وإنما ما يفسدها هو أعمال الثوار غير المنظمة ، غير النظـامية واللاحزبية . إن إدانتنا وشجبنا لأعمال الثوار لن يحررانا قيد أنملة من ضعفنا هذا - وهو ضعف يعتبر من أشد الأمور غنى عن التساؤل ، ذلك لأنه ليس في وسع الادانة والشجب أن يضعا حـداً لظاهرة تولدت عن أسباب اقتصادية وسياسية عميقة . وتستطيع المعارضة أن تقول بأننا إذا كنا غير قادرين على وضع حد لظاهرة شاذة ومفسدة ، فإن هذا ليس سبباً يبرر للحزب تبني أساليب نضال شاذة ومفسدة بشكل عام . إن الماركسي يبـني نفسه على أساس الصراع الطبقي وليس على السلام الاجتماعي . وفي مراحل معينة من الأزمات الاقتصادية والسياسية الحـادة ينضج الصراع الطبقي ويتحـول إلى حرب أهلية . ففي أي صراع مسلح بين قطاعين من الشعب في ظروف كهذه يكون الماركسي « مجبراً » على أن ينحاز الى جانب الحرب الأهلية . إن إدانـة الحرب الأهلية غير جائزة مطلقاً من وجهة النظر الماركسية .

في مرحلة الحرب الأهلية يعتبر البروليتاري الحزب المثالي هو الحزب القاتل. وهذا أمر لا جدال فيه مطلقاً . نحن مستعدون تماماً لأن نسلم بأنه من الممكن أن نجـادل ونبرهن الخطل من وجهة نظر الحرب الأهلية بأشكال خاصة من الحرب الأهلية في أي لحظة خاصة. ونحن نوافق كلياً على نقد الأشكال المستعادة من الحرب الأهلية من وجة نظر الملاءمة العسكرية ونوافق بشكل مطلق على أنه في هـذه المسألة يجب أن يكون القول الفصل للشغيلة العمليين في الحزب الديمقراطي الاشتراكي وفي كل مقاطعة على انفراد . بيـد إننا نطلب بشكل

مطلق وباسم مبادىء الماركسية أن لا يجري التهرب من تحليل ظروف الحرب الأهلية بحديث مبتذل ومقولب عن الفوضوية والبلانكية والارهاب ، وينبغي أن لا تستغل تلك الأساليب الخالية من المعنى والتي اتبعها ثوار هذه المنظمة أو تلك من الحزب الاشتراكي البولندي في مرحلة معينة « كبعبع » عندما تناقش مسألة مشاركة الحزب الديمقراطي الاشتراكي في أمور مثل حرب العصابات بشكل عام .

إن التذرع بأن حرب العصابات تربك الحركة يجب أن ينظر اليه نظرة نقدية . فكل شكل جديد من أشكال الصراع ترافقه كما هو مخاطر جديدة ، وتضحيات جديدة وهو « يربك » حتماً المنظمات التي لا تكون مستعدة لهذا الشكل من الصراع .

إن دوائرنا الدعاوية القديمة كانت مربكة بلجوئها إلى أساليب الإثارة ومن ثم كانت لجاننا مربكة بلجوئها الى تقديم الدليل . كل عمل عسكري في أية حرب يربك صفوف المقاتلين إلى حد معين . بيد أن هذا لا يعني أنه يجب أن لا نقاتل وإنما يعني أنه يتوجب على المرء أن يتعلم القتال . هذا كل ما في الأمر .

عندما أشاهد الديمقراطيين ـ الاشتراكيين يعلنون بغرور وغطرسة « نحن لسنا فوضويين أو لصوصاً ، نحن أسمى من كل هذا ، نحن نرفض حرب العصابات » — فإنني أسأل نفسي هل يدرك هؤلاء الناس ما يقولون ؟ إن الصدامات المسلحة والصراعات بين حكومة «المئة السود» وبين السكان تحدث في جميع أنحاء البلاد . هذه ظاهرة حتمية مطلقة في المرحلة الراهنة من تطور الثورة . ويتجاوب السكان ويتفاعلون بشكل عفوي وبطريقة غير منظمة ، وبالهجوم والكفاح المسلح — ولهذا السبب بالذات غالباً ما يكون الكفاح بأشكال يعوزها الحظ وغير مرغوب بها — مع هذه الظاهرة . أنا أستطيع أن أفهم إحجام الحزب عن قيادة الصراع العفوي في مكان

معين أو في وقت معين بسبب ضعف وعـدم استعداد في ذلك المكان . وإنني أدرك أيضاً إن هذه المسألة يجب أن تحل بواسطة العمال العمليين وإن إعـادة قولبة المنظمات الضعيفة وغير المهيأة قضية ليست بسهلة . ولكنني عندما أشاهد ديمقراطياً ـ اشتراكياً أو خبيراً في الاعلام لا يظهر الأسف على هذا الاهمال بل بالعكس يبدي غروراً وميلاً نحو التمجيد الذاتي وإعادة المقاطع التي حفظهـا دون فهم في شبـــابه حول الفوضوية والبلانكية والارهاب فإنني أتألم لهذا الانحطاط في أشد المذاهب ثورية في العالم .

ويقال إن حرب العصابات تضع البروليتاريين الواعين ـ طبقياً في ترابط وثيق مع المنحطين والمخمورين والرعاع . هذا صحيح . ولكن هذا يعني فقط إن حزب البروليتاريين لا يمكنه مطلقاً أن يعتبر حرب العصابات هي الطريقة الوحيدة أو حتى الرئيسية من طرق النضال إنما هو يعني ان هذه الطريقة يجب أن تخضع إلى طرق أخرى وإن هـذه الطريقة يجب أن تتساوى مع الطرق الرئيسية في القتال ويجب أن تعظم بنفوذ الاشتراكية المنور والمنظم . وبدون هذا الشرط الأخير فإن كل طرق النضال في المجتمع البورجوازي تدفع بالبروليتاريا نحو الترابط الوثيق مع الشرائح غير البروليتارية الأعلى منها والأدنى وإذا ما تركت لمسار الأحداث العفوية فسوف تصبح بالية ، فاسدة ومعهرة . وإذا ما تركت الاضرابات لمسار الأحداث العفوية فستنحرف وتتحول الى اتفـاقيات « تحالف » بين الشغيلة وأسيادهم ضد المستهلكين . سينحرف البرلمان ليصبح ماخوراً حيث تتقايض شلة من السياسيين البورجوازيين بالجملة وتبيع « الحرية الوطنية » « الليبرالية » « الديمقراطية » « الجمهورية » « المعاداة للقساوسة » « الاشتراكية » وسلعاً أخرى بالتجزئة وحسب الطلب . وستنحرف الصحف فتنقلب سمسارة للجمهور ووسيلة لإفساد الجماهير مستثيرة غرائز الرعاع المنحطة وهكذا دواليك .

إن الاشتراكية الديمقراطية لا تعرف أسلوباً شاملاً للنضال يغلق البروليتاريا

بسور صيني عن الطبقة التي تقف فوقها بقليل أو تحت بقليل . وتطبق الاشتراكية الديمقراطية في المراحل المختلفة محددة الاختيار فيما بينها بشروط إيديولوجية وتنظيمية مجددة بشكل دقيق .

. . .

تتميز أشكال النضال في الثورة الروسية بتنوعها الضخم إذا ما قورنت بالثورات البورجوازية في أوروبا . وقد تنبأ كاوتسكي بهذا في عام ١٩٠٢ عندما قال بأن الثورة في المستقبل (وأضاف لربما باستثناء روسيا) قد لا تكون صراعاً بين الشعب والحكومة بقدر ما تكون صراعاً بين قطاعين من الشعب . إننا نشهد في روسيا بدون شك تطوراً أوسع لهذا الصراع الأخير من التطور الحادث في الثورات البورجوازية في الغرب . إن عدد أعداء ثورتنا بين الشعب قليل نسبياً بيد أنه مع تنامي حدة الصراع يزداد تنظيمهم ويتلقون الدعم من الطبقة الرجعية من البورجوازية . فمن الطبيعي جداً ومما لا مفر منه أن لا يستطيع العصيان المسلح في مرحلة كهذه ، مرحلة الاضرابات السياسية التي تشمل الأمة ، أن تتخذ الاضرابات ذلك الشكل القديم من الأعمال الفردية المحصورة في وقت قصير جداً وفي منطقة صغيرة جداً . من الطبيعي جداً ومما لا مفر منه انه ينبغي أن يتخذ العصيان المسلح الشكل الأرقى والأكثر تعقيداً من الحروب الأهلية الطويلة التي تشمل الأمة بكاملها أي أن يشهد صراعاً مسلحاً بين قطاعين من الشعب . فليس من الممكن فهم مثل هذه الحرب إلا اذا اعتبرناها سلسلة من مجموعة معارك كبيرة تتخللها فترات طويلة نسبياً وعدد كبير من المناوشات أثناء هذه الفترات . ولأن الحالة على النحو المشار اليه — وهي كذلك بلا شك — فمن واجب الاشتراكيين الديمقراطيين أن يجعلوا هدفهم المطلق خلق أفضل المنظمات المتطورة لتقود الجماهير في هذه المعارك الكبيرة وكذلك ، وبقدر الإمكان ، في المناوشات الصغيرة أيضاً . ففي فترة يبلغ فيها التأكيد على الصراع الطبقي حد الحرب الأهلية يتوجب على الاشتراكيين الديمقراطيين أن يجعلوا واجبهم ليس المشاركة فحسب بل أن يلعبوا الدور القيادي في هذه الحرب الأهلية .

يجب على الاشتراكيين الديمقراطيين أن يدربوا ويهيئوا منظماتهم كي تكون قادرة فعلاً على أن تقوم بدور المحارب الذي لا يفوت فرصة واحدة لإيقاع الدمار بقوات العدو .

هذه مهمة صعبة ، ولا انكار في هذا . ولا يمكن تنفيذها في الحال . وكما يعاد تدريب الشعب بأكمله ويتعلم أن يقاتل في مسار الحرب الاهلية كذلك يجب أن تدرب منظماتنا ويجب أن يعاد تنظيمها وفقاً لدروس التجربة كي تكون مؤهلة لهذه المهمة .

وليست لدينا أدنى نية في اكراه الشغيلة العمليين على أي شكل مصطنع من النضال أو حتى أن نحدد لهم ونحن على كراسينا الدور الذي ينبغي أن يقوموا به في أي شكل من أشكال حرب العصابات في مسار الحرب الأهلية في روسيا .

ومع اننا أبعد ما نكون عن النظر الى التقييم العيني لأعمال معينة يقوم بها الثوار على انها دلالة على وجود تيار معين في الاشتراكية الديمقراطية إلا أننا نعتبر ان من واجبنا أن نساعد قدر الإمكان على الوصول الى تقييم نظري صحيح لأشكال الصراع الجديدة التي تولدت من خلال الحياة العملية . ونحن نعتبر أن من واجبنا أن نحارب بلا هوادة القولبة والتحيز اللذين يعيقان العمال الواعين طبقياً عن تقديم مسألة جديدة وصعبة بشكل صحيح ومن تلمس حلولها بشكل صحيح أيضاً .

الكفاح المسلح في ثورة ١٩٠٥

ف. لينين

على أثر فشل الثورة الروسية في عام ١٩٠٥ تبنى البورجوازيين الليبراليون والدوائر المنشفية موقفاً انهزامياً معلنين إن الأساليب الماركسية الثورية التي استخدمت من قبل البروليتاريا قد ثبت عدم صحتها وانه « ما من أحد في روسيا سوف يحلم بالقيام بثورة وفقاً لأسس مبادىء ماركس » . لقد قاوموا بشكل خاص أساليب الكفاح المسلح التي استخدمها العمال والفلاحون .

وكتب لينين المقالة التالية الى مجلة ديمقراطية ـ اشتراكية بولندية ليوضح بأن البلاشفة يدعمون بشكل كلي المجموعة الكاملة من التكتيكات الثورية .

• • •

انتظروا فقط ، وسيأتي عام ١٩٠٥ مرة أخرى . هذه هي الطريقة التي ينظر بها العمال الى الأمور . فبالنسبة لهم زودهم هذا العام من النضال بنموذج لما يتوجب عمله. أما بالنسبة للمفكرين والمرتدين من البرجوازية الصغيرة فقد كان « عام الجنون » نموذجاً لما ينبغي تجنبه . وبالنسبة للبروليتاريا ، فإن تدبر الأمر والقبول النقدي لتجربة الثورة يجب أن يتوافق مع تعلم كيفية تطبيق

طرق النضال القائمة بنجاح أكثر كي يجعل نفس اضراب تشرين الأول المسلح ونضال آب المسلح أكثر جماهيرية وأكثر تركيزاً وأكثر وعياً . .

سبق لكارل كاوتسكي ان عالج هذه المسألة في مظهرها النظري الأساسي وفي الطبعة الثانية من كتابه الشهير « الثورة الاجتماعية » الذي ترجم الى جميع اللغات الأوروبية الأساسية وقام بعمل إضافات وتعديلات ملمحاً إلى تجربة الثورة الروسية .

ما هي المشاكل التي اعتبرها كاوتسكي واضحة وأساسية أو ، على الأقل ، ذات أهمية كافية في تجربة الثورة الروسية بحيث تعطي مادة جديدة لدراسة ماركسية عامة حول « أشكال وأسلحة الثورة الاجتماعية » ؟

لقد عالج المؤلف مسألتين :

أولاً ـ مسألة التركيب الطبقي للقوى القادرة على إحراز النصر في الثورة الروسية ، صانعة منها ثورة منتصرة بحق .

ثانياً ـ مسألة أهمية تلك الأشكال الأرقى من النضال الجماهيري ـ أرقى في اتجاه طاقتهم الثورية وفي طبيعتهم العدوانية ـ والتي دفعت بها الثورة الروسية وهي بالتحديد النضال في آب أي الكفاح المسلح .

إن أي اشتراكي (الماركسي بشكل خاص) يدرس بانتباه أحداث الثورة الروسية لا بد أن يعترف بأن هذه هي في الحقيقة المسائل الجذرية والأساسية في تقييم الثورة الروسية ، وأيضاً في تقييم اتجـــاه الأساليب المملاة على حزب العمال بالوضع الراهن للأمور . وما لم نلاحظ بشكل كامل وواضح مـا هي الطبقات القادرة على ضوء الظروف الاقتصادية الموضوعية ، على جعل الثورة الروسية البورجوازية منتصرة فإن جميع كلماتنا حول التماس جعـــل الثورة منتصرة سوف تكون عبارات فارغة ومجرد خطبة ديمقراطية بينما ستكون تكتيكاتنا في الثورة البورجوازية غير مرتكزة على أسس ومتذبذبة حتماً .

ومن جهة أخرى فمن أجل تحديد تكتيكات الحزب الثوري في اللحظات العاصفة من الأزمة العامة التي تعيشها البـلاد بشكل مادي فمن الواضح انه لا يكفي الإشارة بصورة مجردة إلى الطبقات القادرة على التحرك بروح منتصرة لإكمال الثورة . ان المراحل الثورية تتميز عن المراحل المسماة بمراحل التطور السلمي تلك التي لا تدفع فيهـــا الظروف الاقتصادية بأزمة عميقة أو بحركات جماهيرية قوية ، تتميز عنها بالتحديد بما يلي : إن أشكال النضال في المراحل الأولى (المراحل الثورية) هي حتماً أكثر من الدعاية ونشاطات التحريض التي يسلكها القادة في البرلمان والصحافة الخ . . فإذن إذا ما نحن ألزمنا أنفسنا في إجراء تقييم للمراحل الثورية ، بتحديد نشاط الطبقات المختلفة ، دون تحليل أشكال نضالهم فإن نقاشنا بالمعنى العلمي سوف لن يكون كاملاً وغير ديالكتيكي بينما سوف يتحلل من زاوية السياسات العملية الى رسالة ميتة لرجل عاقل .

فمن أجل إجراء تقييم ماركسي أصيل للثورة من وجهة نظر المـــادية الديالكتيكية ، لا بد أن تقيم كنضال لقوى اجتماعية حية ، واقعة في ظروف موضوعية معينة تتصرف بطريقة معينة وتطبق بنجاح متفاوت أشكالاً معينة من النضال. وعلى أساس مثل هذا التحليل فقط فإنه من المناسب ومن الضروري للماركسي بالتأكيد أن يقيم الجانب الفني من الصراع ، والمسألة الفنية التي تبرز في مسار النضال . ان الاقرار بشكل محدد من النضال مع عدم الاقرار بضرورة دراسة الناحية الفنية في هـــذا النضال هو مثل إدراك ضرورة المشاركة في انتخابات معينة بينما يجري تجاهل القانون الذي يعلن أسلوب هذه الانتخابات .

يبحث كاوتسكي تقييم الانتفاضة المسلحة التي جرت في كانون الأول ١٩٠٥ وذلك في مقدمة الطبعة الثانية من كتابه فيقول :

« لا أستطيع أن أؤكد بعد الآن على نحو محدد كما سبق ان فعلت في عام ١٩٠٢ ان الانتفاضات المسلحة وقتال الشوارع سوف لن تقوما بدور حاسم في

الثورة القادمة . فهنالك دليل واضح جدا لما هو العكس في تجربة معـــارك الشوارع في موسكو عندما أعاقت حفنة من الرجال جيشاً بأكمله لمدة أسبوع في قتـــال الشوارع وكانت على وشك أن تفوز بالنصر لولا ان فشل الحركات الثورية في مدن أخرى قد مكن من إرســال إمدادات جديدة للجيش بحيث تركزت في النهاية قوة كبيرة جداً ضد المتمردين . وبالطبع فإن هذا الانتصار النسبي من النضال على مستوى الحواجز كان ممكناً فقط لأن سكان المدينة دعموا الثوريين بطاقاتهم بينما كان الجنود منهارين كلياً . ولكن من يستطيع أن يؤكد أن شيئاً مشابهاً يستحيل حدوثه في أوروبا الغربية » .

وهكذا فبعد عام من الثورة ، عندما لم يعد بالإمكان وجود تساؤل حول أية رغبة في تعزيز الروح المعنوية للرجـــال المقاتلين فان متقصياً دقيقاً مثل كاوتسكي يقر مؤكداً بأن انتفاضة موسكو تمثل « نجاحاً نسبياً » للنضال على الحواجز ويظن بأنه من الضروري أن يعدل النتيجة العامة السابقة التي أعلنها والتي تتلخص في أن دور معـارك الشوارع في ثورة المستقبل لا يمكن أن يكون عظيماً .

ان نضال كانون الاول من عام ١٩٠٥ قد برهن ان الانتفاضة المسلحة يمكن أن تكون ظافرة ضمن شروط حديثة من التكتيك والتنظيم العسكريين. ومنذ ذلك الحين ونتيجة لنضال كانون الاول أصبح يتوجب على كل حركة العمال العالمية بأكملها أن تعتبر انه من المحتمل قيام أشكال مشابهة من القتـــال في الثورات البروليتارية القادمة . هذه هي النتائج التي تنبع بالحقيقة من تجربــة ثورتنا . هذه هي الدروس التي يتوجب على جماهير الشعب أن تتمثلها . فما أبعد هـذه النتائج والدروس عن ذلك النهج من المنـــاقشة التي اتبعها بليخانوف بتعليقه الشهير على ثورة كانون الاول : « كان ينبغي أن لا يلجأوا إلى السلاح » لقد أثار هذا التقييم فيضاً من انتقادات العناصر المرتدة وتلقفته أعداد لا تحصى من

الأيدي الليبرالية القذرة كي تنقل الانحــلال وروح المساومة في البورجوازية الصغيرة إلى صفوف العمال .

والواقع أنه ليس ثمة أثر من الحقيقة التـاريخية في تقييم بليخانوف . ولئن كان ماركس قد قال قبل ستة شهور من الكميون بأن مثل هذه الثورة ضرب من الجنون فإنه استطاع على كل حال أن يصف هــذا الجنون بعد ذلك بأنه أعظم حركة جمـاهيرية للبروليتاريا في القرن التاسع عشر . ولقد كان أحرى بالاشتراكيين الديمقراطيين الروس أن يوحوا للجماهير بأن نضال كانون الاول هو الأكثر ضرورة والأكثر شرعية وانه أعظم حركة بروليتــارية منذ عهد الكميون . وسوف تتثقف الطبقة العاملة بهـذه الآراء مهما كانت الأقوال التي يبثها المفكرون في صفوف الاشتراكية الديمقراطية ومهما كان عويلهم عالياً .

ومن الضرورة أن نلفت النظر هنا إلى أن هذه المقالة قد كتبت للرفاق البولنديين ولعدم إلمامي باللغــة البولندية ، وهذا ما يؤسف له ، فأنا أعرف الأحوال البولندية بواسطة الإشاعات فقط .

ولربما يكون من السهل الإجابة بأن في بولندا على وجه الضبط قام حزب بأكمله يختنق نفسه عن طريق حرب عصابات واهنة وعن طريق الارهــاب وثورات « الالعاب الناريه » وذلك باسم التقــاليد الثورية والنضال المشترك للعمال والفلاحين (المسمى بالجناح اليميني في الحزب الاشتراكي البولنــدي) . ولربما من وجهة النظر هذه فإن الظروف البولندية تختلف فعلاً بصورة جذرية عن ظروف بقية أنحـاء الامبراطورية الروسية . أنا لا أستطيع أن أحكم في ذلك . مع ذلك فيجب أن أقول بأنه لم نشهد في أي مكان عـدا بولندا ذلك الابتعاد التافه عن التكتيكات الثورية الأمر الذي أثار من المقاومة والمعارضة ما تبرره تلك الحالة . هنا ينهض الفكر بدون دعوة : لماذا لم يحدث في بولندا بالذات كفاح مسلح في كانون الاول من عــام ١٩٠٥ . أليس من أجل هذا

السبب بالذات وجد في بولنـــدا وفقط في بولندا التكتيك المحرف والتافه في « صنع » الثورة مأوى له وان الظروف لم تسمح بتطوير الكفـــاح المسلح والجماهيري إلا لمدة قصيرة . أليست تقاليد مثل هـــذا الصراع ، تقاليد ثورة كانون الاول المسلحة هي في كثير من الاحيان الوسيلة الجدية الوحيدة للتغلب على الاتجاهات الفوضوية في حزب الطبقة العاملة إذ لا يمكن التغلب على مثل هـــذه النزعات عن طريق وسائل مبتذلة من الوعظ البورجوازي بل بالتحول عن أعمال العنف الهـائمة المتقطعة إلى عنف جماهيري هادف مرتبط بالحركة العريضة والمشحوذة للصراع البروليتاري المباشر .

الحروب الوطنية ضد الامبريالية

ف. لينـــين

في الموضوع الخامس من موضوعات جماعة « الاممية » (٦١) سجلت الأولى من أفكار يونيوس المغلوطة . فقد جاء فيه : « . . . في زمن (عصر) هـذه الامبريالية الجموح لم يعد بالإمكان حدوث حروب وطنية . وما المصالح الوطنية غير وسيلة خداع غرضها تسخير جماهير الكادحين الشعبية لخدمة عدوها اللدود الأمبريالية . . . » بهذه الصيغة ينتهي الموضوع الخامس الذى كرست بدايته لوصف الحرب الحالية بأنها حرب أمبريالية . ويحتمل أن يكون إنكار الحروب الوطنية بوجه عام من باب السهو أو من باب الاندفاع الصدفي في حالة الرغبة بإظهار فكرة صحيحة كل الصحة والتوكيد على أن الحرب الحالية هي حرب أمبرياليـة ، لا حرب وطنية . ولكن نظراً لاحتمال العكس ، وبما إن خطأ إنكار سائر الحروب الوطنية في حالات اعتبار الحرب الحالية بصورة مغلوطة حرباً وطنية يلاحظ لدى الاشتراكيين ـ الديمقراطيين على اختلافهم ، لا بد من الوقوف عند هذه الغلطة .

ان يونيوس محق تمـــاماً عندما يؤكد ان « للظرف الأمبريالي » التأثير الفاصل في هـــذه الحرب ، وعندما يقول ان روسيا تساند الصرب ، وان

« الأمبريالية الروسية تساند العصبية القومية الصربية » ، وان اشتراك هولندا، مثلاً ، في الحرب يكون أيضاً اشتراكاً أمبريالياً ، لأن هولندا في هـذه الحالة تدافع ، أولاً ، عن مستعمراتها وتكون ، ثانياً ، حليفة لائتلاف من الائتلافيين الأمبرياليين . إن هذا لا شك فيه حيال الحرب الراهنة . فعندما يؤكد يونيوس على ما يعتبره في المقام الأول : النضال ضد « شبح الحرب الوطنية » المخيم في الوقت الحاضر على السياسة الاشتراكية والديمقراطية » (ص ٨١) ، لا بد من الاعتراف بأن نظراته صحيحة كل الصحة وفي مكانها تماماً .

ومكان الخطأ هو المغالاة بهذه الحقيقة ، والانحراف عن الماركسية فيما يتعلق بمطالبتها بمراعاة ظروف الزمان والمكان ، وتطبيق صفة الحرب الراهنة على جميع الحروب الممكنة في ظل الأمبريالية ونسيان الحركات الوطنية المناهضة للامبريالية . والحجة الوحيدة التي تذكر في الدفـــاع عن صيغة : « لم يعد بالإمكان حدوث حروب وطنية » هي كون العالم قد قسم بين حفنة من الدول الأمبريالية « الكبرى » . وإن كل حرب ، وإن كانت في البدء حرباً وطنية ، تتحول ، نظراً لذلك ، إلى حرب أمبريالية ، إذ تمس مصالح إحدى الدول أو الائتلافات الأمبريالية . (ص ٨١ من كراسة يونيوس) .

إن وجه الخطأ في هذه الحجة واضح كل الوضوح . وغني عن القول ان المبدأ الأساسي في الديالكتيك الماركسي يتلخص في .كون جميع الحدود في الطبيعة وفي المجتمع هي اصطلاحية ومتحركة ، وانه لا توجد ظـاهرة من الظاهرات ، إلا ويمكنها ، إذا توفرت ظروف معينة ، أن تنقلب إلى ضدهـــا . فالحرب الوطنية يمكن أن تتحول إلى أمبريالية وبالعكس . واليكم المثل : إن حروب الثورة الفرنسية العظمى قد بدأت بوصفها حروباً وطنية ، وقد كانت كذلك . وكانت هذه الحروب حروباً ثورية : هدفهـــا الدفاع عن الثورة العظمى ضد ائتلاف الملكيات المعادية للثورة . وحينما أنشأ نابليون الامبراطورية الفرنسية واستعبد جملة من دول أوروبا القومية ، الكبيرة ، المفعمة بالحيوية ، والمتكونة

من عهد بعيد ، تحولت الحروب الوطنية الفرنسية إلى حروب أمبريالية أسفرت بدورها عن حروب وطنية تحررية ضد أمبريالية نابليون .

ولا يستطيع أن يمحو الفرق بين الحرب الأمبريالية والحرب الوطنية استناداً إلى أن إحداهما قد تتحول إلى الأخرى غير السفسطائي . فكم من مرة استخدم الديالكتيك ، وفي تاريخ الفلسفة اليونانية أيضاً ، كجسر للسفسطة . غير اننا نبقى ديالكتيكيين إذا ناضلنا ضد السفسطيات لا عن طريق إنكار احتمال كل تحول بوجه عام ، بل عن طريق تحليل الظاهرة في ظروفها المعينة وفي تطورها تحليلاً ملموساً .

أما تحول الحرب الأمبريالية الراهنة ، حرب سنوات ١٩١٤ - ١٩١٦ ، إلى حرب وطنية ، فهو أمر بعيد الاحتمال كلياً ، لأن الطبقة التي تمثل التقدم إلى الأمام هي البروليتاريا التي تنزع بصورة موضوعية لتحويلها إلى حرب أهلية ضد البورجوازية ، ثم لأن الفرق بين قوى الائتلافيين ليس بالكبير ، ولأن رأس المال المالي العالمي قد أنشأ البورجوازية الرجعية في كل ناحية . ولكن لا يصح أن نعلن هذا التحول غير ممكن : فاذا ما ظهرت البروليتاريا الأوروبية عاجزة في غضون ٢٠ سنة ، وإذا ما انتهت الحرب الحالية بانتصارات كالانتصارات النابليونية وباستعباد جملة من الدول مقومية الزاخرة بالحيوية ، وإذا ما استمرت الأمبريالية غير الأوروبية (اليابانية والأميركية بالدرجة الأولى) بالبقاء كذلك فترة ٢٠ سنة دون أن تتحول إلى اشتراكية مثلاً بسبب حرب يابانية أميركية ، عندئذ يمكن حدوث حرب وطنية كبرى في أوروبا . وذلك يعني تطور أوروبا إلى الوراء بضعة عقود من السنين . هذ أمر غير محتمل . ولكنه ليس بالمستحيل لا لأن تصور التاريخ العالمي بشكل تقدم إلى الأمام ، متصل ومنتظم ، بدون قفزات كبرى الى الوراء في بعض الأحيان ، هو أمر مناف للديالكتيك ، مناف للعلم ، وغير صحيح نظرياً .

وبعد . إن الحروب الوطنية من جانب المستعمرات وأشباه المستعمرات في عصر الامبريالية ليست أمراً محتملاً وحسب ، إنما هي أمر محتوم . ويعيش في المستعمرات وأشباه المستعمرات (الصين ، تركيا ، إيران) حوالي ١٠٠٠ مليون نسمة ، أي أكثر من نصف سكان الأرض . والحركات الوطنية التحررية هي في المستعمرات وأشباه المستعمرات أما قوية جداً أو في طريق التعاظم والنضج . إن كل حرب هي استمرار للسياسة بوسائل أخرى . واستمرار السياسة الوطنية التحررية في المستعمرات لا بد أن يكون من جانبها حروباً وطنية ضد الأمبريالية . ومثل هذه الحروب قد تفضي أو لا تفضي إلى حرب أمبريالية بين الدول الأمبريالية « الكبرى » الحالية ، فذلك يتوقف على كثرة من الظروف .

واليكم المثل : تقاتلت انجلترا وفرنسا في حرب السبع سنوات ٦٢) من أجل المستعمرات ، أي انهما شنتا حرباً أمبريالية (هي في الإمكان على صعيد العبودية وعلى صعيد الرأسمالية البدائية ، كما انها في الإمكان على الصعيد الراهن للرأسمالية المتطورة جداً) . انهزمت فرنسا وخسرت جزءاً من مستعمراتها . وبعد مضي بضع سنوات بدأت الولايات الاميركية الشمالية حربها الوطنية التحررية ضد انجلترا وحدها . أما فرنسا واسبانيا اللتان ما تزالان تملكان أجزاء من الولايات المتحدة الحالية ، فقد استوحتا عداءهما لانجلترا ، أي مصالحهما الأمبريالية ، وعقدتا معاهدة ودية مع الولايات الثائرة على انجلترا . وقاتلت الجيوش الفرنسية الانجليز إلى جانب الجيوش الأميركية . ونحن هنا حيال حرب وطنية تحررية نرى فيها التنافس الأمبريالي أمراً عرضياً ، عنصراً ليس بذي بال ، على خلاف ما نرى في حرب سنوات ١٩١٤ ــ ١٩١٦ (فالعنصر الوطني في الحرب النمساوية ــ الصربية ليس بذي بال بالقياس إلى التنافس الأمبريالي ذي الأهمية الفاصلة) . ويتضح من ذلك ان من خطل الرأي تطبيق مفهوم الأمبريالية دون تفريق والخلوص منه إلى « استحالة » الحروب الوطنية .

إن الحرب الوطنية التحررية مثلاً ، حرب يخوضها حلف إيران والهند والصين ضد هذه أو تلك من الدول الأمبريالية ، هي أمر ممكن كل الإمكان ومحتمل ، لأن هذه الحرب تنبثق من الحركة الوطنية التحررية في هذه البلدان. هذا وتحول مثل هذه الحرب إلى حرب أمبريالية بين الدول الأمبريالية الراهنة يتوقف على ظروف معينة كثيرة من المضحك التأكيد بأنها ستحدث لا محالة .

ثالثاً ، من غير الجائز ان تعتبر الحروب الوطنية مستحيلة في عصر الأمبريالية حتى في أوروبا . إن « عصر الامبريالية » قد جعل من الحرب الحالية حرباً أمبريالية ، وستنبثق منه لا محالة (ما لم تحل الاشتراكية) حروب أمبريالية جديدة ، وقد طبع كامل سياسة الدول الكبرى الراهنة بالطابع الأمبريالي ، غير ان هذا « العصر » لا ينفي قطعاً الحروب الوطنية ، مثلاً من جانب الدول الصغيرة (فلنقل : الملحقة أو المظلومة وطنياً) ضد الدول الأمبريالية ، كما انه لا ينفي الحركات الوطنية على نطاق واسع في شرق أوروبا . فبصدد النمسا مثلاً يحكم يونيوس بعقل راجح، وهو لا يأخذ بعين الاعتبار الناحية «الاقتصادية» وحدها بل يأخذ بعين الاعتبـــار أيضاً الوضع السياسي الخاص ، مشيراً إلى « عدم حيوية الوضع الداخلي في النمسا » ، ومعترفاً بأن « ملكية هابسبورغ ليست بتنظيم سياسي لدولة برجوازية ، إنما هي نقابة ضعيفة الترابط لعدة زمر من الطفيليات الاجتماعية » ، وبأن « تصفية النمسا ــ المجر ليس ، من الناحية التاريخية ، أكثر من استمرار لانحلال تركيا وانهما معـــاً من مقتضيات مجرى التطور التاريخي » . والحـــالة بالنسبة لبعض الدول البلقانية وروسيا ليست أفضل . وإذا ما خارت قوى الدول « الكبرى » في الحرب الحالية لحد كبير ، أو في حالة انتصار الثورة في روسيا ، تصبح الحروب الوطنية ، حتى الحروب الوطنية المظفرة أمراً ممكناً كل الإمكان . أما تدخل الدول الأمبريالية فليس في الواقع بالأمر الممكن التحقيق في جميع الظروف ، هذا من جهة ، وعندما نكون ، من الجهة الأخرى ، حيال تفكير طائش : لا جدوى من حرب تشنها

دولة صغيرة ضد عملاق ، لا بد وأن نجيب بأن الحرب غير المجدية هي حرب على كل حال ، أضف إلى ذلك ان ظاهرات معينة في داخل «العملاق» ـ مثلاً، بداية ثورة ـ قد تجعل من الحرب « غير المجدية » حرباً « مجدية » جداً .

بينا تفاصيل خطأ الادعاء القائل: «لم يعد بالإمكان حدوث حروب وطنية». ونحن لم نفعل ذلك لمجرد كونه خطأ نظرياً بيناً . ومن الواضح انه فيما لو أخذ « اليساريون » يظهرون عدم اهتمام بالنظرية الماركسية عندما غدا تأسيس الأممية الثالثة أمراً لا يمكن تحقيقه إلا على أساس ماركسية غير مبتذلة ، لكان ذلك مدعاة للأسف الشديد . فهذا الخطأ مضر جداً من الناحية السياسية العملية : إذ يخلصون منه إلى دعاية بليدة بصدد « نزع الأسلحة » ، مدعين انه لم يعد بالإمكان حدوث حروب غير الحروب الرجعية ، ويخلصون منه أيضاً الى بلادة أكبر ، رجعية تماماً ، هي بلادة عدم الاكتراث بالحركات الوطنية . فعدم الاكتراث هذا يصبح من الشوفينية عندما يتشح أعضاء الأمم الأوروبية « الكبرى » أي الأمم التي تظلم جمهرة من الشعوب الصغيرة والمستعمرة ، بوشاح العلماء ويعلنون : « لم يعد بالإمكان حدوث حروب وطنية » . إن الحروب الوطنية ضد الدول الأمبريالية ليست ممكنة ومحتملة وحسب ، بل هي أمر محتوم تقدمي وثوري ، وإن كان نجاحها يتطلب ، طبعاً ، توحيد جهود عدد كبير من سكان البلدان المظلومة (مئات الملايين في مثل الهند والصين الذي ذكرناه) ، أو تشابك ظروف ملائمة جداً في الوضع الدولي (مثلاً ، عجز الدول الأمبريالية عن التدخل بسبب خور قواها أو اشتباكها في حرب أو بسبب تصادم مصالحها الخ .) ، أو انتفاضة تقوم بها في وقت معاً بروليتاريا إحدى الدول الكبرى ضد البورجوازية (والحالة الأخيرة في قائمة الحالات التي ذكرناها هى أفضل الحالات من وجهة نظر المطلوب والمفيد لانتصار البروليتاريا) .

الماركسية والانتفاضة

ف. لينـــين

رسالة الى اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي - الديمقراطي الروسي (البلشفي)

من شر التشويهات التي تقترفهـا الأحزاب « الاشتراكية » السائدة ، بحق الماركسية ، وقد يكون أوسع التشويهات انتشاراً ، هو الكذب الانتهازي الزاعم ان تحضير الانتفاضة ، وبوجه عام ، اعتبار الانتفاضة فناً ، إنمـا هو ضرب من « البلانكية » .

إن زعيم الانتهازية ، برنشتين ، قد اكتسب شهرة سيئة باتهامه الماركسية بالبلانكية . وفي الأساس نرى ان الانتهازيين الحاليين يزعقون بتهمة البلانكية لا يجددون ولا « يغنون » «في شيء» « أفكار » برنشتين الهزيلة .

اتهام الماركسيين بالبلانكية لأنهم يعتبرون الانتفاضة فناً ! فهل يمكن أن يكون ثمة تشويه للحقيقة أشد وضوحاً ! فمـا من ماركسي ينكر ان ماركس نفسه قد أبدى رأيه حول هـــذه المسألة بأكثر ما يكون من الدقة والوضوح

والجزم ، مسمياً الانتفاضة بالضبط فناً ، قائلاً إنه ينبغي اعتبارها فناً ، وانه ينبغي إحراز نجاح أول ، والمضي فيما بعد من نجـــاح إلى نجاح ، دون وقف الهجوم على العدو ، ومع استغلال بلبلته ، الخ . ، الخ . .

وفي سبيل النجاح ، ينبغي للانتفاضة ألا تعتمد على مؤامرة أو على حزب ، بل على الطبقة الطليعية . تلك هي النقطة الأولى . ينبغي للانتفاضة أن تعتمد على النهوض الثوري عند الشعب . تلك هي النقطة الثانية . ينبغي للانتفاضة أن تعتمد على انعطاف حاسم في تاريخ الثورة الصـــاعدة ، حين يبلغ نشاط الصفوف المتقدمة من الشعب ذروته ، حين تبلغ الترددات في صفوف أصدقاء الثورة الضعفاء ، الحائرين ، غير الحازمين ، أشدها . تلك هي النقطة الثالثة . إن الماركسية لتمتاز عن البلانكية لأنها تصوغ هذه الشروط الثلاثة بالذات عند طرحها مسألة الانتفاضة .

ولكن إذا توافرت هذه الشروط ، كان رفض اعتبار الانتفاضة فناً بمثابة خيانة للماركسية بمثابة خيانة للثورة .

ولكي نثبت ان الفترة الحالية هي بالضبط الفترة التي يجب فيها على الحزب بالضرورة أن يعترف بأن مجرى الأحداث الموضوعية قـد طرح الانتفاضة في جدول الأعمال وأن يعتبر الانتفاضة فناً ، لكي نثبت هذا قد يكون من الأحسن استخدام طريقة المقـــارنة ورسم مقابلة بين يومي ٣ و ٤ تموز (يوليو) وأيام أيلول (سبتمبر) .

في ٣ و ٤ تموز ، كان من الممكن والصائب وضع المسألة على النحو التالي : من الأصح استلام الحكم ، وإلا اتهمنا أعداؤنا حتماً بالانتفاضة وقمعونا كعصاة . ومع ذلك لم يكن من الممكن القول بضرورة استلام الحكم حينذاك ، لأن الشروط الموضوعية لانتصار الانتفاضة لم تكن متوافرة حينذاك .

١ ـ لمـّا تكن معنا الطبقة التي هي طليعة الثورة.

لما تكن معنا أغلبية العمال والجنود في العاصمتين . أما الآن فنحوزها في كل من سوفييتي العاصمتين. إن هذه الأغلبية قد ولدتها فقط حوادث تموز وآب (يوليو واغسطس) ، عن طريق تجربة أعمال « القمع » المسلط على البلاشفة ، وكذلك عن طريق تجربة فتنة كورينلوف .

٢ ـ لما يكن النهوض الثوري قد شمل حينذاك الشعب بأسره . أما الآن ، فقد تم ذلك ، بعد فتنة كورنيلوف . والدليل على ذلك ، الملحقات ، واستيلاء السوفيات على الحكم في العديد من الأماكن .

٣ ـ لما يكن حينذاك أعداؤنا والبرجوازية الصغيرة الحائرة قد أبدوا ترددات ذات مدئ سياسي عام خطير . أما اليوم ، فإن هذه الترددات كبيرة جداً : ان عدونا الرئيسي ، الأمبريالية المتحالفة والعالمية ـ لأن « الحلفاء » هم في رأس الأمبريالية العالمية ، ـ يتردد بين الحرب حتى النصر وبين صلح منفرد ضد روسيا ، وأصحابنا الديمقراطيين البرجوازيين الصغار ، الذين تبين انهم فقدوا الأكثرية في صفوف الشعب ، هم فريسة ترددات هائلة ، وقد تخلوا عن الكتلة ، أي عن الائتلاف مع الكاديت .

٤ ـ ولهذا ، لو أن الانتفاضة شبت في ٣ و ٤ تموز لكانت خطأ : فلا مادياً ، ولا سياسياً ، كان بوسعنا أن نحتفظ بالحكم . مادياً رغم أن بتروغراد كانت في أيدينا أحياناً ، لأن عمالنا وجنودنا أنفسهم ما كانوا ليقاتلون ويستشهدون في ذلك الحين بغية امتلاك المدينة : فما كانوا في مثل هذه الحالة من « الضراوة » كما هي حالتهم اليرم ، وما كان يغلي في صدورهم الحقد الضاري نفسه سواء على كيرنسكي واضرابه ، أو على تسيريتيلي وتشيرنوف وإضرابها . وما كان مناضلونا قد تمرسوا بتجربة القمع المسلط على البلاشفة بمساهمة الاشتراكيين الثوريين والمناشفة .

وسياسياً ، ما كان بوسعنا أن نحتفظ بالحكم في ٣ و ٤ تموز ، لأنه كان بإمكان الجيش والملحقات أن تزحف على بتروغراد ، قبل فتنة كورنيلوف .

أما الآن ، فاللوحة مغايرة تماماً .

فمعنا أغلبيـــة الطبقة ، طليعة الثورة ، طليعة الشعب ، التي تستطيع اجتذاب الجماهير .

معنا أغلبية الشعب ، لأن استقالة تشيرنوف هي أبرز وأوضح دليل ، وان لم تكن الدليل الوحيد، على ان الفلاحين لن يتلقوا الأرض من كتلة الاشتراكيين الثوريين (ولا من الاشتراكيين ـ الثوريين أنفسهم) . والحـــال ، على هذا يتوقف طابع الثورة الشعبي الشامل .

نحن نحظى الآن بأفضلية حزب يعرف تمـــام المعرفة السبيل الذي ينبغي سلوكه حين تبدو ترددات لا سابق لها في صفوف الامبريالية بكليتها وكتلة المناشفة والاشتراكيين ـ الثوريين بأسرها .

ان انتصارنا مضمون ، لأن الشعب على قيد شعرة من اليأس . ونحن دللنا الشعب بأسره على المخرج الصحيح إذ بينا له « في أيام فتنة كورنيلوف » أهمية قيادتنا ، ثم عرضنا على الكتلويين إجراء مساومة ، فرفضوا عرضنا ، ولكنهم ما يزالون يترددون .

وانه لمن فادح الخطأ الاعتقاد ان عرض المساومة لم يرفض حتى الآن ، وان « الاجتماع الديمقراطي » لا يزال في وسعه أن يقبله . لقد عرضت المساومة من حزب لاحزاب . ولم يكن بالإمكان عرضها على نحو آخر . فرفضتها الاحزاب. وليس الاجتماع الديمقراطي سوى اجتماع ، لا أكثر . وينبغي ألا ننسى شيئاً واحداً : هو أن أغلبية الشعب الثوري ، الفلاحين الفقراء الحانقين ، غير ممثلة في هذا الاجتماع . انه اجتماع أقلية الشعب ، تلك حقيقة بدهية لا يجوز نسيانها

فاذا اعتبرنا الاجتماع الديمقراطي برلمـــاناً ، اقترفنا شر خطأ ، ووقعنا في شر بلاهة برلمانية ، إذ أنه لا يقرر أي شيء ، حتى ولو أعلن نفسه برلمان الثورة الدائم ذا السيادة : فتقرير الامور لا يتوقف عليه ، بل على احيـــاء العمال في بتروغراد وموسكو .

ان جميع المقدمات الموضوعية لنجاح الانتفاضة على الترددات التي عذبت الشعب ، والتي هي أشد الاشياء تعذيباً في العالم ، ولا يعطي فيه غير انتصارنا سيحبط هذه المهزلة بعرضه علناً صلحاً أكمل ، وأعدل ، وأسرع ، صلحاً في صالح الثورة .

وأخيراً ، ان حزبنا وحـــده يستطيع إنقاذ بتروغراد بعد أن ينتصر في الانتفاضة ، لانه ، إذا رفض عرض الصلح الذي نتقدم به وإذا لم نحصل حتى على هدنة ، غدونا نحن من « أنصار الدفاع » وسرنا في طليعة احزاب الحرب ، ضراوة ، وخضنا الحرب بصورة ثورية حقاً ، وانتزعنا كل الخبز وكل الجزمات من الرأسماليين ، وتركنا لهم الفتائت وأحذيناهم الاحذية من لحاء الشجر ، وأعطينا الجبهة كل الخبز وكل الاحذية .

وإذ ذاك نحتفظ ببتروغراد .

وما تزال في روسيا موارد هائلة ، مادية ومعنوية، لخوض حرب ثورية حقاً. وثمة ٩٩ بالمئة من الاحتمالات أن يمنحنا الالمان هدنة على الأقل . والحال ، إن الحصول الآن على هدنة ، إنما يعني التغلب على العالم بأسره .

• • •

إننا، إذ ندرك ان من الضروري إطلاقاً أن يقوم عمال بتروغراد وموسكو بانتفاضة في سبيل إنقاذ الثورة وفي سبيل إنقاذ روسيا من تقاسم « منفرد »

بين أمبرياليي الكتلتين، يترتب علينا بادىء الأمر أن نكيف تاكتيكنا السياسي في الاجتماع وفقاً لشروط الانتفاضة التي تتصـــاعد ، ومن ثم يترتب علينا أن نثبت إننا لا نكتفي بالموافقـــة قولاً فقط على فكرة ماركس حول ضرورة اعتبار الانتفاضة فناً .

وعلينا ، في الاجتماع ، منذ البدء ، أن نشد من لحمة الكتلة البلشفية ، دون الركض وراء العدد ، دون الخشيـــة من ترك المتمردين في معسكر المتمردين : فهناك يكونون أوفر فائدة لقضية الثورة مما لو كانوا في معسكر المكافحـــين المفعمين بروح الحزم والتفاني .

يترتب علينا أن نضع بياناً موجزاً باسم البلاشفة ، نشير فيه بأشد ما يكون من الجزم إلى انه ليس من المناسب إلقاء الخطب الطويلة و « الخطب » بوجـه عام ، إلى انه من الضروري القيام بعمل فوري في سبيل إنقاذ الثورة ، إلى أنه من الضروري إطلاقاً إجراء قطيعة تامة مع البرجوازية ، وخلع كل الحكومة الحاليه خلعاً ، وإجراء قطيعة تامـــة مع الأمبرياليين الانجلو ـ فرنسيين الذين يهيئون تقاسم سوريا بصورة « منفردة » ، إلى انه من الضروري انتقـــال كل السلطة فوراً الى الديمقراطية الثورية التي تترأسها البروليتاريا الثورية .

ينبغي أن يصوغ بياننا ، بصورة موجزة قاطعة قدر الإمكان ، وبالارتباط مع مشاريـــع برنامجنا ، الاستنتاج التالي : السلام للشعوب ، الأرض للفلاحين ، مصادرة الارباح الرأسمالية الفاضحة ، كبح جماح الرأسماليين الذين يخربون الانتاج بصورة فاضحة .

وكلما كان هذا البيان موجزاً وقاطعاً ، كان ذلك أحسن . إنما ينبغي أيضاً فقط أن نشير فيه وضوح إلى نقطتين على جانب كبير من الاهمية : ان الترددات قد عذبت الشعب إلى أقصى حـــد ، وإن تذبذبات الاشتراكيين ـ الثوريين

والمناشفة قد عذبته تعذيباً ، ولذا نقطع نهائيـاً كل صلة لنا مع هذين الحزبين لأنهما خانا الثورة .

النقطة الثانية : إننا ، إذ نعرض فوراً صلحاً بدون إلحاقات ، وإذ نقطع فوراً كل صلة مع الامبرياليين الحلفاء وجميع الامبرياليين الآخرين ، إنما نحصل فوراً إما على هدنة ، وإما على تبني كل البروليتاريا الثورية وجهة نظر الدفاع وعلى قيام الديمقراطية الثورية ، تحت قيادة البروليتاريا الثورية ، بحرب عادلة حقاً ، ثورية حقاً .

وبعد تلاوة هذا البيان ، بعد الدعوة الى التقرير لا إلى الكلام ، إلى العمل لا إلى تدبيج القرارات، ينبغي علينا أن نوجه كل كتلتنا إلى المعامل والثكنات: فهناك مكانها ، هناك عصب الحياة ، هناك مصدر خلاص الثورة ، هناك محرك الاجتماع الديمقراطي .

هناك ، في خطابات حماسية ، متأججة ، ينبغي علينا أن نوضح برنامجنا وأن نطرح المسألة على النحو التالي : أمـــا قبول الاجتماع هذا البرنامج قبولاً تاماً ، وأما الانتفاضة . وليس ثمة من حل وسط ويستحيل الانتظار . فالثورة بسبيل الهلاك .

بطرح المسألة على هــذا النحو ، وتركيز كل نشاط كتلتنا في المعـــامل والثكنات ، سنعرف كيف نختار اللحظة المناسبة للقيام بالانتفاضة .

ولكي ننظر الى الانتفاضة نظرة ماركسية ، أي لكي نعتبرها فناً ، ينبغي علينا ، في الوقت نفسه ، ألا نضيع أي دقيقة ، فننظم هيئة أركان لفصـــائل الثوار ، ونوزع قوانا ، ونوجه الأفواج الأمينـــة نحو أهم النقاط ، ونطوق آلسكندرينكا، ونحتل بتروبافلوفكا، ونعتقل هيئة الاركان العامة والحكومة ونرسل ضد اليونكر والفرقة الوحشية فصائل يستطيع أفرادهـــا التضحية

بحياتهم ولا يدعون العدو يمر نحو النقاط الهامة من المدينة . ينبغي علينا أن نعبىء العمال المسلحين ، وندعوهم الى خوض معركة مستميتة أخيرة ، ينبغي أن نحتل دفعة واحدة التلغراف والتلفون ، وأن نقيم هيئة أركاننا نحن الثورية عند المركز التلفوني ، وأن نربطه تلفونياً بجميع المعـــامل والمصانع ، بجميع الأفواج ، بجميع النقاط التي سيجري فيها النضال المسلح ، الخ . .

وطبيعي إن كل ما قيل ما هو إلا من باب الإشارة لكي نبين إننا لا نستطيع في الفترة التى نمر بها ، أن نبقى أمناء للماركسية ، أن نبقى أمناء للثورة ، إذا لم نعتبر الانتفاضة فناً .

تحرير شعوب الشرق

ف. لينــــين

تقرير في المؤتمر الثاني لعامة روسيا للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق

٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩١٩ .

. . . وها نحن نرى في النهاية انتصار روسيا السوفياتية التام على كولتشاك. ولا مراء في أن ذلك دليل عملي يبرهن ان تضافر قوى العمال والفــــلاحين المتحررين من نير الرأسماليين يأتي بالعجائب حقاً. نحن هنا حيال دليل عملي يبرهن ان الحرب الثورية التي تجذب فعلاً جماهير الكادحين المستثمرين فيرون فيها مصلحتهم وتجعلهم يدركون انهم يناضلون ضد المستثمرين تشحــذ الهمم وتبعث القدرة على الاتيان بالمعجزات .

وإني أعتقد ان مــــا حققه الجيش الأحمر ، ان نضاله وتاريخ انتصاره ، سيكون بالنسبة لجميع شعوب الشرق ذا أهمية عالمية قصوى: فهو يظهر لشعوب الشرق ان الحرب الثورية التي تشنها الشعوب المظلومة ، مهما بلغت هذه الشعوب

من الضعف ، ومهما بدا ان قوة الظالمين الأوروبيين الذين يستخدمون في النضال جميع معجزات التكتيك والفن العسكري لا تقهر ، تنطوي مع ذلك ، اذا ما أيقظت حقاً الملايين من الكادحين والمستثمرين ، على إمكانيات، على معجزات تجعل تحرير شعوب الشرق في الوقت الحاضر أمراً ممكن التحقيق من الناحية العملية كل الإمكان لا من وجهة نظر آفاق الثورة العالمية وحسب ، بل مباشرة أيضاً ، من وجهة النظر التجربة العسكرية التي جرب في آسيا ، في سيبريا من قبل الجمهورية السوفياتية التي غزتها جميع البلدان الامبريالية القوية .

وعدا ذلك فان تجربة الحرب الاهلية في روسيا قد أظهرت لنا وللشيوعيين في جميع البلدان ان المتانة الداخلية القوية تنشأ في نيران الحرب الاهلية مع تعاظم الحماسة الثورية . فالحرب هي امتحان لجميع قوى الأمة من اقتصادية وتنظيمية . وعلى الرغم من كل مـا عاناه العمال والفلاحون من قسوة الحرب ، على الرغم من كل ما عانوه من جوع وبرد ، يمكننا في نهاية الأمر أن نقول بعد خبرة سنتين واستناداً على خبرة سنتين إننا ننتصر وسننتصر ، لأن لدينا مؤخرة ، ولأنها مؤخرة قوية ، وان الفلاحين والعمال متضافرون على الرغم من الجوع والبرد ، وان ساعدهم قد اشتد ، وانهم يردون على كل ضربة قوية برص قواهم بدرجة أكبر وبزيادة قوتهم الاقتصـــادية ، ولولا ذلك لكانت الانتصارات على كولتشاك ويودينيتش وحلفائهما ـ أقوى دول العالم ـ أمراً مستحيلاً . تظهر لنا السنتان المنصرمتان ، من جهة ، إمكانية تعاظم الحرب الثورية ، ومن الجهة الأخرى ، توطد السلطة السوفييتية تحت الضربات القاصمة التي تتلقاها من الغزو الاجنبي الذي يستهدف إطفاء موقد الثورة بسرعة وتحطيم جمهورية العمال والفلاحين الذين تجرأوا وأشهروا الحرب على الامبريالية العالمية . ولكنهم ، بدلاً من فل عزائم عمال روسيا وفلاحيهـــا ، لم يفعلوا غير تشديد عزائمهم .

هذه هي النتائج الرئيسية ، وهـــذا هو المضمون الرئيسي للظرف الذي نجتازه . لقد أشرفنا على انتصارات حاسمة نحرزها على دينيكين ، العــدو الاخير الذي بقي في أراضينا . ونحن نحس إننا أقوياء ، ويمكننا أن نكرر ألف مرة اننا لا نخطىء عندما نقول ان بناء الجمهورية الداخلي قد توطد ، واننا سنخرج من الحرب ضد دينيكين أقوى جداً وأكثر استعداداً لتحقيق مهام بناء الصرح الاشتراكي ، هذا البناء الذي لم يمكننا أن نوجـه اليه في زمن الحرب الاهلية غير القليل القليل من الوقت والقوى ، والذي سيضبح بامكاننا الآن فقط ، إذ نخرج الى الطريق الحرة ، أن نتوجـــه اليه ، دونما شك ، بكليتنا .

نرى في أوروبا الغربية تفسخ الامبريالية . فمنذ سنة مضت كان يخيل حتى للاشتراكيين الالمان ، كما تعلمون ، وللاكثرية الكبرى من الاشتراكيين الذين لم يفهموا مجرى الامور. ان النضـــال يجري بين فريقي الامبريالية العالمية وكانوا يعتقدون بأن هذا النضال قد ملأ التاريخ، وانه لا توجد قوى يمكنها أن تعطي شيئاً آخر ، وقد بدا لهم انة لم يبق حق للاشتراكيين ما يفعلون غير الانضمام إلى أحد فريقي الضواري الامبرياليين الاقوياء العالميين . هذا ما كان يبدو في أواخر اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩١٨ . ولكننا نرى ان التاريخ العالمي قد شاهد خلال السنة المنصرمة ظاهرات منقطعة النظـــير ، ظاهرات واسعة وعميقة فتحت عيون الكثيرين من أولئـــك الاشتراكيين الذين كانوا في زمن الحرب الامبريالية وطنيين وبرروا سلوكهم بدعوى انهم يواجهون عدواً ، برروا التحالف مع الامبرياليين الانجليز والفرنسيين زاعمـين انهم يحملون التحرر من الامبريالية الالمانية . يا لمبلغ الاوهام التي بددتها هذه الحرب ! نحن نرى تفسخ الأمبرلية الالمانية تفسخاً لم يسفر عن ثورة جمهورية وحسب ، بل أسفر أيضاً عن ثورة اشتراكية . أنتم تعلمون ان نضال الطبقات في المانيـــا قد اشتد في الوقت الحاضر وإن الحرب الأهلية ، نضال للبروليتاريا الالمانية ضد الامبرياليين

الالمان الذين صبغوا أنفسهم باللون الجمهوري وظلوا مع ذلك ممثلين للأمبريالية تقترب أكثر فأكثر .

يعلم الجميع أن الثورة الاجتماعية تنضج في أوروبا الغربية لا من يوم ليوم ، بل من ساعة لأخرى وإن الشيء نفسه يجري في أمريكا وانجلترا ، في هذين البلدين اللذين يزعم إنهما ممثلا الحضارة والمدنية ، في البلدين المنتصرين على الهون – الامبرياليين الالمان – ، وحينما حان حين صلح فرساي ٧٩ (رأى الجميع أن طابع النهب في صلح فرساي أوضح بمئة مرة من طابع النهب في صلح بريست ٨٠) الذي فرضه علينا النهابون الالمان ، وإن صلح فرساي هذا هو أكبر ضربة أمكن للرأسماليين والامبرياليين في هذين البلدين المنتصرين السيئي الطالع أن يوجهوها لأنفسهم . لقد فتح صلح فرساي عيون الامم المنتصرة بالذات ، وبرهن إننا لسنا حيال ممثلي الحضارة والمدنية ، إنما نحن حيال انجلترا وفرنسا يحكمها ضوار أمبرياليون ، وإن كانتا دولتين ديمقراطيتين . والنضال الداخلي لدى هؤلاء الضواري يتطور بسرعة تثلج صدورنا ، علماً منا إن صلح فرساي ليس أكثر من انتصار ظاهري للامبرياليين المظفرين ، وانه يعني في الواقع انهيار العالم الامبريالي كله وابتعاد جماهير الكادحين بحزم عن أولئك الاشتراكيين الذين كانوا أثناء الحرب في تحالف مع ممثلي الامبريالية المتعفنة ودافعوا عن فريق من فريقي الضواري المتصارعين . لقد تفتحت عيون الكادحين لأن صلح فرساي قد جاء صلح نهب ، وأظهر ان انجلترا وفرنسا قد حاربتا في الواقع ضد المانيا بغية توطيد سيطرتها على المستعمرات وتعزيز قوتها الامبريالية . ويتسع هذا النضال الداخلي سيراً مع تطوره . لقد اتفق لي اليوم ان رأيت برقية صدرت بالراديو عن لندن في ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) يقول فيها صحفيون أمريكان – وهم أناس لا سبيل إلى اتهامهم بتحبيذ الثوريين – انه تلاحظ في فرنسا فورة من الحقد على الامريكان منقطعة النظير ، لأن الأمريكان يرفضون اقرار معاهدة فرساي .

لقد انتصرت انجلترا وفرنسا ، ولكنهما مدينتان لأمريكا ، غارقتـــان في ديون أمريكا التي قررت انه كيفما حسب الفرنسيون والانجليز انهم منتصرون ، ينبغي لها أن تسحب القشطة وأن تحصل على الفائدة وأكثر من الفائدة لقـــاء المساعدة التي قدمتها في زمن الحرب ، وان من شأن الأسطول الاميركي الجاري بناؤه في الوقت الحاضر والذي يسبق الأسطول الانجليزي من حيث حجمه أن يكون الضامن والكفيل . ومما يدل على ان أمبريالية الامريكيين الضارية تسلك هذا السلوك الفظ ، كون عملاء أمريكا يشترون السلع البشرية ، النساء والفتيات ويصدرونها الى أمريكا كي تروج سوق الدعارة. ان أمريكا الحرة المتحضرة تزود بيوت الدعارة بالسلع الحية ! في بولونيـا وبلجيكا تحدث المنازعات مع العملاء الامريكيين . وما ذلك غير صورة بيانية لما يحدث على نطاق واسع في كل بلد صغير تلقى المساعدة من الحلفاء . فلنأخذ بولونيا مثلاً . أنتم ترون إن العملاء والمضاربين الأمريكان يظهرون فيها ويشترون جميع ثروات بولونيا التي تتبجح بأنها غدت الآن دولة ذات كيان مستقل . عملاء أمريكا يشترون بولونيا. لم يبق خارج جيوب الأمريكان أي مصنع من المصانع أو معمل من المعامل أو فرع من فروع الصناعة . وقد بلغ من قحة أمريكا ان أخذت تستعبد فرنسا « العظمى الحرة المظفرة » التي كانت سابقاً بلاد المرابين فأصبحت الآن مديونة لأمريكا في كل ناحية ، لأنها فقدت قواهـــا الاقتصادية وغدت لا تستطيع أن تكفي نفسها لا بحبوبها ولا بفحمها ، لا تستطيع أن تطور قواها المادية على نطـــاق واسع ، هذا في حين تطلب أمريكا دفع الجزية كاملة وبدون أخـــذ ورد . وهكذا يظهر أوضح فأوضح ان الاقتصاد ينهار في فرنسا وانجلترا وغيرهما من البلدان القوية . وفي فرنسا رجحت كفة الاكليركيين في الانتخابات . والشعب الفرنسي الذي انخدع إذ أوهم بأنه ينبغي له أن يبذل كل قواه ضد المانيا باسم الحرية والديمقراطية قد كوفىء الآن بديون فوق ديون وبسخرية الضـواري الامبرياليين الامريكان ، وفوق ذلك بأكثرية اكليركية من ممثلي أفظع الرجعية.

أصبح الوضع في العالم كله مشوشاً إلى أبعد حدود التشويش . ان انتصارنا على كولتشاك ويودينيتش ، ان انتصارنا على خادمي رأس المال العالمي هذين ، هو انتصار كبير ، غير ان الانتصار الذي نحرزه في النطاق العالمي هو انتصار أكبر بكثير ، وان لم يبد واضحاً بعد . فهـــذا الانتصار يتلخص في التفسخ الداخلي للأمبريالية التي غدت عاجزة عن إرسال جيوشها ضدنا . لقد جربت دول الحف ذلك ، ولم تستطع شيئاً لأن الانحـلال كان يصيب جيوشها عندما تلتقي بجيوشنا وتطلع على دستورنا السوفيتي الروسي مترجماً الى لغاتهـــا . فدستورنا سيحظى دائمـاً بتحبيذ جماهير الكادحين على الرغم من تأثير زعماء الاشتراكية المتعفنة . أصبحت كلمة « سوفييت » مفهومــة الآن من الجميع ، وترجم الدستور السوفييتي إلى جميع اللغات واطلع عليه كل عامل . ويعرف العامل انه دستور الكادحين ، وان هـــذا النظام السياسي هو نظام سياسي للكادحين الداعين الى الانتصار على رأس المال العالمي ، يعرف ان هذا الدستور ظفر أحرزناه نحن على الامبرياليين العالميين . إن لانتصارنا هذا صداه في كل بلد من البلدان الامبريالية ما دمنا قد انتزعنا منه جيوشه ، ما دمنا قد اكتسبناها، وما دمنا قد أزلنا إمكانية دفعها ضد روسيا السوفييتية .

لقد جربوا مقاتلتنا بجيوش الغير، بجيوش فنلندا وبولونيا ولاتفيا، ولكنهم لم يصلوا أيضاً الى نتيجة . ومنذ عدة أسابيع ألقى الوزير الانجليزي تشرشل خطاباً في المجلس وتبجح – وقد أرسلت بذلك البرقيـــات إلى شتى أصقاع العالم – معلناً انه قـــد جرى تنظيم زحف أربعة عشر شعباً ضد روسيا السوفييتية ، وان ذلك سينتهي بالانتصار على روسيا في عشية السنة الجديدة . والواقع ان شعوباً كثيرة قد اشتركت في هذا الزحف : فنلندا وأوكرانيـــا وبولونيا وجورجيا ، والتشيكوسلوفاكيون واليابانيون والفرنسيون والانجليز والالمان . ولكننا نعلم ما آل اليه كل ذلك ! نحن نعلم ان الاستونيين قد تركوا جيوش يودينيتش ، وان جدالاً مسعوراً يدور الآن على صفحات الجرائد

سببه عدم رغبة الاستونيين بمساعدة يودينيتش ، أما فنلندا ، فلم تقدم ايضاً مساعدة ليردينيتش على الرغم من شديد رغبة برجوازيتها بمساعدته. وهكذا فشلت المحاولة الثانية للضغط علينا . لقــــد كانت المرحلة الأولى إرسال دول الحلفاء لجيوشها الخاصة مجهزة بكل ما ينبغي من العتاد الحربي حتى بدا انهــا ستنتصر على الجمهورية السوفييتية . لقد تركت هـــذه الجيوش القفقــاس وآرخانغلسك والقرم، وهي ما تزال في مورمان كما لا يزال التشيكوسلوفاكيون في سبيريا ، ولكن هذه الجيوش أشبه بجزائر صغيرة . ان المحاولة الاولى التي قامت بها دول الحلفاء للانتصار علينا بجيوشهـــا الخاصة قد انتهت بانتصارنا . وكانت المحاولة الثانية تتلخص بأن ترسل ضدنا الامم المجاورة لنا والتي توجد من الناحية المالية في حالة تبعية تامة لدول الحلفاء وبارغامها على خنقنا بوصفنا عش الاشتراكية . ولكن هذه المحاولة قد انتهت أيضاً بالإخفاق : فقد اتضح انه لا توجد دولة من هذه الدول الصغيرة في طاقتها أن تشن مثل هذه الحرب . أضف إلى ذلك ان الحقد على دول الحلفاء قد اشتد في كل دولة صغيرة . واذا كانت فنلندا لم تهاجم بتروغراد للاستيلاء عليها عندما استولى يودينيتش على كرا اسنويه سيلو ، فذلك لأنها ترددت ورأت انها تستطيع أن تعيش مستقلة إلى جانب روسيا السوفييتية ، بينما لا تستطيع أن تعيش مستقلة الى جـانب الحلفاء بسلام . وهذا ما كابدته جميع الشعوب الصغيرة . تكابد ذلك فنلندا ولتوانيا واستلندا وبولونيا ، حيث تسيطر الشوفينية سيطرة تامة ولكن مع وجود الحقد على الحلف الذي جعل يوسع في هذه البلدان استثماره . وفي وسعنا الآن أن نقول دون أي مغالاة على أساس الدقة في النظر لمجرى الأحداث ، ان الاخفاق لم يصب فقط المرحلة الاولى من الحرب الدولية الموجهة ضد الجمهورية السوفييتية ، إنما أصاب أيضاً مرحلتها الثانية. بقي علينا الآن أن نهزم جيوش دينيكين ، وقد حققنا نصف هذا العمل .

هذا هو الوضع الدولي والروسي الراهن الذي وصفته باقتضاب في تقريري . فاسمحوا لي أن أتناول في الختام الوضع الناشىء حيال قوميات الشرق . أنتم تمثلون منظمات شيوعية وأحزابـاً شيوعية تنتسب لمختلف شعوب الشرق . وينبغي لي أن أقول انه إذا تيسر للبلاشفة الروس احداث صدع في الامبريالية القديمة ، إذا تيسر لهم القيام بمهمة في منتهى العسر وان تكن في منتهى النبل هي مهمة احداث طرق جديدة في الثورة ، ففي انتظاركم أنتم ممثلي جماهير الكادحين في الشرق مهمة أعظم وأكثر جدة . إذ يتضح كل الوضوح ان الثورة الاشتراكية التي تتقدم في جميع رقاع العالم لن تكون قط مجرد انتصار للبروليتاريا في أي بلد من البلدان على برجوازيتها . فلو كانت الثورات تجري بسهولة وسرعة لكان ذلك من الأمور الممكنة . ونحن نعلم ان الامبرياليين لن يسمحوا بذلك، وان جميع البلدان مسلحة ضد بلشفيتها الداخلية وان تفكيرها يتجه كله إلى الانتصار على البلشفية في ديارهـا . ولذلك تنشأ في كل بلد من البلدان حرب أهلية يجذب للاشتراك فيها إلى جانب البرجوازية الاشتراكيون القدماء دعاة الوئام . وعلى ذلك فالثورة الاشتراكية لن تكون لا كليـاً ولا بصورة رئيسية عبارة عن نضال البروليتاريين الثوريين في كل بلد من البلدن ضد برجوازيتهم ، قطعا ، إنما ستكون نضالاً من قبل جميع المستعمرات والبلدان التي تظلمها الأمبريالية ، نضالاً من قبل جميع البلدان التـابعة ضد الأمبريالية العالمية . في برنامج حزبنـا المصادق عليه في شهر مارس (آذار) من السنة الجارية وصفنا اقتراب الثورة الاجتماعية العالمية بقولنا ان حرب الكادحين الاهلية ضد الأمبرياليين والمستثمرين أخذت في جميع البلدان المتقدمة ترتبط بالحروب الوطنية ضد الأمبريالية العالمية . يؤكد ذلك مجرى الثورة وسيؤكدة أقوى فأقوى . وسيحدث الشيء نفسه في الشرق أيضاً .

نحن نعلم ان الجماهير الشعبية في الشرق ستنهض مستقلة بوصفها صانعة الحياة الجديدة، لأن مئات الملايين من سكان الشرق تنتسب الى الامم التابعة والمهضومة الحقوق التي كانت حتى اليوم هدفاً لسياسة الأمبريالية الدولية ، والتي لم يكن

لها وجود في نظر الحضارة والمدنية الرأسماليتين إلا بصفة سماد . ونحن نعلم حق العلم انهم عندما يتحدثون عن توزيع الانتدابات على المستعمرات ، فإنما يعنون توزيع الانتدابات للسلب والنهب ، إعطاء أقلية ضئيلة من سكان الارض حق استثمار الأكثرية من سكان الكرة الأرضية . وهذه الأكثرية التي ظلت حتى اليوم بصورة تامة خارج إطار التقدم التاريخي لأنه لم يكن بوسعها أن تمثل قوة ثورية مستقلة ، قد كفت في أوائل القرن العشرين ، ونحن نعلم ذلك ، عن أن تلعب هذا الدور السلبي . فنحن نعلم انه عقب سنة ١٩٠٥ وقعت الثورات في تركيا وإيران والصين ، وإن الحركة الثورية قد تطورت في الهند . وإن الحرب الأمبريالية قد مهدت بدورها لتعاظم الحركة الثورية ، إذ أنه تأتى إشراك كتائب كاملة من الشعوب المستعمرة في صراع الأمبرياليين الأوروبيين، وأيقظت الحرب الأمبريالية الشرق أيضاً . وجذبت شعوبه الى لجة السياسة الدولية . لقد سلحت انجلترا وفرنسا الشعوب المستعمرة وفسحتا لها مجال الاطلاع على العتاد الحربي والماكينات الحديثة . وتستخدم هذه الشعوب معرفتها هذه في النضال ضد السادة الامبرياليين . وفي أثر مرحلة استيقاظ الشرق ستحل في الثورة المعاصرة مرحلة اشتراك جميع شعوب الشرق في تقرير مصائر العالم كله ، لكيلا تكون مجرد وسيلة للاثراء . ان شعوب الشرق تستيقظ لكيما تعمل حقاً وفعلاً ولكيما يسهم كل شعب في تقرير مصير البشرية بأسرها .

ولهذا أعتقد انه سيترتب عليكم في تاريخ تطور الثورة العالمية التي ستستمر سنوات عديدة وتتطلب جهوداً كثيرة إذا حكمنا على أساس البداية ، سيترتب عليكم أن تلعبوا في النضال الثوري وفي الحركة الثورية دوراً كبيراً ، وأن تندمجوا في نضالنا ضد الامبريالية العالمية . إن اشتراككم في الثورة العالمية سيضعكم أمام مهمة عسيرة ومعقدة يكون النجاح في تحقيقها أساساً للنجاح العام، لأن أكثرية السكان تصير في هذه الحالة ولأول مرة حركة مستقلة وتصبح عاملاً فعالاً في النضال لإسقاط الامبريالية العالمية .

إن أكثرية شعوب الشرق في وضع أسوأ من وضع أكثر بلدان أوروبـــا تأخراً – روسيا، غير انه تيسر لنا أن نوحد الفلاحين والعمال الروس في النضال ضد بقايا الاقطاعية وضد الرأسمالية ، فسار نضالنا بهذه السهولة ، لأن الفلاحين والعمال قد اتحدوا ضد رأس المال والاقطاعية . إن الارتباط مع شعوب الشرق هو هنا ذو أهمية فاصلة . ذلك لأن أكثرية شعوب الشرق تمثل أصـــدق تمثيل جماهير الكادحين – لا العمال الذين اجتازوا مدرسة المصانع والمعامل الرأسمالية – إنما جماهير الفلاحين الكادحين المستثمَرين الرازحين تحت وطـأة ظلم القرون الوسطى . لقـــد أظهرت الثورة الروسية أن البروليتاريين الذين تغلبوا على الرأسمالية وتضافروا مع الجماهير الغفيرة من الفلاحين الكادحين المبعثرين قـــد هبوا ضـــد مظالم القرون الوسطى مظفرين . وينبغي على جمهوريتنا السوفييتية الآن أن ترص حولها جميـــع شعوب الشرق المستيقظة كي تناضل مع هـــذه الشعوب ضد الامبريالية العالمية .

وفي هذا الحقل تواجهكم مهمة لم تواجه الشيوعيين في العالم كله من قبـل : ينبغي لكم أن تستندوا في الميدانين النظري والعملي على التعاليم الشيوعية العامة وأن تأخذوا بعين الاعتبار الظروف الخاصة غير الموجودة في البلدان الاوروبية كي يصبح بإمكانكم تطبيق هذه التعاليم في الميدانين النظري والعملي في ظروف يؤلف فيها الفلاحون الجمهور الرئيسي وتطرح فيها مهمة النضـال لا ضد رأس المال ، بل ضد بقايا القرون الوسطى . وهذه مهمة عسيرة ذات طابع خاص ، غير انها مهمة تعطي أطيب الثمرات ، إذ تجذب إلى النضال تلك الجماهير التي لم يسبق لها أن اشتركت في النضال ، وتتيح لكم من الجهـة الاخرى الارتباط أوثق ارتباط بالأممية الثالثة بفضل تنظيم الخـلايا الشيوعية في الشرق . ينبغي لكم أن توجدوا أشكالاً خاصة لهذا التحالف بين البروليتاريين الطليعيين في العالم كله وجماهير الكادحين والمستثمرين في الشرق الذين غالباً ما يعيشون في ظروف

القرون الوسطى . لقد حققنا في بلادنا على نطاق صغير ما ستحققونه أنتم في بلدان كبيرة وعلى نطاق كبير . وإني آمل أن تحققوا هذه المهمة الثانية بنجاح أيضاً . إن لديكم بفضل المنظمات الشيوعية الموجودة في بلدان الشرق والتي تمثلونها أنتم هنا ، ارتباطاً بالبروليتاريا الثورية المتقدمة . والمهمة التي تواجهكم هي أن تواصلوا بذل الجهود بغية استمرار الدعاية الشيوعية في داخل كل بلد من البلدان باللغة التي يفهمها الشعب .

وغني عن القول انه لن يحرز الانتصار النهائي غير بروليتاريا جميع بلدان العالم الراقية . ونحن الروس نبدأ القضية التي ستعززها البروليتاريا الانجليزية ، الفرنسية أو الألمانية ، ولكننا نرى أن هذه البروليتاريا لن تحرز النصر بدون مساعدة جماهير الكادحين في جميع الشعوب المستعمره المظلومة ، وفي مقدمتها شعوب الشرق . ينبغي لنا أن ندرك كل الإدراك أنه لا يمكن للطليعة وحدها أن تحقق الانتقال إلى الشيوعية . المهمة هي أن نوقظ في جماهير الكادحين النشاط الثوري الذي يحفزها إلى العمل والتنظيم بصرف النظر عن مستوى هذه الجماهير ، وأن ننقل إلى لغة كل شعب التعاليم الشيوعية الحقيقية المعدة للشيوعيين في البلدان الأرقى وأن نحقق المهام العملية التي تتطلب التحقيق دون إبطاء وأن نندمج في النضال العام مع بروليتاريا البلدان الأخرى .

هذه هي القضايا التي لا تجدون حلولاً لها في أي كتاب من كتب الشيوعية ، ولكنكم تجدون حلولها في النضال العام الذي بدأته روسيا . لا بد لكم من وضع هذه القضية ومن حلها بخبرتكم الخاصة ، وسيساعدكم في ذلك من جهة التحالف الوثيق مع طليعة جميع الكادحين في البلدان الأخرى ، ومن الجهة الأخرى ، معرفة التقرب من شعوب الشرق التي تمثلونها هنا . لا بد لكم أن تستندوا على القومية البرجوازية التي تستيقظ لدى هذه الشعوب والتي لا بد لها أن تستيقظ والتي لها مبرر تاريخي . وينبغي لكم في الوقت نفسه أن تشقوا طريقكم إلى جماهير الكادحين والمستثمرين في كل بلد من البلدان وأن تعلنوا لها

باللغة التي تفهمها انه لا سبيل إلى الخلاص غير سبيل انتصار الثورة العالمية ، وان البروليتاريا العالمية هي الحليف الوحيد لجميع جماهير الكادحين ولمئات الملايين من المستثمرين من شعوب الشرق .

هذه هي القضية التي تواجهكم ، وهي قضية ذات سمو خارق ، ولا بد للجهود المشتركة التي تبذلها منظمات الشرق الشيوعية ان تحلها بنجاح بفضل الثورة وتعاظم الحركة الثورية – وهو أمر لا ينفذ اليه الشك – وأن تسير بها حتى الانتصار التام على الامبريالية العالمية .

البَابُ الثَّاني

التجارِبُ وَالنظريّات المعَاصِرَة



١ - الاتحاد السوفياتي

الانصار السوفيات في الحرب العالمية الثانية

أ. فيودوروف

كان الألمان يعدون هجومهم . وقد أصبح الجزء الغربي من أوكرانيا منطقة حرب . ورغم ان طائرات العدو قامت بعشرات التحليقات فوق تشرنيكوف وقصفت مدن المنطقة مراراً ؛ فقد كان يبدو لنا نحن زعماء منطقة تشرنيكوف انه من المستحيل أن يتمكن الالمان من اختراق منطقتنا في قلب أوكرانيا .

ولقد قلت في اجتماع لعمال محطة شرنيكوف للخطوط الحديدية إنه لا يمكن للفاشيين أن يصلوا إلى قريتنا وانه يمكننا متابعة عملنا بهدوء . وكنت حقاً أعتقد ذلك .

وعندما عدت من ذلك الاجتماع الى مقر لجنة المنطقة علمت ان الرفيق كوروتشكو ، وهو سكرتير لجنة أوكرانيا المركزية ، قد رجع من كييف . لم يمكث سوى يوم واحد في تشرنيكوف . وقد ساعد المنظمات المحلية على تحديد السكان والمعدات الصناعية والأشياء الثمينة التي سيتم إخلاؤها أولاً .

ونصحنا بأن نسجل أسماء الأشخاص الذين كانوا أنصار في الحرب الاهلية لأن « خبرتهم ، أيها الرفاق ، قد تفيدنا كثيراً » .

في تلك الليلة تلقيت برقية من اللجنة المركزية تطلبني فيها الى كييف . وقد غادرت تشيرنيكوف فوراً بالسيارة . واستقبلني نيكيتا خروشوف (كان سكرتير الحزب في أوكرانيا) في نفس الليلة وشرح لي الوضع على الجبهة وقال ان علينا مواجهة الحقائق . يجب ألا نقلل من قوة الهجوم الالماني ، وألا نفاجأ بوصول العدو الى قلب بلادنا ونحن غير مستعدين .

واقترح خروشوف أن نبدأ فوراً بالاعداد لحركة بولشفية سرية وأن ننظم فرقة أنصار في كل مقاطعة. وقال لي « بعد وصولك الى تشرنيكوف ابدأ فوراً باختيار العناصر وحضر القواعد في الغابات ، وابدأ بتدريب الذين اخترتهم . سوف تصلك تعليمات مفصلة من الرفيق بورمسترنكو » .

وقد أعلمني بورمسترنكو كيف اختـــار عناصر الحركة السرية ، وكيف تكون فرقة الأنصار ، وكيف يجب تشكيلها ، وأعطاني الشيفرة. لقد تعجبت كثيراً حين علمت إن اللجنة المركزية قـــد انتهت من وضع خطة كاملة لتنظيم الحركة السرية . . .

بعد وصولي الى تشرنيكوف دعوت إلى اجتماع مكتب لجنة المنطقة . وقد وقع عليهم اعلاني عن وجوب تنظيم حركة سرية كالصاعقة. تنظيم حركة سرية ! بدت الكلمات نفسها غير حقيقية . « حركة البولشفيك السرية » . كان هـــذا أمراً خارجاً من تاريخ الحزب .

ولقد قرر كل أعضاء مكتب المنطقة البقاء في تشرنيكوف وشكلنا في نفس الاجتماع لجنة سرية من سبعة أعضاء كما شكلنا لجنة بديلة في حال وقوع بعض أفراد اللجنة الاولى في الاسر ــ أخذنا ذلك في عين الاعتبار ــ ثم وزعنا المهمات وبحثنا في خطة عمل مبدئية .

اعتاد الجميع خلال قت قصير على الوضع الجديد . كانت هناك الآن لجنتان حزبيتان للمنطقة : الشرعية والسرية. ولم يعرف بوجود الثانية سوى أعضائها. بعد أيام قليلة جرى تكوين لجنة سرية للمنطقة بين اتحـــاد الجامعيين الشباب بطريقة مماثلة . من الناحية الفنية كنت سكرتيراً للجنتين الشرعية والسرية ، لكنني في الواقع أعطيت كل أعمالي الشرعية لرفـــاق آخرين وانهمكت في التحضير للحياة الجديدة والمجهولة .

طلبت لجنة الحزب المركزية منا، أعضاء لجنة المنطقة، أن نقوم بتحضيرات دقيقة . كان علينا أن نستعد لكل صغير وكبير ، بما فيها احتياطات عناصرنا اليومية .

كان الأفراد الذين تم اختيارهم ليصبحوا قادة الانصار يتلقون دروساً خاصة في نسف الجسور ، وتدمير الدبابات ، وسرقة ملفات الالمان . كانوا قد تركوا عائلاتهم ، بينما الافراد من عائلاتهم وعن أسمائهم أيضاً . وقد عودوا أنفسهم على عدم الرد حين ندعوهم بأسمائهم القديمة .

قسمنا العمل فيما بيننا . كانت مهمتي تنظيم لجنتي المنطقة (الحزبية) المحلية واتحاد الشباب الشيوعي كما كنت مسؤولاً عن إجلاء السكان وعن ثورة المنطقة. وتولى نيقولاي بوبودرنكو تدريب العناصر على زرع الالغام وتعطيلها . وكلف بتريك، السكرتير المسؤول عن الدعاية، باختيار المواد وإنشاء مطبعة وتجميع وتنسيق الجريدة . وكان نوفيكوف ويرمنكو وورودكو مسؤولين عن اختيار العناصر والتأكد من صلاحيتهم للتشكيل السري في القرى والمصانع . أمـــا كابرانوف فقد كان مسؤولاً عن إقامة مخازن للطعام. وخلال شهر اخترنا وأرسلنا أكثر من ٩٠٠ شخص الى المناطق من أجل التنظيم السري .

كان الاستعداد للعمليات السرية قد أخـــذ مجراه في المناطق . وفي الوقت نفسه كنا نتلقى بالشيفرة تقارير يومية عن الاستعدادات لإجـــلاء المعدات الصناعية وحصد موسم الحبوب .

كانت كتيبة إفناء مؤلفة من المتطوعين تعمل في مقاطعة « كولمي » . قرر الرفيق كوروشكا ان رجال هـــذه الكتيبة ، الذين كانت لهم خبرة في قتال الغابات وفي ظروف كالتي سيعمل فيهـــا الانصار ، يصلحون كنواة لكتيبة الانصار . وافق كل رجال الكتيبة (٢٤٠ رجل) على البقاء خلف خطوط العدو وسجلوا أنفسهم كأنصار .

وفي مقاطعة كولمي ، انضم كل الأعضاء الحزبيين من لجنة المقاطعة، واللجنة التنفيذية للمقاطعة ؛ واللجنة الشعبية للشؤون الداخلية الى كتيبة الأنصار . بدأت الكتيبة التدرب على إصـــابة الهدف وإلقاء القنابل اليدوية ودراسة أساليب حرب العصابات . وجرى تعديل الرشات المحلية المستعملة للتدريب بحيث تصبح رشاشات تصلح للقتال .

لجأ كل المتطوعين وكتيبة الافناء الى الغابات قبل احتلال مقاطعة كولمي بخمسة عشر يوماً وذلك لكي يصبحوا خلف خطوط الجبهة .

وفي مقـــاطعة كوريوكوفا ، حيث كان الرفيق كوروتكوف السكرتير الاول للجنة الحزب ، اتجه كل العاملين الى القرى بعد خطاب الرئيس ستالين الى الشعب ، بمباشرة . لم ينتظروا دعوة لجنة المنطقة، بل توجهوا لاعداد الشيوعيين وقادة المزارعين التعاونيين لمواجهة الاحتلال الالماني وشن حرب العصابات ضد العدو. وقد نظموا إحدى عشرة خلية سرية شيوعية في الوقت المناسب. وتلقى كل الذين وافقوا على البقاء خلف خطوط العدو وتعليمات مفصلة .

اتخذ الرفيق ستراتيلات ، سكرتير لجنـــة مقاطعة نوسوفكا وأحد قادة المقاوة الموهوبين ، قراراً هاماً قبل وقوع الاحتلال بوقت طويل . تمت دعوة كل الشيوعيين الشباب والاشخاص الذين وصلوا حديثاً الى المقاطة ، الى لجنة المقاطعة . وأرسل الذين وافقـوا على العمل السري وكانوا صالحين لذلك الى القرى والمدن الصغيرة حيث لا يعرفهم أحد . والتحقوا عند وصولهم بوظائف

بسيطة أو ثانوية في مجالس القرى والمستشفيات الخ . . . اتفقوا على أماكن سرية وشكلوا مجموعات مقاومة .

وأرسلت مقاطعة أوستر تقريراً تقول فيه إنه تم إعداد قاعدة تتسع لمئة مقاتل كما تم تخزين ذخيرة ومؤن وسلاح في تلك القاعدة تكفي لثمانية أشهر تقريباً . وتم كذلك تنظيم كتيبتين الاولى من ١٥ رجلاً والثانية من ٢٠ رجلاً ، وتم عقد اجتماع لكل الشيوعيين الذين سوف ينتمون إلى الحركة السرية . كل المناطق أرسلت تقارير مماثلة .

كان فاسيلي كابرانوف ، نائب الرئيس السابق للجنة التنفيذية لمنطقة تشرنيكوف وعضو اللجنة السرية حالياً ، مسؤولاً عن إعداد القواعد . كان عمل هذا الرجل الرقيق محاطاً بسرية تامة . كانت أطنان الطحين ، وصناديق الطعام المعلبة وبراميل الكحول تسلم اليه في المخازن . كانت الشاحنات تحمل بأكياس ثقيلة وكان المحاسبون يسجلون عددها . لكن كابرانوف وحده كان يعرف مصير هذه المؤن .

كانت الشاحنات تقف في حقل على جوانب غابة تفرغ حمولتها وتعود . وبعد غياب الشاحنات الفارغة عن الأنظار كانت تخرج عربات من الغابة لتحميل المؤن . وكان الرجال الذين يرافقون العربات يغطون آثار عجلاتها بأغصان الشجر والحشيش . لكن غالباً ما كانت العربات غير متوفرة . كان الرجال يحملون المؤن على ظهورهم . كان يجري إعداد هؤلاء ليكونوا أنصاراً . كانوا يتلقون بضائع مختلفة كالسكر والبسكوت والذخيرة والرشاشات والاحذية وآلات الطباعة .

كان المستودع التقليدي عبارة عن حفرة في الأرض عمقها ثلاثة أمتار ومساحتها ٣٠ ـ ٤٠ مم . كانت جدران الحفرة تدعم بأخشاب ثقيلة . وكانت هذه الأشجار تقطع من مكان يبعد عن الحفرة ٣٠٠ خطوة على الأقل . كانت

الأرض تسوّى ثم تغطى بالأغصان لحماية المستودع من الرطوبة . وكان يجري نقل الرمال الفائضة إلى مكان بعيد وبعثرتها هناك أو القاؤها في جدول ماء .

وكان كل مستودع كالذي وصفناه يسقف بقطع الخشب الثقيلة ثم يجري تمويهه بالأعشاب والنباتات والأشجار الصغيرة . وغالباً ما أخذني كابرانوف إلى هذه المستودعات ولم أتمكن ولو مرة واحدة من اكتشاف مكانها . ودلني على شجرات معينة وعلامات أخرى لتمييز مكان المستودعات .

بنى رجال كابرانوف تسعة من هذه المستودعات . وقد اتقنوا عملهم لدرجة ان الفاشيين لم يتمكنوا من اكتشاف سوى مستودع واحد بطريق الصدفة . كان في المنطقة كلها ٢٠٠ مستودع بنتهـا كتيبة المنطقة . ولو لم يتم بناء تلك المستودعات لوجدت كتائب الأنصار صعوبة جمة في العمل وخاصة في المراحل الاولى من التنظيم . لقد أنقذت المستودعات عدة كتائب . لم يتمكن السكان دائماً من أطعامنا وبدأنا نستولي على مخازن طعام العدو بعد أن سلحنا أنفسنا على حسابه .

وهكذا تم اختيار الرجال وإعداد القواعد . كنا مستعدين لاستقبال « الضيوف » غير المرغوب فيهم . لكن هل أدرك عمالنا السريون إن أهم أمر هو تأييد الناس لنا ، وإن واجبنا المقدس أن نكون مع الناس ، وأن نحركهم للمقاومة بعد أن يحتل العدو منطقتنا ؟ فنحن الشيوعيين المنظمين ، لم نكن سوى النواة . كان علينا تذكر هذا الأمر دائماً . وإذا وعينا هذا الأمر لا لا يمكن لأي قوة معادية أن تحطمنا .

كانت إحدى مهام أعضاء لجنة المنطقة واتحاد الشباب الشيوعي الرئيسية فرض انضباط كبير على الأنصار والقضاء على الاسترخاء والاهمال وعدم المسؤولية .

كان البعض يعتقد ان علينا أن نوضح إن الحزب لا يقبل بأن تسير حركة الانصار على هواها . كان الحزب يطلب من حركة الانصار نفس الانضباط

والتنظيم والعمل المدروس الذي يطلبه من الجنود . وتوقع الحزب من الكتائب المختلفة والرجال أن يساعد بعضهم بعضاً في هذا السبيل .

الشيوعي شيوعي في كل مكان . سواء كان في الغابة أو في حركة سرية ، بين أصدقائه أو عائلته ، يجب ألا ينسى الشيوعى انه شيوعي وإلا يخالف قوانين الحزب أو يتناسى مسؤولياته الحزبية .

جرى في بعض الكتائب ، وخاصة التي كونت بعد وقوع الاحتلال ، انتخاب الضباط وهو أمر يشجبه الحزب . قامت لجنة المنطقة بشجب هذا الإجراء وطلبت من كل الكتائب العاملة في منطقة تشرنيكوف أن تربط نفسها بقيادة المنطقة وتنسق عملها معها . وعملت لجنة المنطقة في الوقت نفسه على تقوية القيادة الفردية ودعم سلطة القائد . كانت كلمة القائد قانوناً . وهكذا تمكنت لجنة المنطقة من القضاء على أية محاولة لعقد اجتماعات لبحث أمر القرارات المتخذة أو الأوامر الصادرة عن القائد .

كان الانصار مواطنين أحراراً في المناطق المحتلة . لكن لم تكن لهم حرية التنقل في الغابات كما يحلو لهم . كان الانصار في هذه الحرب يعتبرون أنفسهم مقاتلين في الجيش الأحمر . وقد قلنا لكل مقاتل « انك تخدم في الجيش لأن القانون الأساسي للدولة السوفياتية يجبرك على ذلك . ولا تنسَ ، أيها الرفيق العزيز ، إنه رغم احتلال العدو لمنطقة أوكرانيا فهي ما زالت جزءاً من الاتحاد السوفياتي . إنك مقاتل لأن ضمير المواطن السوفياتي يجبرك على أن تكون مقاتلاً . لذلك عليك التقيد بالنظام طواعية وبضمير حي . كونك تطوعت لا يعني إنك حر في أن تكون فوضوياً ».

والأمر التالي الذي أصدره فيودورف باسمه الحركى يبين نشاطات الفدائيين السوفيات والأمور المتوجبة عليهم :

أمر يومي من قيادة حركة انصار تشرنيكوف

(غابة اومبيشي)

٩ تشرين الثاني ١٩٤١

ترى قيادة حركة الانصار الفرعية أن قادة كتيبة «إخنيا» الرفيق سيكوف قائد الكتيبة والرفيق غوبارتي المسؤول السياسي فيها ، والرفيق بوبوكو سكرتير لجنة الحزب للحركة السرية – قد قاموا بأعمال تنظيمية نتج منها تكوين نواة صلبة من الأنصار قادرة على القيام بعمليات قتالية فعالة ضد الغزاة الالمان الفاشيين . لكن قيادة كتيبة الانصار لم تستغل هذه الفرص حتى الآن : لم تقم بعمل حزبي وسياسي واسع بين السكان، لم تبدأ حملة مكثفة لضم أفضل الرجال والنساء الى الكتيبة ، لم تنظم استخبارات قوية ، لم تشن حملة كبيرة وقاسية ضد الالمان الفاشيين ، لم تأخذ المبادرة في مقاتلة الغزاة الألمان ، لم ترد على إرهاب الالمان وعملائهم بإرهاب أحمر وضربات قوية رغم انهم قتلوا عشرات الأبرياء في مقاطعة أخنيا ، منهم المرشد السياسي الرفيق ياروشنكوف في قرية بورومكا ، وعضو مجلس في قرية روزنوفكا ، وعضو في الجيش الأحمر في زاوديكا .

تأمر القيادة الفرعية لحركة الانصار قيادة كتيبة أنصار إخنيا : بنسف سكة حديد كييف ـ بكماخ فوراً ، ونسف الجسر الحديدي بين كروتي وبلسكي ، وأن تخرج القطارات الالمانية عن خطهـا باستمرار ، وأن تدمر السيارات ومخازن الذخيرة والأسلحة ، وأن تقوم بإفناء الألمان وعملائهم ، وتقضي على الكتائب الألمانية في إخنيا وكورتي وبرافيفكا .

كذلك نأمر بالإستيلاء على اللائحة التي أعدهـا الألمان بأسماء الشيوعيين وبقتـل الزعيم والوطنيين الاوكرانيين في قرية زاوديكا وعقد اجتماعات لمجموعات الشيوعيين خلال الأيام العشرة القادمة لتحميلهم مهـام محاربة الغزاة الالمان كما نأمر بشن حملة لضم أفضل الرجال والنساء الى كتائب الانصار فوراً .

كذلك نأمر بتنظيم استطلاع منتظم والاتصال بكل قرية في المقاطعة والمقاطعات المجاورة وتخصيص امرأتين وولد ورجل كبير بالسن لنقل المراسلات من القرى واليها . كذلك تعيين شخصين أو ثلاثة أشخاص في كل قريـة للاستطلاع والاتصال لكي نعرف كل يوم وكل ساعة ما يحصل في القرى والمقاطعة .

كل نصير يتبنى توجيهات الحزب والحكومه ، وبالتالي فمن واجب كل نصير أن يقوم بالعمل السياسي بين الجماهير ، وأن يهتم بحاجات الناس وأن يحميهم ويساعدهم في حال حدوث عوز مادي .

ولضمان تطبيق هذه الاجراءات على الكتيبة أن تمر خـلال قرى المقاطعة بوحدات مقاتلة وفي أوقات منتظمة ، وإذا دعت الحـاجة تمر الكتيبة في مقاطعات أخرى ، وتنفذ كل مهامهـا أثناء سيرها : القضاء على كل العناصر المعادية ، تدمير قواعد العدو والجسور والقطـارات والسيارات الخ . . . العمل السياسي بين النـاس ، توفير مساعدات مـادية ملموسة للشعب العامل الخ . . .

المبدأ الذي يجب أن تتبعه حركة الأنصار هو القيام بمهـــام قتالية والقيام بعمل سياسي تثقيفي بين السكان في الوقت نفسه : على المقاتل أن يرفع مستواه العقائدي والسياسي وأن يبقى على اتصال وثيق بالسكان ويساعدهم بكل وسيلة وفي كل مكان ، وأن يتابع نضاله العنيف ضد الغزة الألمان .

ويجب عند تنفيذ هـــذا الأمر إرسال التقارير إلى قيادة حركة أنصار تشرنيكوف .

٢ - أوروبـا[١]

منذ الحرب العالمية الأولى كانت أوروبا مسرحاً لعدة ثورات مسلحة . فقد شهدت كل من إيرلندا وإسبانيا والنمسا كفاحاً مسلحاً . كذلك يجدر بنا ذكر العصيان داخل الجيش الفرنسي على الجبهة الغربية عام ١٩١٧ وداخل البحرية الفرنسية على البحر الأسود عام ١٩١٩ أثناء التدخل الاستعماري ضد الجمهورية السوفياتية الجديدة .

أعطت الحرب الأهلية في إسبانيا (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) أمثلة بارزة عن استعداد الشيوعيين للكفاح المسلح في أوروبا وكذلك في (الولايات المتحدة) عندما تدعو الحاجة . وقد ظهر ذلك من خلال الكتائب الدولية التي انضم اليها شيوعيون من أقطار عديدة كما أن الشيوعيين انضموا إلى وحدات الفدائيين التي تعمل خلف خطوط فرنكو . وقد وضع الشيوعيون خبراتهم هذه فيما بعد في خدمة فرق الحلفاء وحركات المقاومة في الحرب العالمية الثانية .

كانت هناك حركات مقاومة في كل بلد احتله النازيون ، وفي الدول الفاشية نفسها . لقد تطورت الحركة اليوغسلافية التي كان يقودها شيوعيون بشكل كلاسيكي من حركة أنصار إلى جيش نظامي . وفي اليونان كانت قوات « إلاس » قوية في نهاية الحرب لدرجة ان بريطانية اضطرت الى التدخل عسكرياً لمنعها

من إقامة حكومة ما بعد الحرب . أمـا الفدائيون الالبانيون فقد كونتهم ، كأمثالهم في يوغوسلافيا ، الدولة الاشتراكية التي برزت بعـــد الحرب . وفي إيطاليا ، قامت قوات الانصار بعمليات هامة في روما وفي مدن أخرى وفي الريف. وحارب الفدائيون التشكسلوفاكيون خلال الحرب كلها وحرروا قسماً من أراضيهم قبل وصول الجيش السوفياتي الاحمر . وقامت قوات الفـــدائيين بضرب الجيوش الالمانية المتراجعة في بولندا والمجر وبلغاريا ورومانيا ، بينما ظهرت في النرويج والدانمارك وهولندا وبلجيكا وفرنسا حركات فدائية لها سجلات حافلة بالنضال الطويل ضد الفـــاشيين . وقد لعب الشيوعيون دوراً رئيسياً في تنظيم كل حركة من هذه الحركات .

وسوف نلاحظ ان المقال الخاص بحرب الشوارع الذي كتبه جيمس كونوللي والذي يوضح أساليب الانتفاضة في دبلن عام ١٩١٦ ، يمكن أن يكتب عن القتال الذي تقوم به جبهة التحرير الوطنية في سايغون وهيو ومدن أخرى في جنوب فيتنام .

٤

حرب الشوارع

بقلم جيمس كونوللي

هذا أحد سلسلة مقالات كتبها الماركسي الإيرلندي جيمس كونوللي في جريدة جمهورية العمال ما بين شهري أيار وتموز عام ١٩١٥ . حللت المقالات الانتفاضات في المدن من ١٨٣٠ حتى ١٩٠٥ ، واستنتجت إن التجربة الروسية عام ١٩٠٥ « نجحت في إثبات حقيقة انه حتى في الظروف الحديثة لا يمكن للجندي النظامي أن ينتصر في المدن على مدنيين ثوريين مصممين على القتال » . قدم كونوللي لمقالاته بأمله في أن تنير وتعلم عناصرنا كل ما يتعلق بالعمل الذي اجتمعوا لأدائه ، كما حث على قراءة مقالاته « من ناحية قيمة بالنسبة للذين يودون أن يشاهدوا جيش مواطنين متكامل وقادر على القيام بأي واجب يطلب منه » . ولقد نفذت هذه المهمة في « ثورة الفصح » من عام ١٩١٦ .

ما هو الشارع بالمعنى العسكري للكلمة ؟ الشارع هو ممر ضيق في مدينة ولا يمكن للجنود أن يعبروا هذا الممر إلا إذا ضيقوا جبهتهم ، وهذا ما يجعلهم هدفاً جيداً للعدو . والممر الضيق هو أيضاً مكان يصعب على الجنود المناورة فيه ، خاصة إذا كان العدو يسيطر على جانبي الممر .

تتألف جوانب الممر الجبلي من منحدرات جبلية طبيعية . الجسر فوق

النهر ممر يؤلف النهر جـــانبيه . والشارع ممر يتألف جانباه من البيوت على الشارع .

لعبور ممر جبلي بقدر معقول من الأمان يجب تطهير جانبي الجبل بواسطة فرقة تقدم الطابور الرئيسي . ولعبور جسر فوق نهر يجب إطلاق النار بغزارة على ضفتي النهر أثناء العبور السريع . وللاستيـلاء على شارع حسن التحصين وتتمركز قوات في بيوته على الجانبين ، يجب الدخول إلى البيوت والاستيلاء عليها بالسلاح الأبيض . إن وضع حاجز في الشارع في مكان لا يمكن أن تصيبه المدفعية هو حاجز منيع ضد أي هجـــوم (من الأمام) . وإذا قرر الجيش وضع المدفعية على بعد مئتي متر من الحاجز يسهل القضاء على هذه المدفعية حتى من قبل ثوار غير مدربين تدريباً كاملاً ومسلحين بالبنادق .

لقد كان يمكن تدمير المدفعية أثناء ثورة موسكو لو كان لدى الثوار ٨٠٠ بندقية بدلاً من ٢٠٠ .

وتعلمنا ثورة باريس في حزيران ١٨٤٨ كيف يجب السيطرة على المناطق والقرى والمدن . فقد جرى وضع حواجز شوارع في نقاط استراتيجية ، ليس في الشوارع الرئيسية بل حيث يمكن التحكم بهذه الشوارع . وجرى احتلال كل البيوت وفتح ممرات بينها على طول الشوارع كما جرى فتح ثغرات في الجدران الجانبية والأمامية ، وجرى سد النوافــذ بأكياس الرمل والصناديق المملوءة بالحجارة والأوساخ ، وقطع المفروشات .

كان الثوار يصبون نارهم على الجنود من الثغرات التي تركت مفتوحة لإطلاق النار خلف تلك الاستحكامات .

واستطاعت قرية محصنة بالشكل المبين أعلاه أن تصد عدة هجمات أثنـاء هجوم الحلفاء على باريس في حربهم ضد نابليون . ولم يجرؤ الحلفـــاء على شن هجوم أمامي على هذه القرية ، بل دخلوا أحد بيوتها الواقع على جانب الشارع

الرئيسي في القرية وبدأوا باحتلالهـــا بيتاً بيتاً . هكذا كان القتال كله بداخل المنازل ولم تلعب النيران الثقيلة أي دور في المعركة . ونجح الحلفـاء (الانجليز والبروسيون) في السيطرة على كل بيوت جانب واحد من القرية ولكنهم فشلوا في احتلال أي بيت من الجانب الآخر . وعندما وقعت الهدنة كان الانجليز يحتلون نصف القرية والفرنسيون نصفها الآخر .

وتنطبق نفس هذه القواعد على حماية أبنية أية مدينة أو قرية. فعدم القضاء على بناء محصن واحد كهذا يشكل خطراً حقيقياً حتى لو قضي على كل المعاقل الأخرى التي تسانده . وإذا كانت هنـــاك حواجز على جانبي المبنى واستطاع العدو تحطيمها فلن يجازف بالمرور عبرها وتعريض مؤخرته لنيران المبنى المحصن. لذلك فإن تحصين بناء متين ، كنقطة أساسية يدور حولها الدفاع عن البلدة أو القرية ، يشكل هـــدفاً أساسياً بالنسبة للقوة المدافعة سواء كانت هذه القوة نظامية أو غير نظامية .

كان قصر « غايسبرغ » يشكل تلك النقطة في الحرب الفرنسية البروسية عام ١٨٧٠ . فقد تمكن الألمان من دحر كل المواقع التي تساند حـــامية القصر واحتلو قاعدته الخارجية ، لكنهم تراجعوا أمام النيران التي أطلقت عليهم من النوافذ ومن ثقوب الجـــدران . وضع الالمان أربع بطاريات مدفعية على بعد ٩٠٠ متر من القصر وقصفوا جدرانه ثم أرسلوا كتيبة تلو الأخرى لاحتلاله . وقد تأخر تقدم الجيش الالماني كله إلى أن تم الاستيلاء على هذا المنزل الذي كلفهم احتلاله ٢٣ ضابطاً و ٣٢٩ رجلاً ، رغم ان حامية المنزل كانت تتألف من مئتي رجل فقط .

وأعطت قرية « بازيل » أثناء الحملة نفسها برهاناً آخر على القوة التكتيكية لصف من البيوت محصن تحصيناً جيداً . أخرج الجيش الالماني الجيش الفرنسي من الجبهة ودخل القرية دون أن يواجه بأية مقاومة . لكن الجيش كله احتاج إلى سبع ساعات للوصول إلى الطرف الآخر من القرية .

من المتفق عليه ان الاراضي الجبلية منطقة صعبة بالنسبة للعمليات العسكرية نظراً لممراتها ووديانها الضيقة ولكن المدينة ليست سوى شبكة كبيرة من الممرات المعقدة التي تمثلها الشوارع والأزقة . ان كل صعوبة قائمة في وجه عمليات القوات النظامية في الجبال موجودة بشكل مضاعف مئة مرة في المدينة كما ان الصعوبة التي تواجهها القوات اللانظامية أو القوات الشعبية حين تلجأ الى الجبال تحل في شوارع المدن نظراً لتعاطف السكان معهم .

والمبدأ العام الذي نستنتجه من دراسة المثال الذي عالجناه أعلاه هو ان الدفاع أمر ذو أهمية قصوى في حروب التحرير الشعبية وحركات المقاومة المدنية . ولسنا نعني بذلك الدفاع السلبي عن موقع لا قيمة له بذاته ، ولكننا نقصد الدفاع الفعال عن موقع يهدد تفوق أو وجود العدو . وعلى القائد الفذ أن يبحث عن موقع كالذي تحدثنا عنه ، وعلى اتباعه أن يحصنوه وعلى الجميع أن يدافعوا عنه بشجاعة . فالنجاح العسكري لا يتحقق إلا إذا اجتمعت لدى المحاربين المهارة والذكاء والشجاعة .

حرب العصابات في اسبانيا

(١٩٣٩ - ١٩٥١)

انريكو لستر

للشعب الاسباني والحزب الشيوعي تجربة كبيرة في العمل الثوري السلمي وغير السلمي . ولا حاجة بي إلى العودة الى الماضي البعيد والغني بخبرتها القتالية لإثبات كلامي بل سوف أكتفي بتجربة تسع سنوات من كانون الاول ١٩٣٠ الى نيسان ١٩٣٩ . فقد شهدت تلك الفترة القصيرة ثورة الضباط الديمقراطيين في كانون الاول ١٩٣٠ والتي تم إجهاضها ، وشهدت النصر العسكري الذي كسبوه بدون اللجوء الى الكفاح المسلح — والذي أدى الى إزالة الديكتاتورية العسكرية في نيسان ١٩٣١ والى القضاء على الملكية وإنشاء الجمهورية ، وثورة الضباط الرجعيين في آب ١٩٣٢ والتي تم إجهاضها ، ثم الثورة الشعبية في تشرين الاول ١٩٣٤ ، وانتصار الجبهة الشعبية في شباط ١٩٣٦ . ثم تلت ذلك ثورة الفاشيين العسكرية والمدنية في تموز ١٩٣٦ بعد ثلاث سنين من الحرب الأهلية التي أهلكت ملايين الأرواح والتي انتهت بانتصار الفاشيين عام ١٩٣٩ بفضل تدخل موسيليني وهتلر عسكرياً الى جانبهم .

إنني لا أريد أن أكتب عن الحرب الأهلية ودروسها ، بل عن حرب العصابات التي شنها الشعب ضد دكتاتورية فرانكو والتي استمرت سنين عديدة بعد انتهاء الحرب الأهلية .

أصبح قيام حركة ثوار قوية خلف خطوط فرانكو أمراً ممكناً حتى قبل انتهاء الحرب الاهلية . وكان من الممكن أن يشترك فيها آلاف الوطنيين . لكن الحكومات الجمهورية المتتابعة ووزراء حربيتها لم تستغل هذه الفرصة .

تكونت وحدات الثوار فجأة وقاتلت في عدة مناطق من إسبانيا . وقد أجبرت عملياتهم فرانكو على استعمال عشرات الألوف من جنوده لحماية خطوط مواصلاته ومصانع ذخيرته .

كانت الفترة التي تلت هزيمة الجمهوريين عام ١٩٣٩ فترة صعبة وقاسية بالنسبة لآلاف المعادين للفاشية الذين لجأوا الى الجبال . لم تقم حرب عصابات بالمعنى الصحيح لفترة ما بعد هزيمة الجمهوريين . واكتفى الثوار خلال هذه الفترة بالدفاع عن أنفسهم أمام جنود فرانكو وبتدبير المؤن والثياب لأنفسهم .

بذل الشيوعيون جهودهم لقيادة نضال الآلاف الذي هربوا الى الجبال . وبالنتيجة استعادت حركة الثوار طابعها القتالي . وقد حدد ذلك ثقة الناس بعودة الحرية وساعدهم كثيراً على منع فرانكو من زج إسبانيا في حرب هتلر .

وقد حاربت قوات الثوار قوات الحكومة وما يسمى بقوات النظام العام في عدة مناطق من اسبانيا خلال الحرب العالمية الثانية وبعد الحرب ببضع سنين. كان الثوار يغيرون على الثكنات وعلى مراكز التموين والمواصلات وعلى القطارات العسكرية. واستطاع ٥٠٠٠ ثائر فقط أن يشلوا ٤٠٠٠٠ من جنود فرانكو.

لقد كنا نحن الشيوعيون الاسبان نؤمن بأن هزيمة هتلر في الحرب سيتبعها

سقوط فرانكو . لكن إيماننا هـذا لم يجعل قواتنا تتقاعس عن النضال . بعد هزيمة هتلر ، أخذت الولايات المتحدة تساعد فرانكو فتابعنا النضـال ضد نظامه . وقد قمنا في الواقع بتصعيد نضالنا على أمل دفع الناس للثورة .

وصلت حركة الثوار بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٤٨ الى أوجها تنظيمياً وسياسياً وعسكرياً . وقد فعل حزبنا مـا في وسعه خلال تلك السنوات لدعم الحركة بالإضافة الى إرسال رجاله وتقديم عون مادي ومالي . وضع الحزب ككل في تصرف الحركة داخل اسبانيا . وقـد دعا الحزب العمال والفلاحين الى تأييد الثوار ، كما بذل جهداً كبيراً لتنسيق نضال العمال والفـلاحين والثوار ضد فرانكو لإجباره على نشر قواته .

وظفر الثوار في بعض المناطق بتأييد الفلاحين التام لكن عدد تلك المناطق كان صغيراً مما مكن الفاشيين من محاصرتها وإرهاب السكان بقتـل بعضهم وترحيـل بعضهم الآخر . وبذلك تم حرمـان الثوار من التأييد في تلك المنـاطق .

ونظم الحزب أيضاً مجموعات من الثوار في المدن ، وقـام بعض هذه المجموعات بعمليات جريئة في بعض المدن . لكن هـذا النوع من الكفاح لم ينتشر بسبب الارهاب الوحشي الذي ساد في ذلك الوقت .

سوف نتحدث يوماً ما عن أطنان المؤن التي سلمناها الى اسبانيا عن طريق البر والبحر ، وعن شجاعة الكثيرين من أعضاء الحزب الذين عبروا الجبال الى إسبانيا في جو بلغت برودته ٢٠ درجة مئوية تحت الصفر وهم يحملون ٣٠ ــ ٣٥ كلغ من السلاح والمعدات على ظهورهم . واستطاع رجـال الحزب ، في بعض الحالات ، أن يتسللوا عبر الحدود بسلام وأحياناً كانوا يشتبكون مع حراس الحدود وكان العديد منهم يقتل في معارك غير متكافئة . أقام هؤلاء الرجال

الشجعان مئات المخازن للفدائيين . واستعمل الحزب الراديو لبث الدعاية لنضالنا ولبث تعليمات بالشيفرة الى وحـــدات الفدائيين . وقام الحزب ، لمساعدة الفدائيين ، بالدعاية في أوساط « الحرس المدني » والجيش ، وخاصة بين الضباط الشبان . وأعطت هذه الدعاية ثمارها . .

كانت وحدات الفدائيين ضرورية جداً في ذلك الوقت ولعبت دوراً هائلاً. لكن الفدائيين كانوا عاجزين وحدهم عن انقاذ اسبانيا من فرانكو. وكان القضاء على الدكتاتورية يتطلب بمشاركة الشعب بشكل جماعي .

وأصبح واضحاً لنا ، بازدياد تمرسنا بالنضــــال ، انه لا يمكن للحزب والفدائيين أن يقفوا في وجه النظـــام . كما أصبح تزويد الفدائيين بالأسلحة والضروريات الأخرى أكثر صعوبة . شدد العدو من مراقبته وزاد من اضطهاده وقام العدو منذ عام ١٩٤٤ حتى عام ١٩٥٠ بتدعيم قواته المرابطة على الحدود . وكانت هذه القوات التي ترابط في منطقة عمقهـــا ٦٠ كيلو متراً ، تتألف من ٤٥،٠٠٠ نظامي بالإضافة الى الحرس المدني ووحدات الشرطة .

اضطرتنا هذه الظروف الى إنشاء مجالس مقاومة في سبيل توسيع المعركة . لكن محاولاتنا فشلت نتيجة لهزيمة الشعب عام ١٩٣٩ وبسبب الارهاب الذي ازدادت حدته . وكان العامل الآخر عدم وجود أية وحـــدة بين القوى التي كانت تعارض فرانكو ، والموقف غير الملتزم الذي أبداه قادة هذه القوى عند إثارة مسألة حمل السلاح ضده .

وفي تشرين الاول ١٩٤٨ عقد المكتب السياسي للحزب الشيوعي الاسباني واللجنة التنفيذية للحزب الاشتراكي اجتماعاً مع عدد من قادة الفدائيين السياسيين والعسكريين . وجرى في هذا الاجتماع تقييم تجربة السنين الأخيرة والنظرة الى المستقبل ، ثم اتفق على تغيير الاساليب . كانت الاساليب الجديدة تنص على

حل اتحادات العمال السرية والعمل من خلال اتحادات العمال الرسمية والتي كانت عضويتها إجبارية ، كما نصت على التخلي عن حرب العصابات وتعليم الوحدات المنظمة والموثوق بها على حماية لجان الحزب في الجبال والتي تقوم بقيادة الحزب . وثم حل الوحدات الأخرى .

كان قرار إنهاء حركة المقاومة المسلحة التي قاتل العديد من رجالها ونسائها ببسالة فائقة ، قراراً مؤلماً . كان حل حركة المقاومة ضرورياً لأسباب سياسية ايضاً . أعتقد الآن ، وأنا أعود بالذاكرة الى الماضي ، ان الأمر الوحيد الذي نلام عليه هو انه كان يجب علينا أن نحل حركة المقاومة المسلحة قبل ذلك بسنتين .

أود الآن أن أبحث بعض مبادىء حرب العصابات المعروفة جيداً ولكنها لا تطبق دائماً. إن حرب عصابات لا يمكن شنها إلا في ظروف معينة ولأسباب محددة : قد تنشب حرب عصابات ضد جيش عدو احتل جزءاً من وطن شعب آخر . وفي تلك الحالة تقوم هذه الحرب لتدعيم الجيش النظامي الوطني في محاولته طرد الغزاة . ولقد أعطى شعب الاتحاد السوفياتي مثالاً رائعاً على هذا خلال الحرب العالمية الثانية .

وقد تنشب حرب عصابات ضد جيش أجنبي يشن حرباً غير عادلة ، حرباً عدوانية ، وقد تمكن من هزيمة الجيش الوطني . في تلك الحالة ، قد يلجأ بقايا الجيش المهزوم بمساعدة المدنيين الى حرب العصابات لمنع الغزاة من تقوية مراكزهم. وتعد حرب العصابات هنا لأشكال أعلى من النضال . كان هذا الوضع قائماً في إسبانيا عام ١٨٠٨ ، وفي فرنسا وغيرها خلال الحرب العالمية الثانية .

وقد تنشب حرب عصابات لمتابعة كفاح الشعب الذي هزمه رجعيو بلاده في حرب أهلية أو حرب ثورية وطنية ، كما كان الوضع في إسبانيا عام ١٩٣٩ .

وقد تنشب حرب عصابات لدفع الناس للثورة المسلحة ضد النظام الرجعي في بلادهم .

بالطبع هناك أشكال أخرى لحرب العصابات ، كما ان أشكالاً جديدة سوف تظهر بمضي الوقت .

يجب على كل من ينظم حركة فدائيين (ثوار) ألا يخلط بين عطف الجماهير وبين تأييد الجماهير لتلك الحركة ، العطف والتأييد أمران مختلفان . ففي إسبانيا ظفر الفدائيون بعطف الناس الذين كانوا يعتبرونهم أبطالاً . لكن العطف لم يتخطى حدوده . لم يتحول العطف الى تأييد جماهيري فعال لعمليات الفدائيين . كان ذلك التأييد ضرورياً وكان الفدائيون يعتمدون عليه .

قد يقول البعض ان السبب هنا في عدم تحول العطف إلى تأييد هو ان الشعب الإسباني كان خارجاً لتوه من حرب أهلية دامت ثلاث سنوات وانتهت بهزيمة ذلك الشعب وانه لو قامت حركة الفدائيين في ظروف أفضل لنالت تأييداً أكبر بكثير . قد يكون ذلك صحيحاً وقد لا يكون كل شيء يعتمد على التوقيت . لقد تغيرت العواطف الشعبية في إسبانيا منذ الحرب الأخيرة ، وهناك جيل جديد الآن. وفي رأيي اننا لو حددنا حرب العصابات ودعونا الناس الى حمل السلاح فلن نكون أوفر حظاً مما كنا في الماضي .

لا أقدر أن أجزم كيف ستحل المشكلة الإسبانية نهائياً . لكنني أشعر ان الدعوة الى الكفاح المسلح والى حل قائم على استعمال القوة أمر جنوني . سوف يستجيب الطليعيون فقط لهذه الدعوة . أما جماهير الشعب ، وهي القوة الرئيسية فسوف تبدي إعجاباً بنا وتتألم حين ننهزم لكنها لن تنضم الى كفاحنا المسلح . وبالإضافة إلى ذلك لن تتمكن تضحية الطليعيين في الحالة الحاضرة ، من أحداث خدش في كيان الدكتاتورية الإسبانية وسوف تفشل كما فشلت حرب العصابات السابقة لا بل ان حرب عصابات الآن قد تؤدي الى تقوية الدكتاتورية لأنها

ستوحد قوى الرجعية والبرجوازية حول فرانكو . فعلى الرغم من أن بعض هذهالقوى تتمنى سقوطه الا ان الامور قد تتغير بسرعةويجب أن نكون مستعدين لاحتمال تغيرها . . . لقد علمتنا تجربتنا ان على الحزب الذي يفكر بشن حرب عصابات أن يدرك ان عمليات الفدائيين وهي شكل من اشكال النضال السياسي لا يمكن عزلها عن الأشكال الأخرى التي يستعملها النـــاس . لا يمكن لحركة المقاومة أن تستمر إلا اذا أيدها الناس وسوف تنمو هذه الحركة لتصبح حركة جماهيرية شرط أن يشارك الناس فيها ، وشرط استعمال أشكال النضال التي تمليها الظروف الموضوعية في البلاد ، بما فيها الثورة المسلحة .

من المهم أن نتذكر ان عمليـــات الفدائيين يجب أن تكون في توافق مع مشاعر وتطلعات الناس . وعندمـــا لا يكون هذا التوافق موجوداً لا تحصل على حرب ثورية بل على إرهاب وانتقام وهذه أمور لا تفيد الثورة بتاتاً .

إن لوحدات الفدائيين صفة الحركة الجماهيرية الثائرة ضد محتل أجنبي ، أو ضد فئة داخلية تضطهد الشعب ، أو كفاح شعبي لإسقاط حكم ظـــالم . لكن العامل السياسي في كل حـــالة ، وخاصة في الحالة الأخيرة ، عامل حاسم وأساسي .

لا يمكن لحركة مقاومة أن تعيش وتنتشر إلا اذا فهمهـــا الناس وأيدوها ، وإلا اذا شكلت جزءاً من معركة الناس ضد عدو مشترك. كنا ندرك ان الشعب كله ، وليس وحدات فدائيين فقط، قادر على إنهاء حكم فرانكو بالثورة عليه، وفعلنا كل ما في وسعنا لتنظيم تلك الثورة .

وقد استنتجنا انه في بلد متوسط التقدم – وخاصة في بلد متقدم كثيراً – من الصعب شن حرب عصابات دون تحويلهـــا الى حرب ثورية جماهيرية ، وحرب مسلحة ، في المدن . بكلام آخر ، لكي يكون النضال المسلح ناجحاً ، يجب أن يكون جماهيرياً .

تظهر التجربة الإسبانية صعوبة القيــــام بكفاح مسلح في الريف وكفاح مكثف في المدن يشمل الأشكال القانونية وغير القانونية للكفاح في آن واحد ، إلا اذا كانت هناك أزمة ثورية دقيقة . من الصعب ، في بلد تملك حكومته قوة قمع كبيرة وخطوط مواصلات سهلة تمكنها من توزيع ونقل قواتها ، شن حرب عصابات لوقت طويل اذا كانت الحالة الثورية العامة ضعيفة أو غير موجودة .

هناك كلام كثير هذه الأيام حول إمكانية خلق حالة ثورية من « موقع » معين . وهناك محاولات لاثبات هذا الكلام، لكن العقيدة الماركسية ـ اللينينية تدحض هذا الشكل من النضال ، كما ان التجربة الثورية تظهر بطلانه. لا يمكن لأي « موقع » أو « مواقع » أن تخلق بنفسها حالة ثورية .

يمكن أن تكون حرب العصابات عاملاً في خلق حالة ثورية . لكن ليس بإمكانها ذلك إلا في ظل أوضــــاع مؤاتية ، أي اذا كانت شكلاً من أشكال النضال الأخرى التي تشترك فيها الجماهير .

تحدث لينين دائماً عن وحدات الفدائيين المرتبطة بكفاح شعب على انهــــا نتيجة اشتداد الكفاح وليست وسيلة قائمة بذاتها . وكتب يقول : « لا يمكن لحزب الطبقة الكادحة اعتبـــار حرب العصابات الوسيلة الوحيدة، أو حتى الرئيسية ، في الكفاح . . . يجب أن تكون هـــذه الوسيلة خاضعة لوسائل أخرى . . . ويجب أن تتلاءم مع وسائل الحرب الرئيسية * ».

نحن الشيوعيون الإسبان لنا بعض الخبرة في هذا المجال ايضاً . لقد ذكرت ان أهداف عمليات الفدائيين بعد الحرب الأهلية مباشرة كانت حماية الشعب من السفاحين الفاشيين ، ورفع معنويات الناس وإقناعهم بأن حكم فرانكو لن يدوم

---

* راجع لينين : حرب العصابات .

الى الأبد وقد ساعد نضالنا هذا على منع دخول إسبانيا الحرب كحليفة لهتلر وموسيليني . بعد ذلك حاولنا استعمال حركة الفدائيين كوسيلة لخلق حالة ثورية ولكن لأن الظروف لم تكن ملائمة لم تسر الأمور كما اشتهيناها رغم وجود عدة « مواقع » فدائية في البلاد .

الدرس الثاني الذي تعلمناه — وإسبانيا ليست متميزة عن غيرها — هو انه يجب على قادة حركة المقاومة أن يتمكنوا من إيقاف حرب العصابات خلال وقت قصير وأن « يطووا أشرعتهم » قبل فوات الأوان ، اذا وضح لهم انها ليست أفضل وسيلة وانها قد تؤدي الى استنزاف الطليعة الثورية والقضاء عليها .

ملامح محددة لحركة التحرير اليوغوسلافية

جوزيف بروز تيتو

يقول الكثيرون في الخارج ، حتى أصدقاؤنا اليساريون ، ان بطولات حركة التحرير اليوغسلافية والتحول الثوري وخلق يوغسلافيا جديدة ذات نظام اجتماعي جديد وتقدم بلدنا ، كل هذا نتيجة ظروف ومصادفات وحظوظ . وهم يرجعون أيضاً ، بغباء تام ، ثورة شعبنا وانتصاره في حرب التحرير الى عوامل كالجبال المرتفعة ، والغابات أو عدم المساواة التي كانت قائمة في يوغسلافيا قبل الحرب ، وحتى إيمان اليوغسلافيين بالقضاء والقدر .

كل هذه الأسباب هي ، بالطبع ، خاطئة وبلا معنى ومشينة . ذلك الكلام إهانة لشعبنا لأنهم يريدون تصوير ثورتنا كعمل مرتجل وغير واع و كخطوة يائسة تشبه المغامرة أو الانتحار ، وليس كنتيجة للوعي الاجتماعي العميق عند الشعب اليوغسلافي لصعوبة المعركة وللتضحيات التي كان عليهم أن يقدموها .

وبالإضافة الى ذلك ، يتغاضى ذلك الكلام أو ينسى. فعلاً كره الناس العميق للمحتلين الفاشيين الذين احتلوا بلادنا واستعبدوها . كما انه يتجاهل حب شعبنا التقليدي للحرية والاستقلال الذي دفع أجدادنا ثمنه من دمائهم قروناً عديدة ،

وضحوا بأعز ما يملكون عندما كانت تدعو الحـــاجة . ينسى أصحاب ذلك الكلام أو يقللون من أهمية العامل الرئيسي الذي جعل الثورة ممكنة والذي ضمن نجاحها وهو الطابع التنظيمي والإرشاد الصحيح للثورة اللذان يعود الفضل فيهما الى الحزب الشيوعي اليوغوسلافي . لقد أنكر أفراد الحزب ذاتهم وبقوا بين الناس في أصعب أيام حياتهم. كان أفرد الحزب أول من حملوا السلاح وبدأوا القتال لكي يعطوا أمثلة بطولية على اخلاصهم للشعب كما ان شعوبنا قد اقتنعت منذ الأيام الأولى للمعركة ان أرض الاشتراكية العظيمة ـ الاتحاد السوفياتي ـ لا تقهر ، لذلك وقفوا الى جانب السوفيات وقدموا ما عندهم للمعركة ضد العدو المشترك .

ان يوغوسلافيا لا تتألف من جبال وغابات فقط . لقد انتشرت الثورة عبر البلاد ، في سهول « سرم » وفي جبـــال « بوسنيا » وفي أماكن أخرى . لقد حارب شعبنا لأنه يحب الحرية ويحب الحياة . لم يحارب أبناؤنا ويموتوا لأنهم يكرهون الحياة بل لأنهم يحبونها ولأنهم كانوا يؤمنون بحيـــاة أفضل وأسعد وبمستقبل أفضل . لا يمكن أن يكون عدم المساواة بين المواطنين في يوغوسلافيا قبل الحرب هو القوة الدافعة الى الثورة ، بالعكس فقد استغل المحتلون هذه العوامل لاستعباد الشعوب اليوغوسلافية .

لقد احتجنا الى قدر كبير من الصبر والاصرار لكي نقنع كل الجنسيات ان حرب تحرير شعبية ضد الغزاة وضـــد الرجعيين الخونة هي الوسيلة الوحيدة لاستعادة حقوقنا الوطنية ولخلق يوغوسلافيا جديدة ، بدون حكامها القدامى ، بناء على أسس جديدة تماماً . وعندما اقتنعت كل شعوب يوغوسلافيا بصحة هذه السياسة كما حددهـــا الحزب الشيوعي اليوغوسلافي للجماهير ، أصبحت القضية القومية ايضاً عاملاً قوياً في معركة التحرير . ما هي الملامح المحددة لحرب التحرير الشعبية اليوغوسلافية ؟

أولاً – بسبب جبن وخيانة وعجز الضباط الكبار استسلم الجيش اليوغوسلافي بعد أيام قليلة من المقاومة الضعيفة . وقد أخذ معظم الجنود الى معسكرات اعتقال بينما استولى الغزاة على كل المعدات والاسلحة . ونتيجة لخيانة القادة العسكريين والحكوميين وجد الشعب اليوغوسلافي نفسه بلا جيش وبلا سلاح في مواجهة أعتى عدو عرفه في تاريخه ، عدو لم يأت ليستعبد بل أتى ليفني .

ثانياً – تفكك الجهاز الحكومي وانهار بينما فرت الحكومة وعلى رأسها الملك الى الخارج وتركت البلاد تواجه مصيرها .

ثالثاً – بعد ان ترك الشعب اليوغوسلافي بدون جيش وبدون سلاح وبدون مخازن تموين وبدون جنرالات وضباط (ما عدا القليل جداً) ثار بقيادة الحزب الشيوعي اليوغوسلافي وبدأ المعركة ضد الغزاة. كان أفراد الشعب اليوغوسلافي يستولون على السلاح من جنود العدو بأيديهم العزلاء ، وكانوا يحاربون معركة حياة أو موت في سبيل الحرية والاستقلال .

رابعاً – عند بدء المعركة مع الغزاة لم يقم أي تحالف مع الأحزاب الأخرى ، فقد وضع العديد من قادة تلك الاحزاب أنفسهم في خدمة الغزاة ، بينما التزم قادة آخرين بالسلبية ووقفوا يترقبون سير الأمور . كان ذلك صحيحاً في كل أنحاء يوغوسلافيا (ما عدا سلوفنيا حيث تم تكوين جبهة التحرير). واستجابة لنداء الحزب الشيوعي اشترك الناس في الحرب بصرف النظر عن انتمائهم الحزبي أو الديني أو الوطني .

خامساً – مع استمرار الحرب شاهدنا بروز جيش شعبي جديد كانت نواته كتائب الانصار التي قادها ضباط جدد خرجوا من بين الناس واكتسبوا خبرتهم في ميدان المعركة .

سادساً – لم يحارب الجيش الشعبي ولا كتائب الانصار حرباً أسطورية (تم

تكوين أول كتيبة من الجيش الشعبي في كانون الاول ١٩٤١ على أسس وحدة جيش نظامي ، وتبعتها كتائب جديدة ثم فرقة جيش التحرير الشعبي الذي برز إلى الوجود عام ١٩٤٢) . لقد حاربوا حرباً دائمة ، حرب عصابات بكل ما ينتج منها ، وحرب إفناء ضد الغزاة وضد الخونة. كانت حرب أمة بكاملها. وكانت حرباً منظمة تجري إدارتها من مركز واحد – القيادة العليا – مسؤول عن حرب الأنصار وعن حرب المواجهة، حسب وجود مناطق محررة وتكوين وحدات عسكرية كبيرة وفرق .

سابعاً – رغم تفوق العدو العددي والتقني ، ورغم ان حرب التحرير كانت تشن في كل أنحاء يوغوسلافيا بأسلحة أخف من أسلحة العدو فان العدو لم ينجح في تحطيم القوات الشعبية في أي مكان وفي أية مرحلة أثناء الحرب . كانت القوات الشعبية تخرج من المعارك القاسية أقوى مما دخلتها .

ثامناً – رغم ضراوة المعركة ورغم تطلبها تضحيات كبيرة بالرجال والممتلكات ، فإن الشعب لم يكل ولم يتراجع ولم يدر ظهره للمعركة . بالعكس تلك التضحيات بالرجال والممتلكات (غالباً ما هجرت مناطق بكاملها ودمر ما فيها من ممتلكات) ، جعلت الناس يزدادون تصميماً على القتال حتى النهاية .

تاسعاً – كان الشعب اليوغوسلافي يحارب الخونة المحليين بالإضافة الى الغزاة ورغم ان الغزاة والخونة قد وحدوا قواهم فإن الشعب قد انتصر في معركته العظيمة .

هذه هي ملامح حرب التحرير الشعبية اليوغوسلافية وهذه هي عظمتها . ومن حق شعبنا أن يفاخر بنضال كهذا .

تم ظهور دولة جديدة أثناء الحرب . دولة لها نظام اجتماعي مختلف تماماً عن النظام اليوغوسلافي قبل الحرب . تم إنشاء الجمهورية اليوغوسلافية الاتحادية الشعبية . وقد حلت هـــذه الدولة قضية الوحدة الوطنية بشكل صحيح ، وأرست أسساً ديمقراطية جديدة ذات نظام اجتماعي واقتصادي جديد . كيف تم ذلك مع ان تحولاً كبيراً كهذا يحتاج إلى ثورة وإلى حرب مفتوحـــة ضد مضطهدي الشعب ؟ في الإجـــابة على السؤال تكمن الملامح المحددة لخلق ونمو يوغوسلافيا الجديدة .

قامت الدولة الجديدة على أنقاض النظام القديم . فلقد فتحت المأساة التي أصابت بلادنا عيون الوطنيين على دور الخونة الرجعيين . فنظراً لجبن وخيـانة الفئة الحاكمة السابقة ولسياستها غير الوطنية ، كره الشعب اليوغوسلافي الماضي وقرر ألا يسمح بعودته . فلا يكفي أن ندعو الناس للقتـــال ضد الغزاة لكي يهبوا للحرب ، بل علينا أن نفهمهم ان نضالهم سوف يؤدي إلى شيء جديد ، إلى شيء أفضل ، وإلى ان القديم لن يعود ، عندئذ يهتمون بالمعركة ويحاربون حتى النصر .

وهكذا ، كان علينا منذ بداية المعركة عام ١٩٤١ أن نقضي على شكل الحكومة الجديدة في القرى والمدن وأن نخلق أجهزة جديدة للسلطة سميناها لجان التحرير الشعبية وهي لجان ديمقراطة جداً . وقد أخذ الناس يشكلون هذه اللجان لا في المناطق المحررة فقط بل في المناطق المحتلة أيضاً .

كانت هذه اللجان نواة الدولة الجديدة التي برزت تدريجياً أثنـــاء حرب التحرير الشعبية . لم تكن هذه اللجان فورية أو عفوية . بل جرى إعدادها بدقة مدروسة وجرى تنظيمها بعناية ، ولم تثبت وجودها بسهولة، بل واجهت

ذلك مصاعب ومعـــارك دموية مع الخونة المحليين الذين شنوا حرباً لا هوادة فيها كحلفاء للغزاة وذلك بغية إجهاض الدولة الجديدة وإنقاذ النظام القديم .

يتضح لنا إذن من خلال الحقائق المذكورة أعلاه ان استنفار كل القـــوى الوطنية وتوسيع وتقوية جبهة المقاومة هي العوامل التي ساعدت على التغلب على أكبر المصاعب في هذه الحرب. هذا صحيح بالنسبة للحرب وبالنسبة لتطور بلدنا في وقت السلم .

المصدر : جوسيب بروز تيتو ، كتابات عسكرية مختارة ، بلغراد ١٩٦٦ ، ص ٢٠٤ — ٢١٢ .

الحزب وجيش التحرير

تيـــتو

لقد اتخذ الحزب في مقاطعتكم (مقدونيا) موقفاً خاطئاً من التشكيلات العسكرية ومن تكوين القيادات العسكرية .

فقد شكل التنظيم الحزبي داخل الجيش بحيث يؤلف كل أعضاء الحزب في السرية الواحدة خلية واحدة . أي ان الوحدة الحزبية في الجيش هي : سرية واحدة ـ خلية واحدة . وإذا كان هناك عدد كبير من أعضاء الحزب يمكن تقسيم الخلية إلى مجموعات على أساس الفصائل . سكرتير الخلية هو على الوقت نائب رئيس الخلية السياسي . سكرتيرو الخلايا في كتيبة يؤلفون لجنة الكتيبة الحزبية . سكرتير لجنة الحزب هو أيضاً نائب رئيس لجنة الكتيبة وهو رئيس التنظيم الحزبي وعليه إقامة علاقات مع خـــلايا الحزب في الميدان ، ومع لجنة البلدة ولجنة المقاطعة في سبيل العمل الحزبي في الجيش وفي الميدان .

وكانت مراكز القيادة هي قيادات عسكرية ميدانية وهي بالتالي مستقلة

المصدر : رسالة كتبها الماريشال تيتو عام ١٩٤٣ الى لجنة الحزب الشيوعي المسؤولة عن مقاطعة مقدونيا .

في اتخاذ القرارات حول المهام العسكرية والتكتيكية ، وفي تخطيط وتوجيه العمليات وقيادة وحدات الأنصار . تتألف قيادة السرية من : القائد ، مساعد القائد ، المسؤول السياسي ونائب المسؤول السياسي . وكانت القيادة جماعية ولكن القائد يتحمل مسؤولية إعطاء الأوامر وتوجيه الجنود والعمليات .

وتتألف قيادة الكتيبة من : القائد ، مساعد القائد ، المسؤول السياسي ، ونائب المسؤول السياسي . وإذا أمكن ، يجب أن يكون كل أعضاء القيـــادة أعضاء في الحزب .

وكانت اللجان الحزبية ذات الكفاءة تطبق تعليمات واقتراحات الحزب من من خلال خلية القيادة الحزبية . وكل أعضاء القيادة الذين هم أيضاً أعضاء في الحزب يؤلفون خلية الحزب في القيادة . نائب المسؤول السياسي في الكتيبة هو سكرتير هذه الخلية . ليس للسرية خلية قيـــادة ، بل ان أعضاء الحزب الذين في القيادة يصبحون أعضاء في خلية السرية . المسؤول السياسي لا يكون سكرتير خلية القيادة. كعسكريين ، على أعضاء القيادة إطاعة أوامر رؤسائهم العسكريين . ولكن كأعضاء في الحزب هم أيضاً مسؤولون عن تصرفاتهم أمام الحزب الذي يقدر أن يتبدلهم إذا كانوا مقصرين . ويجري تبديل القـــادة من خلال القوات النظامية ، أي من خلال قيادة الجيش . وعلى أعضاء الحزب — أثناء اجتماعات الخلية — أن يتخذو موقفاً نقدياً من نشاطاتهم وأن يقوموا بعملية نقد ذاتي . وبذلك يمكن للحزب أن يطلع على أعمال الجيش وأن يبقيه تحت المراقبة ، الحزب يؤثر ويقود من خـــلال أعضائه الذين في مراكز المسؤولية . يمكن لأعضاء الحزب ، من خلال العمل والتوجيه السياسي ومن خلال توضيح أهداف وتركيب نضـــال التحرير الشعبي ودور الحزب ، أن يكون لهم أثر تعليمي في الأنصار غير الحزبيين وأن يحضوهم على الانضمام للحزب .

المسوؤول السياسي هو مندوب الحزب في الجيش . وهو مسؤول عن العمل

السياسي بين الأنصار (ويتضمن العمل السياسي العمل الثقافي والتعليمي) ، وعن صحة الرجال ، وعن مراقبة عمل القيادة من حيث تطبيقها للمهام الملقاة على عاتقها ، وأخيراً هو مسؤول عن فعالية وحدته القتالية ، وعن معنوياتها ومستواها السياسي وتماسكها . ويساعده التنظيم الحزبي على القيام بواجبات واسعة النطاق كعقد المؤتمرات وإلقاء المحاضرات ، وكتابة التقارير ، وعقد الحلقات الدراسية (النظرية والثقافية العامة) ، وإعطاء دروس للأميين ، وإنشاء الفرق المسرحية الخ ... ويكون للمسؤول السياسي مندوبون سياسيون في الفصائل (أعضاء الحزب) . ومن مسؤوليته أيضاً ، مساعدة التنظيم الحزبي وكل الأنصار وتطوير برامج تعليمية وتثقيفية في المنطقة التي توجد فيها كتيبته .

نائب المسؤول السياسي هو رئيس التنظيم الحزبي . وكأعضاء في القيادة ، على المسؤول السياسي ونائبه أن يهتما بالمسائل العسكرية ويتفهماها وأن يساعدا القيادة في هذا المجال .

يجب أن تتأكد لجنة الحزب ان التنظيم الحزبي في الكتيبة وفي الميدان لا يتحول الى معلمين للقيادة بل يجب أن تكون العلاقة بشكل يجعل الحزب في مكان القائد الفعلي دون أن يتعارض ذلك مع استقلال ومبادرات القيادة العسكرية شريطة التأكيد من تنفيذ توجيهات الحزب . من ناحية أخرى ، تستطيع القيادة العسكرية الاعتماد ، في كل الشؤون ، على دعم ومساندة التنظيم الحزبي لها بصفته العامل القيادي في حرب التحرير الشعبية .

ويجب التنبه إلى عدم تمكين الخط العسكري من التغلب على الخط الحزبي . ويعني ذلك ألا يهتم أعضاء الحزب الموجودون في مراكز قيادية عسكرية أو سياسية بواجباتهم الرسمية ويهملوا مسؤولياتهم الحزبية ، مما يؤدي الى تقليص علاقاتهم بتنظيمهم الحزبي واقتصار عملهم على تنفيذ واجباتهم العسكرية فقط .

إذا حدث ذلك فسوف يقلل من أهمية هدفنا السياسي الذي نقاتل من أجله وسوف يفقد الحزب دوره القيادي وتأثيره في الوحدات . لقد حدث ان وحدات عسكرية معينة أهملت الجانب السياسي من عملها فكانت النتيجة ان الرجال أصبحوا « عسكريين بصوره بحتة » وهذه حالة يمكن أن تؤدي الى نتائج سلبية في ظروف معينة (الفشل في القتـــال ، الارهاق ، النقص في الطعام ، دعاية سياسية مضرة من قبل العدو أو من العناصر اليائسة الخ . .). يجب أن يبقى التنظيم الحزبي وأعضاء الحزب متنبهين ، وأن يكون العمل الحزبي مستمراً .

ان دعم التنظيم الحزبي ، وتطبيق المبادىء الحزبية وتثقيف الكوادر ، سوف تحرز لنا النجاح خلال فترة قصيرة .

الانصار الفرنسيون في الحرب العالمية الثانية

فرناند غرنيـــير

تتألف قوات الأنصار الفدائيون الفرنسيون من زمر ومجموعـات وسرايا . ويجري تكوين كتائب . يتألف كل زمرة من سبعة أفراد ، ويرئسها رئيس له مساعدان :

١ – مساعد مسؤول عن المعدات ، وعن الاستيلاء على السلاح والذخيرة والمتفجرات والمعدات الخاصة بتدمير خطوط السكك الحديدية ، والقطارات ، وسيارات الشحن ، وخطوط التلفون ومولدات الطاقة الكهربائية .

٢ – مساعد مسؤول عن الاستخبارات ، وعن تجميع أكبر قدر ممكن عن بعض الأشخاص – عاداتهم ومكان إقـــامتهم – وتجميع رسوم لخطوط السكك الحديدية ومصـــانع الكهرباء ومراكز البوليس وثكنات البوليس والقوات الخاصة . ولأغراض الامن ، تقسم كل زمرة الى مجموعتين تضم كل منها ثلاثة رجال . هذا التقسيم تطبيق لمبدأ الثلاثة المعروف : لا تعرف مجموعة الثلاثة أفراد أي مجموعة أخرى ، والمسؤول عن الثلاثة لا يعرف شيئاً عن وحدة أكبر .

ثلاثة أو أربعة زمر تؤلف مجموعة . يرئس المجموعة رئيس ومساعدان .

وبالإضافة إلى ذلك يقوم فرد بمهام المعلم السياسي والمشرف على الدعاية . تكون المجموعات في المنطقة تحت قيادة لجنة عسكرية . وعندما تكون هناك ثلاث مجموعات في منطقة وتكون زمر أخرى قيد التكوين ، تبـــدأ لجنة المنطقة العسكرية بتكوين سرية . وتتألف قيادة السرية من قائد ومثقف سياسي ، و « فني » مسؤول عن الأعلام والاتصالات والمخازن . وبعد توافر عدة سرايا في منطقة ما تقوم لجنة المنطقة بتعيين قيادة كتيبة .

هذا هو تنظيم الأنصار والفدائيين . تنسق لجان المناطق العسكرية عملها من خلال لجان عسكرية مشتركة . وهذه اللجان المشتركة مسؤولة بدورها أمام لجنة عسكرية وطنية (عليا) .

وتكون الزمر مكلفة بالهجمات والتصفيات . يكفي سبعة رجال لتحضير وتنفيذ ضربة سريعة : يقوم واحد أو اثنان بنصب الكمين والآخرون يحمون انسحابهما . أمـــا المجموعات فمكلفة بالهجوم على القطارات ومحطات الطاقة الكهربائية لأن هذه العمليات تتطلب عدداً أكبر من الأفراد .

المقاومة اليونانية ضد الاحتلال النازي

أ. جوانيديس

بعد خمسة أيام من دخول الألمان إلى سالونيكا (في ٩ نيسان ١٩٤١) ، اجتمعت سراً لجنة الحزب الشيوعي في تلك المنطقة وقررت بدء الكفاح المسلح ضد الغزاة . تم الحصول على أسلحة وبدأ خلال أسابيع قليلة تكوين مجموعات فدائية في جبال لانغاداس . وفي أيلول ١٩٤١ سدد الفدائيون أول ضربة إلى قوات الاحتلال في منطقة مقدونيا .

لم يكن الكفاح ضد الألمان أمراً سهلاً ، كان كصعود الجبل . فقد بعثرت الدكتاتورية اليونانية والاحتلال الألماني القوي والتنظيمات في البلاد . ولكن قطاعات حركة المقاومة أخذت تعيد تجميع نفسها بصعوبة وعناء . ولقد أعادت تسليح نفسها بسلاح الجنود القتلى أو بأسلحة خلفها الأهالي ، وبدأت بتكوين نواة وحدات مسلحة في المدن والجبال .

وبرزت جبهة التحرير اليونانية إلى الوجود بعد أشهر قليلة من الاحتلال . وكانت الجبهة تضم في البداية ، أعضاء من الحزب الشيوعي ومن الحزب الاشتراكي وحزب المزارعين . كان لكل هذه الأحزاب ماض سياسي مشرف إذ لم يشترك أي منها بالدكتاتوريات التي حكمت قبل الحرب . ولكنها قاتلت

ضد دكتاتورية مكستاس . وسعت جبهة التحرير تنظيمها ومدى تأثيرها وتولدت قيادة المعركة تدريجياً وبعد جهود وتضحيات كبيرة . وقد انضمت أحزاب ومنظمات أخرى الى الجبهة ، بما فيها حزب الأحرار التقدميين ، والشباب الحر ، والاتحاد العام لنقابات العمال ، واتحادات موظفي الدولة والسكك الحديدية ، ومنظمات النساء المختلفة. لقد انضمت الى المعركة كل مؤسسة سياسية واقتصادية لم يقض عليها مكستاس أو الألمان . فمثلاً ، استطاعت الدكتاتورية القضاء على حزب الأحرار السابق . ولم ينضم أي حزب تقليدي إلى حركة المقاومة .

وفي بداية عام ١٩٤٢ ، أصبحت جبهة التحرير قوة يحسب حسابها . فقد وحدت مجموعات الفدائيين المختلفة تحت قيادة مركزية واحدة . وأنشأت لجاناً تابعة لها في كل أنحاء البلاد . وتم تنظيم عمليات التخريب في المدن ، وتخطيط وتنفيذ عمليات عسكرية فدائية في الجبال .

ودعت جبهة التحرير الشعب اليوناني كله إلى تناسي خلافاته والاتحاد ضد العدو المشترك .

وأعلنت برنامجها التالي :

١ – تحرير اليونان من الغزاة واستعادة سيادتها الوطنية .

٢ – تأليف حكومة موقتة ، بعد التحرير من العناصر المناوئة للفاشستية ، على أن تتكفل هذه الحكومة بإعادة الحريات الديمقراطية للشعب ، وبتأمين العمل والطعام للجميع ، والمحافظة على استقلال وسيادة اليونان ، والعفو عن السجناء السياسيين ، وتنظيم انتخابات حرة .

٣ – معاقبة العملاء ومجرمي الحرب .

٤ – عدم السماح للملك بالعودة إلى اليونان إلى أن يبت الشعب بأمر الملكية بواسطة استفتاء حر .

ووصلت جبهة التحرير الى أوج نشاطها خـــلال الشتاء الاول من عهد الاحتلال . وكان يتم جمع مئـــة جثة صباح كل يوم من شوارع أثينا ، وكان هؤلاء ضحايا سياسة التجويع الألمانية . وقاسى الفقراء أكثر من غيرهم بالطبع . وقامت جبهة التحرير بتوزيع الطعام والمؤن سراً على أهالي المدن . وأحياناً كانت الجبهة تتخذ اجراءات قاسية بجعل المزارعين الأغنياء وأصحاب الأملاك الكبار يتنازلون عن بعض محصولهم كما حاربت الجبهة السوق السوداء وأجبرت أصحاب مخازن الطعام الكبيرة على فتح محلاتهم . كان يقلق الجبهة معرفتهـــا بالانتقام المريع الذي سيقوم به الألمـان رداً على عملياتها العسكرية . لذلك كان يتم تخطيط كل عملية بعناية وبشكل منفرد . كان المفروض في كل عملية أن تفيد الشعب اليوناني والحلفاء ، وكان احتمال نجاحها يحسب بدقة . لم تعد الحرب حرباً فردية لعشر مجموعات أو اثنتي عشرة مجموعة متفرقة ، بل أصبحت حرباً وطنية مدروسة . كان السلاح يتدفق على القيادة العامة من كل المنظمات .

وقد دعم النضال المسلح ودعمت وسائل العنف بوسائل مقاومة سلبية . كان كل يوناني يقترب منه الماني أطرش أو أخرس أو أمياً . تظاهر كل يوناني انه لا يفهم الاوامر . ثم كان الشعب يقوم بالإضرابات . فقـــد نظمت جبهة التحرير إضرابين في أثينا ومدينـــة أخرى أجبرت خلالها قوات الأحتلال على زيادة الرواتب وعلى إقامة مطاعم للعمال وعائلاتهم ، وعلى إعلان انها لن تصدر أية مواد غذائية من اليونان الى الخارج ، كما نجحت جبهة التحرير في عرقلة جهود الألمان ومحاولاتهم الرامية الى استقدام العمال اليونانيين للعمل في المانيا . كانت اليونان أكثر بلد محتل لم يتعاون مع الألمان وقاومهم بكل السبل.

٣- الصّين

المشكلة العسكرية

ماوتسي تونغ

ما دام النضال في منطقة التخوم عسكرياً خالصاً ، فإنه ينبغي وضع الحزب والجماهير على السواء على صعيد حربي ، بحيث أصبحت طريقة معاملة العدو وطريقة القتال المشكلتين المركزتين في حياتنا اليومية . ان نظاماً مستقلاً ينبغي أن يكون نظاماً مسلحاً . فحين لا تتوفر القوى المسلحة، أو تكون غير كافية ، أو تكون التعبئة لمجابهة العدو خاطئة ، فانه سيكون في مقدور العدو تحقيق احتلاله فوراً . ولما كان الصراع يزداد ضراوة كل يوم ، فقد أصبحت مشاكلنا معقدة وخطيرة حتى الدرجة القصوى .

أما فيما يتعلق بتركيب الجيش الأحمر ، فان قسماً منه يتألف من العمال والفلاحين ، والقسم الآخر من البروليتاريا الرثة . ومن المؤكد انه من غير المرغوب فيه أن تكون نسبة البروليتاريا الرثة كبيرة جداً . لكنه لما كان

القتال مستمراً يومياً والخسائر متصاعدة ، فانه ليس من الأمر اليسير الآن تأمين البرولتاريين الرثيين للاعاضة ، على الرغم من كونهم مقاتلين ممتازين . فكل ما نستطيع أن نفعله في هذه الظروف هو تشديد التدريب السياسي .

وان غالبية الجيش الاحمر مستقاة من جيوش مرتزقة ، لكنهم لا ينضمون إلى الجيش الاحمر حتى يبدلوا صفاتهم . ولقد الغى الجيش الاحمر ، قبل كل شيء ، نظام الارتزاق ، باعثاً في الجنود الشعور بأنهم لا يحـــاربون من أجل إنسان آخر بل من أجل أنفسهم ومن أجل الشعب . ولم يطبق الجيش الاحمر حتى الآن نظاماً للدفع المنتظم ، بل يوزع الارز ، وبطاقة للزيت ، والملح ، والمحروقات ، والخضار ، وبعض المال للمصروف العادي . وقد وزعت الأرض على سائر ضباط الجيش الاحمر وأفراده الذين ولدا في منطقة التخوم ، لكنه يصعب من جهة أخرى توزيـع الأرض على أولئك الذين من مناطق نائية .

وقد أصبح جنود الجيش الأحمر جميعاً، بعد ما تلقوا بعض الثقافة السياسية، واعين طبقياً واكتسبوا معرفة عامة عن إعادة توزيـع الأرض ، وإقامة السلطة السياسية ، وتسليح العمال والفــلاحين ، الخ . . . وانهم ليعرفون جميعاً انهم يحاربون من أجل أنفسهم ومن أجـــل الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين ، بحيث يستطيعون أن يتحملوا النضال الأشد مرارة دونما شكوى مطلقاً . وان لكل سرية أو فوج أو فرقة مجلساً للجنود يمثل مصالح الجنود وينفذ العمل السياسي والجماهيري .

ولقد برهنت التجربة على ان نظام الممثلين الحزبيين [1] ينبغي ألا يلغى ، ولما كان الفرع الحزبي منظماً على أساس السرية ، فإن الممثل الحزبي على مستوى

(١) أعيدت تسمية الممثل الحزبي في الجيش الاحمر بوصفه المندوب السياسي عام ١٩٢٩ ، وأعيدت تسمية المندوب السياسي في السرية بوصفه المدير السياسي عام ١٩٣٩

السرية يتمتع بأهمية مخصوصة ، إذ من واجبه الإشراف على لجـــان الجنود في تنفيذ التدريب السياسي ، وتوجيه عمل الحركة الجماهيرية ، والقيام في الوقت نفسه بعمل سكرتير الفرع الحزبي . وقد برهنت الوقائع على ان السرية تكون أفضل بقدر ما يكون ممثلها الحزبي أفضل ، فيما آمر السرية لا يستطيع تقريباً أن يلعب مثل هذا الدور السياسي الفعـــال . ولما كانت الخسائر الجسيمة بين الملاكات الدنيا ، فكثيراً ما جعل جنود العدو الأسرى منذ بعض الوقت قادة فصائل أو سرايا ، وبعض أولئك الذين أسروا في شباط أو آذار الأخيرين فقط هم الآونة قادة أفواج . وقد يبدو للوهلة الأولى أن في مقدور جيشنا ، ما دام يدعى الجيش الأحمر ، الاستغناء عن الممثلين الحزبيين ، لكن العكس هوالحقيقة في الوقت الحاضر . ولقد الغت الفرقة الثامنة والعشرين في جنوبي هونان هـذا النظام ذات مرة كي تعود إلى تطبيقه فيما بعد . أمـــا تسمية الممثلين الحزبيين « مدراء » فسوف يؤدي إلى الخلط بينهم وبين مدراء الكيومنتانغ المكروهين من قبل الجنود الأسرى . والأكثر من ذلك ان تبديل الألقاب لا يؤثر في طبيعة النظام . ولذا فقد اتخذنا قرارنا ضد التبديل . واننا لنأمل ، كي نعوض عن الخسائر الفادحة في الممثلين الحزبيين ، أن يرسل لنا المركز الحزبي واللجنتان الحزبيتان في المقاطعة على الأقل ثلاثين رفيقاً آهلاً لأن يكونوا ممثلين حزبيين ، وذلك فضلاً عن تنظيم بعض الصفوف التدريبية من قبلنا .

ويحتاج الجندي المتوسط إلى ستة أشهر أو سنة من التدريب قبل أن يصير قادراً على القتال ، بيد انه لا بد لجنودنا على الرغم من تجنيدهم البارحة فقط ، أن يقاتلوا اليوم عملياً دون أي تدريب يمكن الحديث عنه . ولما كان التكتيك العسكري يعوزهم حتى الدرجة القصوى ، فانهم يحاربون بالشجاعة وحدها . ولما كانت فترات الراحة أو التدريب الطويلة مستحيلة ، فلا بد لنا أن نرى ما اذا كان في استطاعتنا إيجاد الوسائل لتجنب بعض المعارك كسباً للوقت من أجل التدريب . وقد شكلنا من أجـــل تدريب الضباط ذوي الرتب الصغيرة

جهازاً تدريبياً من ١٠٧١ رجلاً ، وفي عزمنا أن نجعـــل منه مؤسسة دائمة . واننا لنأمل أن يرسل الينا المركز الحزبي واللجنتان الحزبيتان في المقاطعة عدداً آخر من الضباط من مرتبة قادة الفصائل والسرايا فما فوق .

وقد طلبت لجنة مقاطعة هونان منا أن نعني بحياة الجنود المادية وأن نجعلها على الأقل أفضل قليلاً من حياة العامل أو الفلاح المتوسط . والعكس تماماً هو الواقع في الوقت الراهن ، لأن كل فرد يتناول ، فضلاً عن جعالته من الارز ، خمسة سنتات فقط من أجل زيت الطهي ، والملح ، والحطب ، والخضار ، وانه لمن الصعب حتى الابقاء على هذه الحالة . وتبلغ التكاليف الشهرية لهذه الأشياء وحدها أكثر من عشرة آلاف دولار فضى ، وهـــو مبلغ لا نحصل عليه إلا بواسطة نوع ملكية العتاة المحليين [١] . وقد حصلنا الاونة على القطن من أجل الثياب الشتوية الخاصة بكل الجيش المؤلف من خمسة آلاف رجـــل ، لكن الثياب لا تبرح تعوزنا بعد . وعلى الرغم من برودة الطقس ، فإن عدداً كبيراً من رجالنا لا يبرحون يرتدون بزتين من الثياب الصيفية . ومن حسن الحظ اننا اعتدنا المشاق . وفيما عدا ذلك ، فإن الجميع على السواء يتقاسمون المشاق نفسها، فهم يعيشون جميعاً من قائد الجيش نزولاً حتى الطاهي على بدل يومي يساوي خمسة سنتات ، باستثناء الحبوب . أما بشأن مصروف الجيب ، فاذا خصص للفرد عشرون سنتاً ، فهي عشرون سنتاً للجميع على السواء ، واذا خصص له أربعون سنتاً ، في أربعون سنتاً للجميع على السواء [٢] . وهكذا لا يضمر الجنود حقداً ضد أي شخص كان على الاطلاق .

---

(١) كان ذلك مجرد تدبير مؤقت لتغطية قسم من تكاليف الجيش . ومع نمو الجيش واتساع رقعة الارض ، أصبح فرض الضرائب أمراً ضرورياً وممكناً .

(٢) استمرت هذه الممارسة ، التي كانت تمليها الظروف السائدة وقتذاك ، فترة طويلة في الجيش الاحمر . وعلى أية حال فان الضباط والافراد جعلوا يتلقون فيما بعد مرتبات مختلفة قليلا وفقاً لرتبهم .

وثمة عدد من الجنود الجرحى بعد كل اشتبـاك ، وقد سقط عدد كبير من الضباط والأفراد مرضى من جراء سوء التغذية والتعرض للبرد وأسباب أخرى. وان المستشفى الواقع في الجبل عالياً يطبق المعالجات الصينية والغربية على السواء، لكنه يفتقر إلى الأطباء والأدوية جميعاً . وثمة حالياً ما يزيد عن ثمانمائة مريض في المستشفى . وقد وعدت لجنة مقاطعة هونان أن تؤمن لنا الأدوية ، لكننا لم نتلق حتى الآن شيئاً منها . ولا بد لنا بعد أن نسأل المركز الحزبي واللجنتين الحزبيتين في المقاطعة أن يرسلوا لنـــا بعض اليود وبعض الأطباء من ذوي التدريب الغربي .

وفيما عـــدا الدور الذي يلعبه الحزب ، فإن السبب في أن الجيش الأحمر يستطيع أن يتماسك دون انهيار في مثل هذا المستوى اليائس من الحياة المادية ومثل هـــذه الاشتباكات غير المنقطعة هو ممارسته للديمقراطية . فالضباط لا يضربون الأفراد ، والضباط والأفراد يتناولون نفس الراتب ، والجنود يتمتعون بحرية الاجتماع والكلام ، وقد استغني عن الشكليات والاحتفالات المربكة ، كما ان دفاتر الحسابات مفتوحة لمراقبـــة الجميع ، والجنود هم الذين يشرفون على الموائد المشتركة ، فهم يستطيعون أن يوفروا ، من المبلغ اليومي البـالغ خمسة سنتات والمخصص للزيت والملح والحطب والخضـــار ، مبلغاً صغيراً من أجل مصروف الجيب (يسمى وفر الطعام المشترك) ، يبلغ على وجه التقريب ستين أو سبعين قرشاً [١] للشخص الواحد يومياً . وان سائر هذه التدابير مرضية جـــداً للجنود . وان الجنود المأسورين حديثاً على الأخص يحسون ان جيشنا وجيش الكيومنتانغ عالمان مختلفان ، فيشعرون انهم تحرروا روحياً ، وذلك على الرغم من كونهم بخصوص الحياة المـادية أسوأ في الجيش الأحمر منهم في الجيش الأبيض . وان الحقيقة التالية ، ألا وهي ان نفس الجندي الذي لم يكن

---

(١) القرش الصيني يساوي جزءاً من الف جزء من دولار فضي .

شجاعاً البارحه في الجيش المعادي قد أصبح اليوم شجاعاً في الجيش الأحمر ، لتبين للضباط ما للديمقراطية من تأثير . ان الجيش الأحمر لأشبه ببوتقة يذوب فيها سائر الجنود الأسرى ويتحولون منذ وصولهم اليه . ففي الصين لا يحتاج الشعب وحده الى الديمقراطية ، بل ان الجيش يحتاج اليها . ان النظام الديمقراطي في جيش ما [1] هو سلاح هام في تدمير الجيش الاقطاعي المرتزق .

وتنقسم المنظمات الحزبية حالياً على أربعة مستويات : فرع السرية ، ولجنة الفوج ، ولجنة الفرقة ، ولجنة الجيش ، فثمة الخلية في السرية والخلية في الشرذمة . وان سبباً هاماً في قدرة الجيش الأحمر على اجتياز مثل هذا الصراع القاسي دون خيبة هو ان الفرع الحزبي منظم على أساس السرية .

ولم يكن لمنظماتنا في الكيومنتانغ أية سلطة على الجنود قبل سنتين ، كما لم يكن حتى بين قوات ييه تنج [2] سوى فرع حزبي واحد في كل فرقة ، وهذا

---

(١) يشدد هنا بصورة خاصة على ضرورة ادخال مقدار من الحياة الديمقراطية الى الجيش الثوري ، وهو يومذاك في المرحلة البدئية من تنظيمه ، بغية تحريك الحماسة الثورية للمتطوعين الجدد من الفلاحين والقوات البيض الواقعة في الاسر ، وبغية تحرير الضباط من تأثير نزعة السيادة الحربية السائدة في الجيوش الرجعية .

ومن المؤكد ان الديمقراطية في الجيش يجب ان تظل محصورة ضمن حدود الانضباط العسكري وينبغي أن تعمل على تقوية الانضباط لا اضعافه ، كما يجب ألا نخلط بينها وبين النزعة الديمقراطية القصوى وعدم المبالاة المطلق بالانضباط اللذين أصبحا مدعاة للاهتمام الجدي في الفترة الاولى من وجود الجيش الاحمر ، واللذين يجب مكافحتهما باصرار ، فيما يجب ادخال الديمقراطية المناسبة الى هذا الجيش . أنظر « في تصحيح بعض الآراء الخاطئة في الحزب » .

(٢) كان الرفيق ييه تنغ يقود فرقة مستقلة خلال الحملة الشمالية عام ١٩٢٦ . ولما كان الشيوعيون يشكلون دعامة هذه الفرقة ، فقد اشتهرت بوصفها قوة ماضية . ولقد صار توسيعها اللواء الرابع والعشرين بعدما استولى الجيش الثوري على ووشانغ والي الجيش الحادي عشر بعد انتفاضة نانشانغ .

هو السبب في أن هذه القوات لم تستطع الصمود في وجه أي امتحان قاطع وتبلغ نسبة الأعضاء الحزبيين في الجيش الأحمر اليوم واحداً على ثلاثة على وجه التقريب ، يعني إن ثمة عضواً في الحزب بين كل أربعة رجال وسطياً . وقد قررنا مؤخراً أن نجند عدداً أكبر من أعضاء الحزب بين الجنود المقاتلين بحيث تصبح النسبة بين الأعضاء الحزبيين والأفراد غير الحزبيين خمسين الى خمسين [1]

وان فروع السرايا ليعوزها في الوقت الحاضر أمناء سر صالحون ، ونحن نسأل المركز الحزبي أن يرسل لنا لهذه الغاية عدداً كبيراً من النشيطين من أولئك الذين ما عاد في مكنتهم البقاء حيث هم . وان الاشخاص العاملين من جنوبي هونان يقومون كلهم تقريباً بالعمل الحزبي في الجيش ، وقد غادرنا بعضهم في آب أثناء الهروب في جنوبي هونان ، ونحن لا نملك بنتيجة ذلك جهازاً عاملاً نوفره في هذه الآونة .

والقوات المسلحة المحلية هي الحرس الأحمر وفصائل العصيان الخاصة بالعمال والفلاحين ، وهذه الفصائل مسلحة بالرماح وبنادق الصيد ومنظمة على أساس النواحي مع احتياطي في كل ناحية ، قوته تتناسب مع سكان هذه الناحية ، وتنحصر مهمتها في القضاء على الثورة المضادة ، وحماية الحكومة في المنطقة ، ومعاضدة الجيش الأحمر في الحرب عندما يأتي العدو . وقد قامت فصائل العصيان للمرة الاولى في يونغسين كقوة سرية ، ولم تخرج الى الحياة العلنية إلا منذ استيلائنا على الاقليم برمته . ولقد امتدت المنظمة الآونة الى الأقاليم الأخرى من منطقة التخوم ، وبقي الاسم على حاله دون تبديل . وتتألف

---

(١) بينت التجربة ان العمل يسير على خير ما يرام يعد أعضاء الحزب حوالي تلث تعداد الجيش الاحمر . وقد حوفظ عموماً على هذه النسبة في الجيش الاحمر وفي جيش التحرير الشعبي .

أسلحة الحرس الاحمر بصورة رئيسية من بنادق ذات خمس طلقات ، لكنها تتضمن أيضاً بنادق ذات تسع طلقات وأخرى ذات طلقة واحدة . وهذه الاسلحة هي ١٤٠ بندقية في نينغ كانغ ، و ٢٢٠ في يونغسين ، و ١٣ في لينهوا ، و ٥٠ في شالينغ ، و ٩٠ في لينغ ، و ١٣٠ في سويشوان ، و ١٠ في وانان ، فمجموعها يبلغ إذن ٦٨٣ بندقية . وبينما قدم الجيش الأحمر معظم هذه البنادق ، فإن الحرس الاحمر استولوا هم أنفسهم على بعضها من العدو . ويزيد معظم الحرس الأحمر في الاقاليم قدرتهم على القتال يوماً بعد يوم ، وهم يحاربون بانتظام ضد فصائل حفظ السلام والميليشيا المجندة من المنازل ، هذه القوى الخاضعة لاشراف الملاكين .

وقبل حادث ٢١ أيار [1] ، كان في سائر الاقاليم فصائل تملك ٣٠٠ بندقية في يو ، و ٣٠٠ في شالينغ ، و ٦٠ في لينغ ، و ٥٠ في سويشوان ، و ٨٠ في يونتسين ، و ٦٠ في لينهوا ، و ٦٠ في نينغ كانغ (رجال يوان ون ـ تساي) ، و ٦٠ في جبال شينغ كانغ (رجال وانغ تسو) ، ومجموعها ٩٧٠ بندقية . وإذا استثنينا بنادق رجال يوان ووانغ التي لم تلحق بها أية خسارة ، فإنه لم يمكن إنقاذ سوى ست بنادق في سويشوان وبندقية واحدة في لينهوا بعد

---

(١) عمد قادة الجيش الكيومنتانغي الرجعي في هونان ، وفي عدادهم هيوسكي هسيانغ وهو شيين ، يساعدهم ويحرضهم شيانغ كاي ـ شك ووانغ شنغ ـ دي ، الى اصدار أوامرهم للقيام بغارة على مركز الاتحاد العمالي في المقاطعة ، والمنظمات الفلاحية والمنظمات الثورية الاخرى في شانغشا ، وذلك في ٢١ أيار ١٩٢٧ . ولقد اعتقل شيوعيون وفلاحيون وعمال ثوريون عديدون وقتلوا بأعداد كبيرة . وكان ذلك دلالة على التعاون العلني بين العصابتين الرجعيتين من الكيومنتانغ ، عصابة ووهان التي يتزعمها وانغ شانغ ـ دي ، وعصابة نانكنغ التي يتزعمها شيانغ كاي ـ شك .

الحادث فيما استولى الاشراف الملاكون على البقية كلها . وان مثل هذا العجز من جانب فصائل الفلاحين الخاصة بالدفاع الذاتي في الاحتفاظ ببنادقهم هو نتيجة التيار الانتهازي . وفي الوقت الحاضر لا تبرح بنادق الحرس الاحمر في الاقاليم قليلة جداً ، وهي أقل عدداً من البنادق التي يملكها الاشراف الملاكين ، وينبغي للجيش الاحمر أن يثابر على تزويد الحرس الاحمر بالأسلحة . ان من واجب الجيش الاحمر أن يبذل كل ما وسعه ، بقدر ما لا ينقص ذلك قدرته على القتال كي يساعد الشعب في تسليح نفسه .

وقد بسطنا ان كل فوج من الجيش الاحمر ينبغي أن يتألف من أربع سرايا وكل سرية من خمس وسبعين بندقية ، وعندما نضم هذه البنادق الى ما تملكه سرية المهمات الخاصة ، وسرية المدافع الرشاشة ، وسرية مدافع الهاون ، ومفارز القيادة للافواج الثلاثة والفرقة نفسها ، فإنه يصبح لكل فرقة ١٠٧٥ بندقية إذن . وانه لمن الواجب استخدام البنادق التي يتم الاستيلاء عليها أثناء القتال في تسليح القوى المحلية قدر الإمكان ، كما يجب أن يكون قادة الحرس الاحمر أناساً أرسلوا من الاقاليم إلى فصيلة التدريب المشكلة من قبل الجيش الاحمر وأتموا دراستهم . ويتوجب على الجيش الاحمر أن يرسل عدداً أقل من الناس من المناطق البعيدة كي يكونوا رؤساء للقوى المسلحة . ان شوبي ـ تيه يسلح كذلك فصائله الخاصة بحفظ السلام والميليشيا المجندة من سائر المنازل، كما ان القوى المسلحة الخاصة بالأشراف الملاكين في اقليم منطقة التخوم عظيمة في تعدادها وفي قدرتها القتالية . وهذه جميعاً أسباب أخرى توجب علينا عدم التماهل لحظة واحدة في زيادة قواتنا الحمراء المحلية .

ويجب أن يكون التمركز هو المبدأ الذي يعمل به الحرس الاحمر . ففي المرحلة الراهنة من الاستقرار المؤقت الذي يتمتع به النظام الرجعي يستطيع

العدو أن يكرس قواته لمهاجمة الجيش الاحمر ، فليس في مصلحة الجيش الاحمر أن يبعثر قواه.إذن ، ولقد أدت بعثرة القوى ، في تجربتنا ، إلى الهزيمة بصورة دائمة تقريباً ، فيما مركزة القوى لقتال عدو قوته أدنى أو مساوية أو أعلى قلية من قوانا غالباً ما انتهت الى الظفر ، وان المنطقة التي أصدرت لجنـــة الحزب المركزية تعليماتها الينا كي نطور فيها حرب الانصار رحبة جداً ، تغطي آلافاً عديدة من الاميال طولاً وعرضاً ، ومن المؤكد ان السبب في ذلك هو الافراط في تقدير قوتنا . أما بالنسبة الى الحرس الاحمر ، فالتبعثر أصلح لهم ، وقد عمد الحرس الاحمر كلة في الاقـــاليم الى القيـــام بعمليات متفرقة في الوقت الراهن .

وان أنجع الاساليب في الدعاية الموجهة الى القوى العدوة هو إطلاق سراح الجنود الاسرى وتقديم المعالجة الطبية لجرحاهم . وكلما أسر الجنود أو قادة شراذم وسرايا وأفواج من القوات العدوة ، عمد على الفور الى تطبيق الدعاية بينهم ، وانهم ليقسمون الى أولئك الذين يريـــدون أن يبقـوا وأولئك الذين يرغبون في الذهـــاب ، وهؤلاء الآخرين يعطـــون نفقات السفر ويطلق سراحهم ، وهذا ما يهشم في الحال نميمة العدو الزاعمة ان « الاشقياء الشيوعيون يقتلون كل من تقع عليه أبصارهم » . وتقـــول جريدة ليانغ شيه ـ شينغ ، وهي مجلة الفرقة التاسعة ، ما يلي بخصوص هذا التدبير : « يا له من لؤم قاتل! » وان الرفاهية التي يؤمنها الجيش الاحمر للجنود الاسرى ووداعهم لهم أمران صادقان حتى الدرجة القصوى . ويلقي الجنود الاسرى في كل « حفلة وداع للاخوة الجدد » خطباً للتعبير بالمقابل عن امتنانهم القلبي . وان المعالجة الطبية لجرحى العدو وسيلة فعالة جداً ايضاً . ومؤخراً ، عمـد بعض الاذكياء من جانب العدو ، لي ون ـ بين مثلاً ، الى عدم قتل الاسرى

والى تقديم العناية الطبية للجنود الجرحى ، تقليداً لنا . وعلى الرغم من ذلك حدث في مناسبتين ان بعضاً من رجالنا ، في الاشتباكات التالية ،. قد انضموا الينا بأسلحتهم . وفضلاً عن ذلك فقد قمنا بدعاية مكتوبة واسعة، كالشعارات المصورة ، قدر إمكاننا . وإبان ذهبنا فإننا نكتب الشعارات على الجدران . لكنه يعوزنا الاشخاص الموهوبون للتصوير ، ونأمل أن يرسل لنا المركز الحزبي واللجنتان الحزبيتان في المقاطعة بعضاً من هؤلاء .

في وجهة النظر العسكرية الخالصة

ماوتسي تونغ

ان وجهة النظر العسكرية الخالصة منتشرة بصورة غير عادية بين عدد من الرفاق في الجيش الاحمر وهذه هي تظاهراتها :

١ – معارضة العمل العسكري والعمل السياسي ، وعـدم الاعتراف بأن العمل العسكري هو مجرد وسيلة من وسائل تحقيق المهمات السياسية . بـل المناداة بأنه « اذا سارت الامور على ما يرام عسكرياً ، فمن الطبيعي أن تسير على ما يرام سياسياً . وحين تتعثر عسكرياً ، فلا بد أن تتعثر سياسياً ايضاً ». خطوة أخرى واذا الميدان العسكري يتفوق على الميدان السياسي .

٢ – اعتبار مهمة الجيش الاحمر مماثلة لمهمة الجيش الابيض ، أي القتال فقط وجهل الحقيقة التالية ، الا وهي ان الجيش الاحمر منظمة مسلحة تنفذ مهمات الثورة السياسية . ومن المؤكد ، على الأخص في الوقت الراهن ، ان الجيش الاحمر لا يمكن ان يقتصر على القتال وحده . ان من واجبه ايضاً ، فضلاً عن القتال من أجل سحق قوة العدو العسكرية ، أن يأخذ على عـاتقه مهمات عظيمة الشأن مثل تحريض الجماهير ، وتنظيمها ، وتسليحها ، ومساعدتها على

إقامة السلطة السياسية الثورية ، بل على تأسيس منظمات للحزب الشيوعي . إن الجيش الأحمر لا يخوض غمار الحرب لمجرد القتال ، بل هو يستهدف تحريض الجماهير ، وتنظيمها ، وتسليحها ، ومساعدتها على إقامة السلطة السياسية الثورية . ومن دون هذه الأهداف يفقد القتال معناه ، ويفقد الجيش الأحمر مبرر وجوده .

٣ – ويؤدي هذا في ميدان التنظيم إلى إخضاع أجهزة العمل السياسي في الجيش الأحمر لأجهزته العسكرية ، وإلى هذا الشعار : « قيادة الجيش تعامل الناس » . واذا استمر مثل هذا الرأي في التطور ، فقد يؤدي إلى الانعزال عن الجماهير ، وإلى سيطرة الجيش على الحكم ، وإلى التحول عن القيادة البروليتارية – وبنتيجة هذا الانزلاق نحو تلك النزعة العسكرية – التي اتبعها جيش الكيومنتانغ .

٤ – التغاضي في مجال العمل التحريضي والدعائي عن أهمية فصائل التحريض . والتغاضي في ميدان تنظيم الجماهير عن خلق مجالس الجنود في الجيش والمنظمات الجماهيرية المحلية العمالية والفلاحية ، الأمر الذي يؤدي إلى توقف العمل التحريضي والعمل التنظيمي على السواء .

٥ – التكبر بعد الانتصارات والاكتئاب بعد الهزائم .

٦ – الأنانية الضيقة ، يعني الاقتراب من سائر الأشياء في مصالح الجيش الرابع فقط ، دون الإدراك بأن تسليح الجماهير المحلية هو إحدى مهمات الجيش الأحمر الهامة . انها الروح التعصبية نفسها ، لكن على صعيد أوسع .

٧ – يعتقد بعض الرفاق القلائل ، المحدودون بالجوار المباشر للجيش الرابع ، انه لا توجد أية قوى ثورية أخرى غير هذا الجيش . ومن هنا كانت

الفكرة المناضلة في الجـذور ، القائلة بالمحافظة على قواتنا وتجنب الأعمـــال العسكرية ، تلك البقايا للروح الانتهازية .

٨ – التعامي عن الشروط الذاتية والموضوعية ، والانجراف بالتهور الثوري ، ورفض بذل أية جهود صابرة ، دقيقة ، غير ملحوظة ، بين الجماهير ، بل الرغبة في المآثر الكبيرة فقط ، والإمتـــلاء بالأوهام . وتلك بقايا لروح المغامرة[1] وإن أسباب مثل هذه الروح العسكرية الخالصة هي :

١ – المستوى السياسي . ومن هنا كان عدم إدراك روح القياددة السياسية في الجيش ، وعدم إدراك الفارق الجوهري بين الجيش الأحمر والجيش الأبيض.

٢ – عقلية القوات المرتزقة . ذلك ان الأعداد الكبيرة من الأسرى الذين جندوا في الجيش الأحمر قد جلبوا معهم هذه العقلية المرتزقة المتأصلة فيهم ، وبذلك نشأت في الوحدات الدنيا الظروف الملائمـــة لقيام الروح العسكرية الخـــالصة .

٣ ـ ان سبباً ثالثاً ينشأ عن السببين الآنفي الذكر ، إلا وهو فرط الثقة في القوى العسكرية ونقص الثقة في قوى جماهير الشعب .

---

(١) قامت في الحزب الشيوعي بعد فترة قصيرة من هزيمة الثورة في ١٩٢٧ نزعة «يسارية» الى المغامرة . وكان أنصار هذه النزعة يعتبرون ان للثورة صفة « الثورة الدائمة » وان الحـــالة الثورية في الصين هي حالة من « الانتفاضة الدائمـــة » ولذا عارضوا التراجع المنظم ، واذ تبنوا الاساليب القسرية واعتمدوا على عدد ضئيل من أعضاء الحزب وفئة صغيرة من الجماهير ، فقـد حاولوا مخطئين ان يثيروا في البلاد كلها سلسلة من الانتفاضات المحلية التي لا أمل لها في النجاح . ولقد كانت الفعاليات ذات نزعة المغامرة واسعة الانتشار في أواخر عام ١٩٢٧ ، لكنها خمدت في أوائل ١٩٢٨ ، وان تكن العواطف في مصلحة نزعة المغـــامرة لم تنحل تماماً عند بعض الرفاق .

٤ – ينبغي للحزب أن يعنى باستمرار بالعمـــل العسكري ويناقشه بكل انتباه وينبغي أن ينفذ كل عمل بواسطة الجماهير بعدما تصير مناقشته وتقريره في الحزب .

٥ – وضع قواعـــد وتنظيمات تحدد بكل وضوح مهمات الجيش الأحمر ، والعلاقة بين أجهزة العمل العسكري وأجهزة العمل السياسي ، والـعلاقة بين الجيش الأحمر وجماهير الشعب ، وسلطـات مجلس الجنود ووظائفه وعلاقته بالأجهزة العسكرية والسياسية .

خصائص الحرب الثورية في الصين

ماوتسي تونغ

١ ـ أهمية الموضوع

ان الأشخاص الذين لم يقبلوا ، أو لم يفهموا ، أو لا يريدون أن يفهموا أن للحرب الثورية الصينية خصائصها الخاصة قد عالجوا الحرب التي خاضها الجيش الأحمر ضد قوى الكيومنتانغ على اعتبارها ذات طبيعة مماثلة للحروب العادية أو الأهلية في الاتحاد السوفياتي . والحقيقة ان لتجربة الحرب الأهلية في الاتحاد السوفييتي ، بقيـــادة لينين وستالين ، مغزى عالمياً . وان سائر الأحزاب الشيوعية ، بمـــا فيها الحزب الشيوعي الصيني ، تعتبر تلك التجربة والتعميم النظري لها من قبل لينين وستالين نبراسها الموجه . بيد ان هـذا لا يعني مع ذلك ان من واجبنا أن نطبق هذه التجربة بصورة آلية في ظروفها الخاصة . إن الحرب الثورية الصينية تتميز بخصائص عديدة عن الحرب الأهلية في الاتحاد السوفياتي . ومما لا ريب فيه إن القصور في تقدير هذه الخصائص أو إنكارها أمر خاطىء ، وهذا أثبته بصورة جـــازمة تاريخ حربنا في الأعوام العشرة الماضيـة .

ولقد ارتكب عدونا كذلك أخطاء مماثلة ، فرفض أن يعترف بأن قتال الجيش الأحمر يتطلب سوقية وتعبئة مختلفتين عن السوقية والتعبئة اللتين تتطلبها العمليات العسكرية الأخرى . ولقد استصغر شأننا ، مستنداً إلى تفوقه في مجالات مختلفة ، وتعلق بطرقه الحربية القديمة . وتلك كانت الحال عام ١٩٣٣ سواء قبل حملته الرابعة من « التطويق والإفناء » أو أثناءها وكان نصيبه نتيجة لذلك سلسلة من الهزائم . وكان الجنرال الكيومنتانغي الرجعي ليو وي ـ يوان أول من قدم وجهة نظر جديدة في هذا الموضوع ومن بعده تاي يو ، وتبنى شيانغ كاي ـ شيك توصياتها أخيراً . وهكذا أسس شيانغ كاي ـ شيك مدارس تدريب ضباطه الجديدة في كولينغ [١] ، ولجأ إلى المبادىء العسكرية الرجعية الجديدة [٢] التي طبقها في حملته الخامسة من « التطويق والافناء » .

لكنه عندما عدل العدو مبادئه العسكرية كي تتناسب مع ظروف الحرب ضد الجيش الأحمر ، ظهر في صفوفنا نفسها جماعة من الناس الذين توجهوا من جديد إلى « الطريقة القديمة » . . كانوا يزعمون باستمرار ضرورة العودة إلى المبادىء العامة لمواصلة الحرب ، ويرفضون الاعتراف بخصائص وضعيتنا الخاصة ، وينكرون هذه التجربة التي سقاها الجيش الأحمر بدمائه ، ويستصغرون شأن قوة جيش الكيومنتانغ ، ويتجاهلون عن قصد المبادىء الرجعية الجديدة التي تبناها العدو . وبنتيجة ذلك ، فقد فقدت سائر القواعد الثورية باستثناء تخوم

---

(١) منظمة أسسها شيانغ كاي ـ شيك في تموز ١٩٣٣ في كولينغ ، وهي ملاذ جبلي ريفي في كيو كيانغ من مقاطعة كيانغسي ، في سبيل تدريب الملاكات الناهضة للشيوعية . وكان الضباط من جيش شيانغ يرسلون بصورة دورية الى هناك كي يتلقوا تدريباً سياسياً وعسكرياً فاشياً من قبل مدرسين المانيين وايطاليين واميركيين .

(٢) سوقية بناء المعاقل والتقدم البطيء .

شنسي ـ كانسو . وتناقص الجيش الأحمر من ٣٠٠٠٠٠ رجل إلى عشرات قليلة من ألوف الرجال ، كما نقص عدد أعضاء الحزب الشيوعي الصيني من ٣٠٠٠٠٠ رجل إلى عشرات قليلة من ألوف ، كما سحقت المنظمات الحزبية في المنـــاطق الكيومنتانغية بصورة كلية تقريباً . وباختصار ، فقد تعرضنا لعقاب تاريخي كبير جداً . وكانت هذه الجماعة من الناس تسمي نفسها ماركسية ـ لينينية ، لكنهـا في واقع الأمر لم تتعلم حرفاً واحداً من الماركسية ـ اللينينية . ولقد قال لينين ان « الشيء الأكثر جوهرية في الماركسية ، الروح الحية للماركسية » هو « التحليل الحسي للظروف الحسية » [١] وان هذه المنطقة بالضبط هي التي غابت عن ذهن أولئك الرفاق .

ويتضح من هنا ان الفشل في إدراك خصائص الحرب الثورية الصينية يعني العجز عن إدارتها أو قيادتها إلى النصر .

٢ ـ ما هي خصائص الحرب الثورية الصينية ؟

ما هي إذن خصائص الحرب الثورية الصينية ؟

أعتقد إن خصائصها الرئيسية هي أربع خصائص .

والخاصة الاولى للحرب الثورية الصينية هي ان الصين بلد شاسع الأبعاد نصف مستعمر ، ذو تطور متفاوت سياسياً واقتصادياً على حد سواء ، وقـد شهد ثورة ١٩٢٤ ـ ١٩٢٧ .

---

(١) يقول لينين في نقده للشيوعي المجري بيلاكون انه « يهمل الشيء الاكثر جوهرية في الماركسية ، الروح الحية للماركسية التي هي ، التحليل الحسي للظروف الحسية» . « المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية ، موسكو ١٩٥٠ ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص ١٤٣ » .

وهذه الخاصة تبين انه يمكن للحرب الثورية الصينية أن تتطور وتنتصر . ولقـــد أشرنا إلى ذلك (في اجتماع الحزب الاول في منطقة تخوم هوتان كيانغسي [1])، عندما أثار بعض الرفاق في منطقة تخوم ـ هونان ـ كيانغسي ـ جبال سينغ كانغ ـ في أواخر عام ١٩٢٧ وأوائل عام ١٩٢٨ ، بعـد اندلاع حرب الانصار الصينية بوقت قصير ، مسألة « هل سيظل العلم الاحمر خفاقاً ؟ » ذلك ان لهذه المسألة أهمية فائقة ، لأننا إذا لم نجب على هذا السؤال الأساسي بشأن بقاء القواعد الثورية الصينية والجيش الأحمر الصيني وتطورهـــا ، فلن نستطيع أن نتقدم خطوة واحدة . وفي عـــام ١٩٢٨ ، أجاب المؤتمر الوطني السادس للحزب الشيوعي الصيني على هذا السؤال مرة أخرى . وبنتيجة ذلك زودت الحركة الثورية الصينية بأساس نظري صحيح .

فلنحلل الآن هذه الخاصة .

التفاوت في تطور الصين السياسي والاقتصادي — تجاور اقتصاد رأسمالي هزيل واقتصاد نصف اقطاعي متفوق ، وتجاور مدن صناعية وتجارية حديثة قليلة ومناطق ريفية راكدة شاسعة الأبعاد ، وتجـــاور عدة ملايين من العمال الصناعيين من جهة واحدة ومئات الملايين من الفـلاحين والحرفيين اليدويين من جهة أخرى ، وتجاور أسياد عقاريين كبار يسيطرون على الحكومة المركزية الرجعية ، يعني ما يسمى الجيش المركزي بقيادة شيانغ كاي ـ شيك وقوات من أنواع شتى تحت قيادة سادة الحرب في المقاطعات ، وتجاور عدد قليل من السكك الحديدية وخطوط المـــلاحة والطرق المعبدة من جهة واحدة ، وعدد هائل من طرق العربات ودروب المشاة فقط من جهة أخرى ، وكثرة منهـــا يصعب حتى على هؤلاء المشاة سلوكها .

---

(١) عقد في ٢٠ أيار عام ١٩٢٨ في ماو بينغ من ولاية نينغ كانغ في تلـــك المنطقة من التخوم .

الصين بلد نصف مستعمر -- ان الخلاف بين البلدان الاستعمارية قد أدى إلى الخلاف بين الكتل السائدة المختلفة في الصين . إن بلداً نصف مستعمر تسيطر عليه دول عديدة يختلف عن مستعمرة تسيطر عليها دولة واحدة .

الصين بلد شاسع الأبعاد – « عندما يكون الشرق مظلماً بعد ، يكون الغرب نيراً ، وعندما يهبط الليـل في الجنوب ، يشرق النهار في الشمال » . وبالتالي فلا داعي للقلق بشأن ضيق المكان .

ولقد اجتازت الصين ثورة عظمى زودتنا ببذور الجيش الاحمر ، والحزب الشيوعي الصيني الذي يقود الجيش الاحمر ، والجماهير التي أسهمت في الثورة .

ولذا قلنا ان الخاصة الاولى للحرب الثورية الصينية هي ان الصين بلد شاسع الأبعاد نصف مستعمر ، فقد اجتاز ثورة ، وهو ذو تطور متفاوت سياسياً واقتصادياً . ولا تقرر هذه الخاصة بصورة أساسية سوقيتنا وتعبئتنا السياسيتين فحسب ، بل سوقيتنا وتعبئتنا العسكريتين أيضاً .

والخاصة الثانية للحرب الثورية الصينية هي قوة العدو العظيمة .

ما هي أوضاع الكيومنتانغ ، عدو الجيش الاحمر ؟ ان الكيومنتانغ حزب استولى على السلطة السياسية وجعلها في حالة استقرار نسبي وهو ينتفع بتأييد البلدان الرئيسية المعادية للثورة في العالم . ولقد أصلح جيشه بحيث أصبح هذا الجيش مختلفاً عن أي جيش آخر في التاريخ الصيني ومشابهاً على العموم لجيوش دول العـالم الحديثة ، وإن جيشه ليزود بالأسلحة والمعدات الأخرى بغزارة تفوق تسلح الجيش الاحمر حتى درجة بعيدة ، وهو أعظم قوة عددية من أي جيش في التاريخ الصيني ، بل حتى من أي جيش نظامي في العالم كله . وثمـة عالم من الفوارق بين الجيش الكيومنتانغي والجيش الاحمر . فقـد استولى الكيومنتانغ على سائر المراكز الحساسة وسائر المراكز الستراتيجية الرئيسية في ميادين السياسة والاقتصاد والمواصلات والثقافة في الصين ، وسلطته السياسية تشمل البلاد بأسرها .

وان الجيش الاحمر الصيني ليجابه مثل هذا العدو الجبار . هذه هي الخاصة الثانية للحرب الثورية الصينية . وإن هذه الخاصة لتجعل من المحتم أن تختلف الحرب التي يخوض الجيش الاحمر غمارهـــا ، بأساليب مختلفة ، عن الحروب العادية ، وعن الحرب الأهلية في الاتحاد السوفيتي وعن حملة الشمال .

والخاصة الثـــالثة للحرب الثورية الصينية هي ان الجيش الاحمر الصيني جيش ضعيف .

لقد ولد الجيش الاحمر الصيني بعد خذلان الثورة العظيمة الاولى ، ناشئاً على صورة وحدات من الانصار . ولا يعمل هذا الجيش في مرحلة من سيادة الرجعية في الصين فحسب ، بل في مرحلة من الاستقرار السياسي والاقتصادي النسبي في البلدان الرأسمالية الرجعية في العالم .

ان سلطتنا السياسية مبعثرة ومعزولة في مناطق جبلية أو بعيدة ، وهي محرومة من أي عون خارجي . وان القواعد الثورية متخلفة عن المناطق الكيومنتانغية في مضمار الاقتصاد والثقافة ، ولا تشمل سوى مناطق ريفية ومدن صغيرة . ولقد كانت هذه القواعد صغيرة جداً في البداية ، ولم تتسع إلا قليلاً منذ ذلك الحين . والأكثر من ذلك انها كثيراً ما تتغير بحيث لا يملك الجيش الاحمر أية قواعد وطيدة .

وإن الجيش الاحمر صغير العــــدد رديء التسلح يعاني مصاعب عظيمة في الحصول على الطعام ، والمسكن ، والملبس ، والمؤن الأخرى .

وهذه الخاصة على طرفي نقيض مع الخـــاصة السابقة وان سوقية الجيش الاحمر وتعبئته لتقومان على أساس هذا التنافر الحاد .

والخاصة الرابعة للحرب الثورية الصينية هي قيـــادة الحزب الشيوعي والثورة الزراعية .

وهذه الخاصة هي النتيجة الحتمية للخاصة الأولى ، وهي تؤدي إلى الصفتين

التاليتين . فمن جهـــة واحدة يمكن للحرب الثورية الصينية ، على الرغم من قيامها في مرحلة من تسلط الرجعية في الصين وفي سائر أرجاء العالم الرأسمالي ، ان تظفر لأن الحزب الشيوعي يقودها ولأن طبقة الفلاحين تدعمها . وإن قواعدنا الثورية لتتمتع رغماً عن صغرها بسلطة سياسية كبرى لأننـــا حصلنا على تأييد الفلاحين ، وهي تستطيـع أن تقف بثبات في وجه سلطة الكيومتنانغ السياسية التي تمتد على مساحات شاسعة . وإن هذه الأوضاع لتخلق ، من وجهة نظر عسكرية ، صعوبات عملاقة في وجـه تقدم القوات الكيومتنانغية ، لأن الفلاحين يقدمون العون الينا وإن الجيش الاحمر ليملك ، رغماً من صغره قدرة عظيمة على القتال ، لأن رجاله قد انبثقوا ، بقيادة الحزب الشيوعي ، من الثورة الزراعية ، وهم يقاتلون من أجل مصالحهم الخـــاصة ، ولأن الضباط والجنود متحدون سياسياً .

ومن جهة أخرى ، فإن وضعنا على طرفي نقيض مع وضع الكيومتنانغ . إن الكيومتنانغ ، المعارض للثورة الزراعية ، محروم من تأييد طبقة الفلاحين . وعلى الرغم من حجم جيشه الهائل ، فهو لا يستطيـع أن يستثير حماسة الجنود أو عدد كبير من الضباط الصغار الرتب ، الذين كانوا في الماضي منتجين صغاراً ، ويدفعهم إلى التضحية بحياتهم عن طيبة خاطر في سبيل أهدافه . إن الضباط والجنود فيه منقسمون سياسياً ، وهذا ما ينقص من قدرته على القتال .

٣ ـ هكذا تنشأ سوقيتنا وتعبئتنا

بلد نصف مستعمر شاسع الأبعاد ، متفاوت التطور سياسياً واقتصادياً ، وقد اجتاز ثورة كبرى ، وعدو جبار ، وجيش أحمر ضعيف وصغير : والثورة الزراعية . . . هذه هي الخصائص الأربـع الرئيسية للحرب الثورية في الصين .

وانها لتحدد الخط الموجه للحرب الثورية الصينية ومبادئها السوقية والتعبوية . وان الخاصة الاولى والرابعة تقرران إمكانية نمو الجيش الاحمر الصيني بسرعة وقهره العدو سريعاً، أو تقرران بكلام آخر طبيعة الحرب الطويلة الامد ، وإمكانية انتهاء الحرب إلى الفشل إذا ما ساءت الامور .

هذان هما مظهرا الحرب الثورية الصينية . وإنهما لمتواجدان ، يعني إن ثمة ظروفاً ملائمة كما ان ثمة ظروفاً صعبة في الوقت نفسه . وذلك هو القانون الأساسي للحرب الثورية فيالصين الذي تشتق منه قوانين عديدة أخرى، والذي أثبت تاريخ السنوات العشر من الحرب صحته . ومن له عينان لكن لا يرى هذه القوانين ذات الصفة الأساسية لا يستطيع أن يقود الحرب الثورية في الصين، لا يستطيع أن يقود الجيش الاحمر نحو الظفر .

وانه لمن الواضح تماماً انه من الضروري ، كما نحدد بصورة مضبوطة اتجاهنا السوقي ، ان نحل بصورة مضبوطة سائر القضايا المبدئية ، ومثلها مقاومة روح المغامرة في العمليات الهجومية، ومقاومة روح التحفظ عندما تكون في وضعية الدفاع ، ومقاومة مبدأ الفرار عند تبديل مواقع قواتنا، ومقاومة مبدأ حرب الانصار في الجيش الاحمر ، وفي الوقت نفسه تأييد طابع حرب الانصار فيها ، ومقاومة الحملات الطويلة الأمد وسوقية الحرب الخاطفة ، وتأييد سوقية الحرب الطويلة الأمد والحملات الخاطفة ، ومقاومة جبهات العمليات الثابتة والحرب الموضوعية ، وتأييد جبهات العمليات المائعة والحرب المتحركة ، ومقاومة العمليات العسكرية المستهدفة هزيمة العدو فقط وتأييد العمليات الحربية المستهدفة أفناءه ، ومقاومة مبدأ الضرب بالقبضتين وتأييد مبدأ الضرب بيد واحدة [١] ، ومقاومة تشكيل المؤخرات الواسعة وتأييد تشكيل المؤخرات الضيقة ، ومقاومة القيادة المركزية المطلقة وتأييد القيادة المركزية النسبية ،

---

(١) انظر بعد صفحات موضوع : « قضايا مركزة القوات » .

ومقاومة وجهة النظر العسكرية الخالصة وذهنية « الخارجين على القانون [1] » لكن تأييد النظرة القائلة ان الجيش الاحمر هو داعية الثورة الصينية ومنظم لها ، ومقاومة أعمال الشقاوة [2] وتأييد الانضباط السياسي الصارم ، ومقاومة نظام أسياد الحرب وتأييد أسلوب ديمقراطي في الحياة ضمن حدود انضباط عسكري حازم ، ومقاومة السياسة الشيعية المغلوطة بشأن الملاكات ، وتأييد سياسة صحيحة في هذا المضمار ، ومقاومة روح الانعزالية وتأييد كسب كل الحلفاء الممكنين ، وأخيراً مقاومة تجميد الجيش الاحمر في مسرح نشاطه القديم وتأييد انتقاله إلى مرحلة جديدة .

وحين نناقش القضايا السوقية نعمد إلى إيضاح هذه القضايا بكل جلاء على أساس الدروس المستقاة من تاريخ السنوات العشر من الحرب الدامية التي خاضتها الثورة الصينية .

---

(١) انظر هوامش الصفحة ١٤٧ .

(٢) أعمال السلب والنهب المجردة عن الانضباط والتوجيه السياسي الواضح والتنظيم .

انشاء قواعد الارتكاز

ماوتسي تونغ

ان القضية السوقية الثالثة لحرب الانصار المضادة لليابان هي إنشاء قواعد الارتكاز . وانه لمن الضروري والهام إثارة هذه القضية لأن الحرب هي حرب طويلة الأمد ولا هوادة فيها . وما دام من المجال استرجاع أراضينا المفقودة ما لم يشن هجوم سوقي مضاد على صعيد الأمة بأسرها ، فلا بد أن تمتد جبهة العدو قبل ذلك بعيداً في داخل الصين المركزية وتقسمها من الشمال الى الجنوب ، ولسوف يقع قسم من أراضينا ، وحتى القسم الأكبر ، بين أيدي العدو ويصبح مؤخرة له . وان من واجبنا أن ننشر حرب الانصار فوق كل هذه المنطقة الشاسعة التي يحتلها العدو ، محولين مؤخرة العدو إلى جبهة له وفارضين عليه القتال المتواصل في مختلف أرجاء المناطق المحتلة من قبله . وما لم نشن هجومنا السوقي المضاد ونسترد أراضينا المفقودة ، فمما لا يتسرب الشك اليه ان حرب الانصار في مؤخرة العدو يجب أن تستمر بكل حزم – على الرغم من اننا لا نستطيع بعد أن نقول كم من الزمن سيدوم ذلك . وهذا ما نعنيه بطبيعة الحرب الطويلة الأمد . وفي الوقت نفسه ، فمن المؤكد ان العدو سيضاعف يومياً من فعالياته ضد الانصار ، وذلك حماية لمصالحه في مناطقه المحتلة ، ومن المؤكد

ان سيباشر القضاء على الانصار دونما هوادة فيها ، أن نحافظ على حرب الانصار في مؤخرة العدو بدون قواعد ارتكازية .

فما هي إذن القواعد الارتكازية لحرب الانصار ؟ انها القواعد السوقية التي تعتمد حرب الانصار عليها من أجل تنفيذ مهماتها السوقية ، وفي الوقت نفسه من أجل تحقيق غرض المحافظة على الذات والتوسع وإفنـاء العدو أو طرده . وليس هناك ، بدون هذه القواعد الارتكازية ، ما يمكن الاعتماد عليه من أجل تنفيذ أي من مهماتنا السوقية أو تحقيق الغرض من الحرب . ويشكل القتـال دون مؤخرة إحدى خصائص حرب الانصـار خلف الخطوط المعادية ، لأنه منفصل عن مؤخرة البلاد العامة . لكنه لا يمكن الإبقاء على حرب الانصار وتطويرها طويلاً بدون قواعد ارتكازية ، هذه القواعد التي تشكل مؤخرة لها في واقع الأمر .

لقد عرف التاريخ حروباً فلاحية عديدة من نمط « المتمردين الهائمين » ، لكنها باءت جميعاً بالاخفاق . واليوم ، في عصر المواصلات المتطورة والتقنية المتقدمة ، تشكل محاولة كسب النصر على طريقة المتمردين الهائمين وهما خالصاً عديم الأساس أكثر مـــن أي وقت مضى . ومهما يكن من أمر ، فإن فكرة المتمردين الهائمين لا تزال موجودة بين الفلاحين المعدمين ، وحين تنعكس هذه الفكرة في أذهان قادة حرب الأنصار تصبح الرأي القائل انه لا ضرورة ولا أهمية للقواعد الارتكازية . وهكذا فإن نزع مثل هذه الفكرة من أذهان قادة حرب الأنصار تصبح شرط مسبق من أجل صياغة سياسة محددة لإنشـــاء قواعد الارتكاز . إن مسألة قيام القواعـــد الارتكازية أو عدم قيامهـــا ، مسألة تقديرهـــا أو عدم تقديرها ، وبكلام آخر

النزاع بين فكرة إقامة القواعد الارتكازية وفكرة سلوك مسلك المتمردين الهائمين في القتال ، تنشأ في كل حرب للانصار . وهي قد نشأت حتى درجة ما في حرب الانصار المضادة لليابان ، هذه الحرب التي لا تشكل استثناء للقاعدة العامة في حال من الأحوال . ولذا كان من الضرورة بمكان خواض غمار النضال الفكري ضد فكرة المتمردين الهائمين . وان التصفية التامة لفكرة المتمردين الهائمين والاتجاه إلى سياسة إقامة القواعد الارتكازية ، توطيد القواعد الارتكازية وتوسيعها ، وإنماط التطويق التي تقوم بها قوات العدو وقواتنا الخاصة .

١ ـ انماط القواعد الارتكازية

ان القواعد الارتكازية لحرب الأنصار المضادة لليابان هي من ثلاثة إنماط رئيسية :

القواعد الارتكازية في الجبال ، وفي السهول ، وفي مناطق الأنهار والبحيرات والمصبات .

ويعرف الجميع فضيلة إنشاء القواعد الارتكازية في المناطق الجبلية ، والقواعد الارتكازية السابقة ، والراهنة ، أوالمقبلة في جبال شانغبي[١] ووتي[٢]

---

(١) سلسلة جبلية على حدود الصين الشمالية الشرقية ، وقد أصبحت بعد حادث ١٨ أيلول ١٩٣١ منطقة قاعدية مضادة لليابان لقوات الانصار التي يقودها الحزب الشيوعي الصيني .

(٢) سلسلة جبلية على الحدود الفاصلة بين مقاطعات شانسي وهوبيه وشاهار القديمة . ولقد شرع جيش الطريق الثامن الذي يقوده الحزب الشيوعي الصيني في بناء قاعدة الارتكاز المضادة لليابان في شانسي ـ شاهار ـ هوبيه ، ومنطقة جبيل ووتي مركزها ، منذ تشرين الاول ١٩٣٧ .

وتيهانغ [٣] وثاي [٤] وين [٥] وماو [٦] هي جميعاً من هذا النوع . وان سائر هذه المناطق القاعدية هي أماكن تستطيع حرب الأنصار المضادة لليابان أن تصمد فيها زمنا طويلاً جداً ، وهي حصون هامة في حرب المقاومة . ان من واجبنا أن نطور حرب الأنصار وننشىء القواعد الارتكازية في سائر المناطق الجبلية الواقعة خلف خطوط العدو .

ومن المؤكد ان السهول هي دون الجبال في هذا المضمار ، لكنه لا يجوز لنا أن ننفي إمكانية تطوير حرب الأنصار أو إنشاء نوع من قواعد الارتكاز في السهول . أما ان حرب الأنصار يمكن أن تتطور في السهول ، فذلك مـا تبرهن عليه حرب الأنصار الواسعة الجارية في سهول هوبيي وفي شمال شانتونغ وشماليها الغربي . أما إمكانية إقامة قواعد ارتكازية في السهول قابلة للصمود

(٣) سلسلة جبلية على الحدود بين مقاطعات شانسي وهوبيه وهونان. وفي تشرين الثاني ١٩٣٧ باشر جيش الطريق الثامن في تشييد القاعدة الارتكازية المضادة لليابان في جنوبي شرقي شانسي جاعلا من منطقة تيهانغ مركزاً لها .

(٤) ان جبل ثاى ، الواقع في شانتونغ المركزية ، هو احدى القمم الرئيسية لسلسلة تايي الجبلية . وفي شتاء ١٩٣٧ ، جعلت قوى الانصار التي يقودها الحزب الشيوعي الصيني في بناء قاعدة شانتونغ المركزية جاعلة من منطقة تايي الجبلية مركزاً لها .

(٥) سلسلة جبلية على حدود مقاطعتي هوبيه وجيهول . وفي صيف ١٩٣٨ ، باشر جيش الطريق الثامن في بناء قاعدة هوبيه الشرقية المضادة لليابان جاعلا من منطقة جبل ين مركزاً لها .

(٦) يقع هـذا الجبـل في جنوبي كيـانغشو . وفي حزيران ١٩٣٨ ، باشر الجيش الرابـع الجديد الذي يقوده الحزب الشيوعي الصيني في اقامة قاعدة كيانغسو المضادة لليابان ، وكانت منطقة جبل ماو مركزاً لها .

طويلاً ، فذلك ما لم يتأكد بعد ، لكن إقامة القواعد المؤقتة قد تبين أمراً ممكناً ، كما إن إنشاء القواعد الخاصة بوحدات صغيرة أو من أجل الاستخدام الموسمي يجب أن يكون أمراً ممكناً . فلما كان العدو ، من جهة واحدة ، لا يملك تحت تصرفه قوات كافية ، وهو ينفذ سياسة همجية لم يسبق لها مثيل في التاريخ الإنساني ، بينما تملك الصين من جهة ثانية أرضاً شاسعة الأبعاد وعدداً هائلاً من السكان الذين يحاربون اليابان ، فانه تتوفر الظروف الموضوعية من أجل تطوير حرب الأنصار ومن أجل إفشاء قواعد مؤقتة في السهول أيضاً ، وفيما عدا ذلك ، فإذا توفرت القيادة الصالحة ، فإن إقامة قواعد متحركة لكنها طويلة الأجل من أجل وحدات الأنصار الصغيرة يجب أن تكون ممكنة تماماً [1]. وعلى العموم ، فمما لا ريب فيه ان العدو سيعمد ، بعدما يختتم هجومه السوقي ويدخل مرحلة تثبيت أقدامه في المناطق المحتلة ، إلى شن هجوم لا هوادة فيه على سائر المناطق القاعدية لحرب الأنصار ، ومن الطبيعي إن المناطق القاعدية في السهول ستتحول الصدمة الرئيسية . وحين يقع ذلك ، فإن وحدات الأنصار الكبيرة العاملة في السهول لن تتمكن من الاستمرار في القتال طويلاً في الأماكن نفسها ، ويجب عليها بالتالي أن تنتقل بصورة تدريجية إلى المناطق الجبلية بطريقة تتناسب مع الظروف . والشاهد على ذلك إنتقال الأنصار من سهول هويبي إلى جبال ووتي وتيهانغ ، أو من سهول شانتونغ إلى جبال تاي وإلى شبه جزيرة كياوتونغ . لكنه ليس من المتعذر على وحدات صغيرة متعددة ، في ظروف الحرب الوطنية ، أن تنتشر في نواح مختلفة فوق السهول العريضة وأن تعمد

(١) لقد اثبتت التجربة في الحرب المضادة لليابان انه يمكن انشاء قواعد ارتكازية في السهول تصمد زمناً طويلا ، بل تصمد بصورة دائمة . وان مرد ذلك سعة الاراضي الصينية ، وكثرة السكان ، وصحة سياسة الحزب الشيوعي ، وتعبئة الشعب الواسعة ، والنقص في قوات العدو ، الخ . ولقد قرر الرفيق ماوتسي تونغ بكل وضوح هذه النقطة في الارشادات المخصوصة التي كتبها فيما بعد .

إلى أسلوب سيال في القتال ، أعني أن تنقل قواعدها الإرتكازية من مكان إلى آخر . انه لمن الممكن بكل وضوح القيام بحرب أنصار موسمية بالاستفادة من «الستار الأخضر [٢]» في الصيف ومن الأنهار المتجمدة في الشتاء . ولما كان العدو لا يملك في الوقت الحاضر أية طاقة يخصنا بها ولن تتوفر له طاقة كبيرة يخصنا بها في المستقبل . فإنه من الضرورة بمكان أن نقرر ، في الوقت الراهن ، سياسة تقوم على توسيع حرب الأنصار في السهول وإنشاء القواعد الإرتكازية المؤقتة ، أما في المستقبل ، فسوف تكون سياستنا قائمة على تهيئة وحدات صغيرة من أجل الإستمرار في حرب الأنصار ، أو على الأقل في حرب موسمية الطبيعة ، وإنشاء قواعد ارتكازية غير ثابتة .

وبالنظر الى الظروف الموضوعية ، فإن إمكانية تطوير حرب الأنصار وإنشاء القواعد الارتكازية في مناطق الأنهار والبحيرات والمصبات هي أعظم منها في السهول ، لكن المناطق الجبلية أفضل منها . إن « القراصنة » و « لصوص الأنهار » قد خاضوا في تاريخنا معارك فاجعة لا حصر لها . وفي أيام الجيش الاحمر استمرت حرب الأنصار حول بحيرة هونغ سنوات عديدة ، ويثبت هذا كله إمكانية تطوير حرب الأنصار وإنشاء القواعد الارتكازية في مناطق الأنهار والبحيرات والمصبات . ومهما يكن من أمر ، فإن الأحزاب السياسية المناهضة لليابان وجماهير الشعب المناهضة لليابان لم تعر هذا الأمر حتى الآن سوى أهمية ضئيلة ، وعلى الرغم من أن الشروط الذاتية لم تتوفر بعد ، فمن المؤكد إن الواجب يدعونا إلى الاهتمام الجدي بهذه القضية والاستعداد للعمل ، وإن أحد مظاهر تطور حرب للانصار قومية النطاق هو تنظيم هذه الحرب كما ينبغي في منطقة بحيرة هونغتسه شمالي نهر يانغتسه ، وفي منطقة بحيرة تاي جنوبي نهر يانغتسه ، وفي سائر مناطق الأنهار والبحيرات والمصبات في

---

(١) المقصود هي الحقول الخضراء حيث يستطيع الانصار الاختفاء بكل سهولة .

المناطق المحتلة من قبل العدو على طول نهر يانغتسه والساحل ، ومن الواجب خلق قواعد ارتكازية دائمة في قلبها بالضبط أو في جوارها . أما الأعراض عن هذا المظهر فيعني إننا نسهل على العدو أمر المواصلات النهرية ، ويشكل نقصاً في التخطيط السوقي للحرب المضــادة لليابان ، وهو نقص تنبغي معالجته في الوقت المناسب .

٢ ـ مناطق الانصار والقواعد الارتكازية

إن ثمة فارقاً بين مناطق الأنصــار وقواعد الأنصار الارتكازية في حرب للأنصار دائرة الرحى خلف خطوط العدو . إن المناطق التي يطوقها العدو من دون أن يحتل أقسامها المتوسطة أو التي حررت أقسامها المركزية من احتلاله، مثل بعض المناطق في منطقة ووتبي (أعني في منطقة تخوم شانسي ـ شاهار ـ هوبي) وفي مناطق تيهانغ وتاي الجبلية ، هي قواعد ارتكازية جاهزة حيث تستطيع وحدات الانصار أن تطور على خير وجه حرب الأنصار. لكن الوضع يختلف في مناطق أخرى في هذه المناطق القاعدية ، كما هي الحال في الأقسام الشرقية والشمالية من منطقة ووبي الجبلية ـ بعض المناطق في هوبي الغربية وفي شاهار الجنوبية وأماكن عديدة شرقي باوتينغ وغربي تشانغشوو ـ التي لم يستطع الأنصار احتلالها كلياً في بدء حرب الأنصار ، بل كانوا يستطيعون أن يرهقوها ويهاجمونها باستمرار ، والتي يستردها الأنصار حين يأتونها ، لكنهم لا يغادرونها حتى تقع من جديد تحت سلطة النظـام الكركوزي ، فهي ليست إذن قواعد أنصار ارتكازية إلا بعد اجتيازها العمليات الضرورية في حرب الأنصار ، يعني بعد إفناء عدد كبير من قوات العدو أو إلحاق الهزيمة بهـا ، وبعد تدمير النظام الكركوزي ، وإنهاض فعالية الشعب ، وتكوين المنظمات

الشعبية المناهضة لليـــابان ، وتطوير قوات الشعب المسلحة ، وإنشاء سلطة سياسية مضادة لليابان . وإن المقصود من توسيع القواعد الارتكازية ضم مثل هذه المناطق إلى القواعد الأصلية التي سبق إنشاؤها .

وفي حرب الأنصار في بعض المواضع ، في شرقي هوبي على سبيل المثال ، يشكل كامل حقل العمليات الحربية ، منذ البدء ، منطقة نصيرة . ففي شرقي هوبي ، حيث كان يقوم نظام كركوزي منذ وقت طويل ، وحيث نشأت قوات مسلحة شعبية من الانتفاضات المحلية ، وحيث أرسلت قوات نصيرة من جبال ويتي ، كان كامل حقل العمليات الحربية، منذ البدء، منطقة نصيرة. وما كان في مقـــدور الانصار عند بدء عملياتهم إلا أن ينتقوا في هذه المنطقة مواضع صالحة نسبياً لتكون مؤخرة مؤقتة لهم أو قواعد ارتكازية مؤقتة . ولا يمكن لهذه المناطق النصيرة أن تتحول إلى قواعد ارتكازية مستقرة نسبياً إلا بعد إفناء قوات العدو وإنهاض الجماهير الشعبية .

وهكذا فإن تحويل منطقة نصيرة إلى قاعـــدة ارتكازية هو عملية خلق شاقة ، لأن مسألة ما إذا كانت منطقة الانصار قد تحولت إلى قاعدة ارتكازية على مدى إفناء قوات العدو وإنهاض الجماهير الشعبية .

ولسوف تظل مناطق عديدة مناطق للأنصار زمناً طويلاً . ولن يستطيع العدو في هذه المناطق على الرغم من كل الجهود التي يبذلها من أجل الحفاظ على سلطانه ، أن يقيم نظاماً كركوزياً مستقراً ، كما إننا لن ننجح ، على الرغم من تطويرنا حرب الانصار بمختلف الوسـائل الممكنة ، أن ننشيء سلطة سياسية مضادة لليابان ، وشاهدنا على ذلك المناطق الممتدة على طول الخطوط الحديدية الخاضعة لإشراف العـــدو ، وضواحي المدن الكبرى ، وبعض المناطق في السهـول .

ولما كانت المدن الكبرى ومحطات السكك الحديدية وبعض المناطق في السهول التي يقيم العدو فيها حاميات كبيرة العدد خاضعة لنظام كركوزي مستقر نسبياً ، وهي بالتالي في وضع مختلف ، فإنه لا يمكن توسيع حرب الانصار سوى للمناطق المجاورة لها ، لكن من دون التسرب اليها .

ويمكن للأوضاع الآنفة الذكر أن تنقلب إلى نقيضها في أعقاب بعض الأخطاء في قيادتنا ، أو بصورة تالية لضغط معاد شديد ، أي إن قاعدة ارتكازية للأنصار يمكن أن تتحول إلى منطقة نصيرة ، كما ان منطقة نصيرة يمكن أن تصبح منطقة خاضعة لاحتلال العدو المستقر نسبياً . وهذا ما يمكن أن يحدث أحياناً ، وهو يستحق كل اليقظة من جانب قادة حرب الانصار .

وان مختلف المناطق التي يحتلها العدو تنتظم في إحدى المقولات الثلاث التالية ، وذلك بنتيجة حرب الانصار والصراع الجاري بين العدو وبيننا : أولاً ، القواعد الارتكازية المضادة لليابان الخاضعة لإشراف وحداتنا النصيرة وأجهزة سلطتنا السياسية ، ثانياً ، المناطق الواقعة في قبضة الاستعمار الياباني والنظام الكركوزي ، ثالثاً ، المناطق المتوسطة التي يتنازع الطرفان عليها ، أي المناطق النصيرة . وان واجب قادة الانصار هو أن يبذلوا قصاراهم كي يوسعوا المناطق التي من النوعين الاول والثالث ويضيقوا المناطق التي من النوع الثاني . هذه هي المهمة السوقية لحرب الانصار .

٣ ـ الشروط اللازمة من أجل إنشاء القواعد الارتكازية

إن الشرط الاساسي من أجل إنشاء القواعد الارتكازية هو وجود قوة مسلحة مضادة لليابان تستخدم من أجل قهر العدو وإنهاض الشعب في سبيل

العمل . وهكذا فإن المشكلة الأولى في إنشاء القواعد الارتكازية هي مشكلة القوه المسلحة . وإن من واجب القادة في حرب الانصار أن يبذلوا قصاراهم من أجل تكوين وحدة أو عدة وحدات نصيرة ، وتطوير هذه الوحدات بصورة تدريجية في سياق الصراع إلى فصائل للأنصار ، وربما إلى وحدات نظامية أو فصائل نظامية . ان إنشاء القوة المسلحة هو الحلقة الأهم في إقامة القواعد الارتكازية ، فلا يمكن أن نفعل شيئاً بدون القوة المسلحة ، أو إذا لم تكن هذه القوة المسلحة على قدر كاف من القوة . ذلك هو الشرط الاول .

وإن الشرط الثاني اللاصق بإقامة القواعد الارتكازية هو ضرورة استخدام القوى المسلحة بانسجام مع الجماهير الشعبية من أجل قهر العدو . ان سائر الأماكن الخاضعة لإشراف العدو هي قواعد ارتكازية معادية وليست قواعد ارتكازية للأنصار ، ومن البديهي إن القواعد الاولى لا يمكن أن تتحول إلى القواعد الأخيرة إلا بعد هزيمة العدو . وحتى في المناطق الخاضعة لإشراف الانصار تصبح هذه المناطق التي نسيطر عليها مناطق يسيطر العدو عليها إذا لم نصد هجمات هذا العدو ونهزمه ، وبالتالي تصبح إقامة القواعد الارتكازية أمراً محالاً .

وان الشرط الثالث اللاصق بإقامة القواعد الإرتكازية هو ضرورة استخدام كل القوى ، بما في ذلك القوات المسلحة ، من أجل إنهاض الجماهير للنضال ضد اليابان . وإن من واجبنا أن نسلح الشعب في سياق مثل هذه الصراعات ، يعني أن ننظم فصائل للدفاع الذاتي ووحدات الانصار . إن من واجبنا في سياق هذه الصراعات أن نشكل منظمات جماهيرية : فالعمال والفلاحون والشباب والنساء والفتيان والتجار وأعضاء المهن الحرة يجب أن ينظموا جميعاً ، وفقاً لدرجة وعيهم السياسي وحماستهم القتالية ، في المنظمات الجماهيرية المختلفة الضرورية من أجل النضال ضد العدوان الياباني ، هذه

المنظمات التي يجب أن تنتشر وتتسع بصورة تدريجية . فإذا لم تكن جماهير الشعب منظمة لن تتمكن من إظهار قوتها في قتال اليابانيين . وإن من واجبنا في سياق هذه الصراعات أن نعمد الى تصفية قوة المتعاونين المكشوفين أو المتسترين ، وهي مهمة لا يمكننا إنجازها إلا بالاعتماد على قوة الشعب . وانه لمن الهام بصورة مخصوصة أن ندفع الجماهير الشعبية ، بواسطة هذه الصراعات ، إلى إنشاء الأجهزة المحلية للسلطة السياسية المضادة لليابان أو توطيدها . وانه ليجب علينا أن نعمد ، على أساس تأييد الجماهير الشعبية الغفيرة ، إلى إصلاح الأجهزة الصينية الأصلية الخاصة بالسلطة السياسية وتوطيدها وذلك حيث لم يدمرها العدو ، أما حيث دمر العدو هذه الأجهزة الصينية الاصلية الخاصة بالسلطة السياسية ، فإن الواجب يدعونا لأن نعمد ، على أساس مجهود الجماهير الغفيرة ، إلى إعادة بنائها .

ان مثل هذه الاجهزة الخاصة بالسلطة السياسية يجب أن تنفذ سياسة الجبهة الوطنية الموحدة المضادة لليابان كما يجب أن توحد سائر القوى الشعبية من أجل النضال ضد عدونا الوحيد ، إلا وهو الاستعمار الياباني مع أذنابه – المتعاونين والرجعيين .

إن القاعدة الارتكازية لحرب الانصار لا يمكن أن تشيد بصورة فعلية إلا بعدما تتوفر الشروط الاساسية الثلاثة الآنفة الذكر بصورة تدريجية ، أعني إنشاء القوى المسلحة المضادة لليابان ، وقهر العدو ، وتعبئة الجماهير الشعبية .

وفيما عدا ذلك ، فلا بد من الإشارة الى الشروط الجغرافية والاقتصادية . ولقد تطرقت في قسم سابق عن إنماط القواعد الارتكازية الى مسألة الشروط الجغرافية وأشرت الى الحالات المختلفة الثلاث ، ولسوف اقتصر هنا على ذكر الشرط الرئيسي ، إلا وهو ضرورة امتداد المنطقة . ومن الطبيعي ان المناطق الجبلية توفر ، في الاماكن المطوقة من قبل العدو من ثلاثة أو أربعة جوانب ،

أفضل الشروط من أجل إقامة القواعد الارتكازية حيث يمكننا أن نصمد لمدة طويلة ، لكن الشيء الرئيسي هو ضرورة توفر المجال الكافي من أجل قيام الانصار بمناوراتهم أقصد توفر الارض الفسيحة .

وانه ليمكن لحرب الانصار مع توفر هذا الشرط ـ الارض الفسيحة ـ ان تتطور وتصمد طويلا حتى في السهول ، فكم بالأحرى في مناطق الانهار والبحيرات والمصبات .

وان هذا الشرط ليتوفر على العموم لحرب الانصار في الصين بنتيجة امتداد الاراضي الصينية والنقص الذي يعـانيه العدو في قواته المسلحة . وبقدر ما يتعلق الامر بإمكانية حرب الانصار ، فإن ذلك يشكل شرطاً هـاماً ، بل شرطاً أولياً ، أما في بلدان صغيرة مثل بلجيكا ، فإن هذه الإمكانية ضئيلة جداً ، بل معدومة بسبب من انعدام ذلك الشرط [1] . ومهما يكن من أمر ، فليس هذا الشرط في الصين هدفاً يجب القتال من أجله أو صعوبة ينبغي حلها ، بل هو شيء وفرته الطبيعة لنا ، وهو ينتظر منا أن نستغله .

---

(١) منذ انتهت الحرب العالمية الثانية والحركة الثورية الوطنية والديمقراطية تندفع قدماً في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية . ولقد خاض الشعب في بلدان عديدة ، بقيادة قواه الثورية والتقدمية الخاصة ، صراعات مسلحة متصلة في سبيل قلب الحكم الاسود للامبريالية والرجعية . وان هذا ليثبت في ظل الظروف التاريخية الجديدة ـ حين يخطو المعسكر الاشتراكي وقوى الشعب الثورية في البلدان المستعمرة وقوى الشعب الطامحة الى الديمقراطية والتقدم في جميع البلدان خطوات عملاقة الى الامام ، وحين يزداد ضعف النظام الرأسمالي العالمي أكثر فأكثر وحين يتجه الحكم الاستعماري للامبريالية نحو الانحلال والتفسخ ـ ان الشروط التي يخوض الشعب في ظلها حرب الانصار في الوقت الحاضر في بلدان مختلفة ليست بالضرورة مماثلة لتلك الشروط التي كانت محتومة في أيام حرب الانصار التي خاضها الشعب الصيني ضد اليابان . وبكلام آخر ، فانه يمكن خوض حرب الانصار بصورة ظافرة في بلد ضيق الابعاد كما هي الحال على سبيل المثال في كوبا والجزائر ولاوس وفيتنام الجنوبية .

واذا ما أخذنا الشرط الاقتصادي باعتبار مظهره الطبيعي ، فإنه يقدم لنا لوحة مماثلة للشرط الجغرافي . ذلك اننا لا نناقش حالياً انشاء القواعد الارتكازية في الصحراء ، حيث لا وجود لأي عدو ، بل إقامة القواعد الارتكازية خلف خطوط العدو ، فلا بد ان ثمة سكاناً صينيين يقيمون منذ زمن طويل في تلك المناطق التي يتوجه العدو اليها ، كما لا بد من توفر قاعدة اقتصادية من أجل العيش ، وبالتالي فإن مسألة اختيار الشروط الاقتصادية عند إنشاء القواعد الارتكازية مسألة لا سبيل إلى قيامها مطلقاً . إن واجبنا هو أن نبذل قصارانا لتطوير حرب الأنصار وإقامة قواعد ارتكازية دائمة أو مؤقتة في سائر الأماكن حيث يوجد السكان الصينيون والعدو على حد سواء ، وذلك دون أي اعتبار للشروط الاقتصادية . بيد ان الشرط الاقتصادي يقدم لنا لوحة مختلفة كل الاختلاف بالمعنى السياسي : ان ثمة مشكلة ينبغي حلها إذن إلا وهي مشكلة السياسة الاقتصادية التي تتحلى بأهمية حيوية من أجل إنشاء القواعد الارتكازية . إن السياسة الاقتصادية الخاصة بقواعد الأنصار الارتكازية يجب أن تؤسس على مبادىء الجبهة الوطنية الموحدة المضادة لليابان ، أي التوزيع المعقول للعبء المالي وحماية التجارة، ولا يجوز لأي من السلطة السياسية المحلية أو الوحدات النصيرة ان تخرق هذه المبادىء، وإلا تعرض إنشاء القواعد الارتكازية والجهد المبذول من أجل الاستمرار في حرب الأنصار لتأثيرات سلبية . وإن التوزيع العادل للعبء المالي يعني تحقيق المبدأ القائل ان « أولئك الذين يملكون المال يجب أن يسهموا بالمال » ، ومهما يكن من أمر ، فإن على الفلاحين أيضاً أن يوفروا ، ضمن بعض الحدود ، المواد الغذائية لوحدات الأنصار . ولسوف تتحقق حظراً شديداً مصادرة أية مخازن كانت ، باستثناء تلك المخازن التي يملكها أولئك الذين ثبت تعاونهم مع العدو . وهذه قضية شاقة ، لكنها في الوقت نفسه سياسة مقررة ينبغي تنفيذها .

٤ ـ توطيد القواعد الارتكازية وتوسيعها

إذا أردنا أن نحصر العدو الذي يجتاح الصين ضمن مواقع قليلة العدد هي المدن الكبرى وخطوط المواصلات الرئيسية ، فإنه يجب بصورة مطلقة على الأنصار في القواعد الارتكازية المختلفة أن يعملوا على توسيع الحرب إلى سائر المناطق المحيطة بهم . مطبقين على سائر مواقع العدو ، مهددين وجوده وضاربين معنوياته مع توسيع القواعد الارتكازية في الوقت نفسه . ولا بد في هذا المجال من معارضة روح المحافظة في حرب الأنصار . فلا يمكن لروح المحافظة ، الناشئة سواء عن الرغبة في الحياة السهلة أم عن استعظام قوة العدو ، إلا أن تسبب الخسائر لحرب المقاومة وأن تسيء في الوقت نفسه إلى حرب الأنصار وإلى قواعدها الارتكازية نفسها . وفيما عدا ذلك ، فإنه يجب علينا ألا نتغاضى عن قضية توطيد القواعد الارتكازية والمهمة الرئيسية فيها هي إنهاض الشعب وتنظيمه ، وفي الوقت نفسه تدريب وحدات الأنصار والقوات المسلحة المحلية. إن مثل هذا التوطيد ضروري من أجل الاستمرار في الحرب ومن أجل توسيعها في الوقت نفسه ، لأن أي توسيع فعال يصبح مستحيلاً بدون التوطيد المسبق . وإذا ما عنينا بالتوسيع وحده ونسينا التوطيد في حرب الأنصار ، فإننا لن نستطيع أن نصمد في وجه الهجمات المعادية ، فتكون نتيجة ذلك فقدان الارض التي كسبناها في سياق التوسع ، وفي الوقت نفسه تعريض نفس وجود القواعد الارتكازية للخطر .

ان المبدأ الصحيح هو التوسع بواسطة التوطيد ـ وهي طريقة جيدة من أجل بلوغ مركز يمكننا فيه أن نكون في وضع الهجوم أو الدفاع حسب اختيارنا . وما دامت الحرب حرباً طويلة الأمد ، فإن مسألة توطيد القواعد

الارتكازية وتوسيعها تظل قائمة باستمرار بالنسبة إلى كل وحدة من الأنصار .
وإن الحل الحسي لهـــذه المشكلة ليتوقف طبعاً على الظروف . وهكذا يمكن الإصرار في مرحلة واحدة على التوسع ، يعني توسيع مناطق الأنصار وتوسيع وحدات الأنصـــار ، كما يمكن في مرحلة أخرى الإصرار على التوطيد ، يعني تنظيم الشعب وتدريب الجند . ولما كانت مهمتنا التوسع والتوطيد مختلفتين في طبيعتهما ، فإن الترتيبات العسكرية وتنفيذ مهماتنا ستختلف وفقاً لذلك ، وان نقل مركز الثقل من المهمة الواحدة الى المهمة الأخرى وفقاً للزمان والظروف هى الطريقة الوحيدة من أجل حل تلك المشكلة بصورة مناسبة .

الأهمية العالميـــة لنظرية الرفيق ماوتسي تونغ حول الحرب الشعبيـــة

لـين بيـــاو

الثورة الصينية هي استمرار لثورة تشرين الأول العظيمة . فطريق ثورة تشرين الأول هو الطريق المشترك لثورات كل الشعوب . أما الأمور المشتركة بين ثورة تشرين الأول والثورة الصينية فهي :

١ — قادت الطبقة العاملة كلتا الثورتين ، وكان حزب ماركسي — لينيني نواة تلك الطبقة .

٢ — اعتمدت الثورتان على تحالف العمال والفلاحين .

٣ — في كلتا الثورتين تم الاستيلاء على سلطة الدولة بالقوة وتمت إقامـــة ديكتاتورية الطبقة العاملة .

٤ — في كلتا الثورتين تم بناء النظام الاشتراكي بعد انتصار الثورة .

٥ — كل من الثورتين جزء من ثورة الطبقة العاملة العالمية .

للثورة الصينية ، بالطبع ، طابعها الخاص . فثورة تشرين الأول قامت في روسيا القيصرية ، لكن الثورة الصينية قامت في بـلد نصف مستعمر ونصف إقطاعي. كانت ثورة تشرين الأول ثورة بروليتارية اشتراكية بينما تطورت الثورة الصينية إلى ثورة اشتراكية بعد تحقيق النصر التام لثورة الديمقراطية الجديدة . بدأت ثورة تشرين الأول بثورات مسلحة في المدن وامتدت إلى الريف ، بينما تم انتصار الثورة الصينية عندما حاصر سكان الريف المدن واحتلوها .

وتكمن عظمة الرفيق ماوتسي تونغ في أنه نجح في تطبيق الحقيقة الكونية الماركسية — اللينينية على واقع الثورة الصينية، وانه طوّر وأغنى الماركسية — اللينينية بالأفكار والخبرات التي أفادها من النضال الثوري الطويل للشعب الصيني.

لقد ثبت من خلال الممارسة الطويلة للثورة الصينية أن نظرية الرفيق ماوتسي تونغ في الحرب الشعبية تتوافق والقانون الموضوعي لتلك الحرب كما ثبت انها لا تقهر . لم تكن النظرية صحيحة بالنسبة للصين فقط ، بل كانت مساهمة عظيمة للنضال الثوري للشعوب المضطهدة في كل أنحاء العالم .

ولقد استمرت الحرب الشعبية التي قادها الحزب الشيوعي ، والتي تضمنت حرب مقاومة وحروباً أهلية ثورية ، اثنين وعشرين عامـاً . وبذلك تشكل أطول وأصعب الحروب التي قادتها الطبقة الكادحة في التاريخ الحديث ، وهي أيضاً أغنى تلك الحروب تجربة .

في التحليل النهائي ، تنص النظرية الماركسية — اللينينية حول ثورة الطبقة الكادحة على استيلاء هذه الطبقة على سلطة الدولة بالعنف الثوري ، أي نظرية

مجابهة الحرب ضد الشعب بالحرب الشعبية . وكما قـــال ماركس : « القوة هي القابلة القانونية لكل مجتمع قديم يحمل في أحشائه مجتمعاً جديداً » .

بنـــاء على الدروس المستقاة من الحرب الشعبية في الصين وضع الرفيق ماوتسي تونـغ مقولته الشهيرة بأبسط الكلمات : « من فوهة البندقية تنبـع السلطة السياسية » .

ولقد أشار بوضوح إلى أن : « الاستيلاء على السلطة بقوة السلاح ، ووضع حد للنزاع بواسطة الحرب ، هي المهمـــة الأساسية للثورة وهي أعلى أشكال الثورة . هذا المبدأ الثوري الماركسي – اللينيني ينطبق عالمياً ، على الصين وعلى كل البلدان » .

إن الحرب إنما تولد من الاستعمار ومن نظام استغلال الانسان للانسان . قال لينين : « المستغِلون والطبقات الحاكمة والمضطهِدون هم دائماً وفي كل مكان الذين يبدأون الحرب» . فما دام الاستعمار واستغلال الانسان للانسان موجودين فسوف يعتمد الاستعماريون والرجعيون على القوة المسلحـــة لاستمرار حكمهم وفرض الحرب على الأمم والشعوب المضطهدة . هذا قانون موضوعي مستقـل عن إرادة الانسان .

وفي العالم اليوم ، يقوم الاستعماريون بقيادة الولايات المتحدة وأتباعها دون استثناء ، بتقوية أجهزة دولهم وخاصـــة قواتهم المسلحة . ويقوم الاستعمار الأميركي بعدوان مسلح وإرهاب في كل مكان .

ماذا على الأمم والشعوب المضطهدة أن تفعـل إزاء الحروب العدوانية التي تشنها عليها القوى الاستعمارية وأتباعها ؟ هل يخضع أفرادها ويبقون عبيداً إلى الأبد ؟ أو هل يقاومون ويقاتلون من أجل حريتهم ؟

أجاب الرفيق ماوتسي تونغ على هذا السؤال بشكل واضح ، قال انه بعد البحث الطويل والدراسة العميقة اكتشف الشعب الصيني ان الاستعماريين وكلابهم « يحملون السيوف في أيديهم بقصد القتل . وقد فهم الشعب هذا الأمر وتصرف مثلهم » . وهذا ما ندعوه « عاملهم بالمثل » .

في التحليل النهائي ، إن من يجرؤ على النضال ضد العدوان الاستعماري المسلح ومن يجرؤ على شن حرب شعبية ضد الاستعمار والاضطهاد ، هو في الواقع من يجرؤ على إشعال الثورة . هذا هو المحك الأساسي الذي يفرق الثوري الأصيل عن الماركسيين — اللينينيين المزيفين .

ونظراً إلى أن بعض الناس لديهم مركب خوف من الاستعماريين والرجعيين، وضع الرفيق ماو مقولته الشهيرة : « الاستعماريون والرجعيون نمور من ورق». وقال : « الرجعيون كلهم نمور من ورق . ومع انهم في الظاهر مخيفون ، إلا أنهم في الواقع ليسوا أقوياء إلى هذا الحد . من وجهة النظر البعيدة المدى ، الشعب ، وليس الرجعيون ، هو القوي حقاً » .

إن تاريخ الحرب الشعبية في الصين وفي بلدان أخرى يعطينا دليلاً قاطعاً على أن نمو قوات الشعب الثورية من قوات ضعيفة وصغيرة إلى قوات قوية وكبيرة هو قانون عالمي لتطور النضال الطبقي ، وقانون عالمي لتطور حرب التحرير الشعبية . إن حرب التحرير الشعبية تواجه حتماً صعوبات عديدة ، تتخللها نكسات وانتصارات أثناء نموها ولكن لا يمكن لأي قوة أن توقف سيرها الحتمي نحو النصر .

يقول الرفيق ماو ان علينا أن نحتقر العدو استراتيجياً ونحسب له ألف حساب تكتيكياً .

احتقار العدو استراتيجياً هو ضرورة أولية للثائر . بدون الشجاعة على

احتقار العدو وبدون الجرأة على الانتصار يصبح من المستحيل إشعال ثورة وشن حرب شعبية ، ناهيك بالانتصار .

على أنه من المهم جداً للثوريين أن يحسبوا كل حساب للعدو تكتيكياً . ومن الصعب أيضاً الانتصار في الحرب الشعبية إذا لم نحسب حساب العدو ، ولم ندرس الأحوال المادية ، ولم نعتنِ كثيراً بفن النضال ، ولم نتبنَ الاشكال الملائمة للنضال وممارسة الثورة في كل بلد بالشكل الذي يلائم المشكلة الحقيقية التي تواجهها الثورة في ذلك البلد .

وتعلمنا المادية التاريخية والدياليكتية ان الأمر المهم أساساً ليس منا نراه باقياً الآن مع انه بدأ يموت ، ولكن المهم هو ما بدأ ينمو ويتكون رغم انه قد لا يبدو قادراً على الصمود ، لأن الأمر الذي في طور النمو والتكوين هو الوحيد الذي لا يقهر .

لماذا تقدر القوى المولودة — حديثاً أن تنتصر دائماً على القوى العفنة التي تبدو قوية جداً ؟ السبب هو أن الحقيقة بجانب القوى الجديدة وان الجماهير إلى جانبها أيضاً ، بينما الطبقات الرجعية دائماً منفصلة عن الجماهير وهي تقف دائماً ضد الجماهير .

لقد أكد ذلك انتصار الثورة الصينية ، وتاريخ كل الثورات ، وكل تاريخ الصراع الطبقي ، وتاريخ البشرية .

والاستعماريون يخافون خوفاً شديداً من مقولة الرفيق ماو بأن «الاستعماريين وكل الرجعيين نمور من ورق » بينما يتخذ التحريفيون موقفاً عدائياً من هذه المقولة . إنهم يعارضون ويهاجمون هذه المقولة في حين يقتفي الجاهلون اثرهم

لأنهم يهزأون بها . ولكن هذا لا يقلل من أهميتها بتاتاً . فلا يمكن لأحد أن يخفي نور الحقيقة .

ولا تحل نظرية الرفيق ماو في الحرب الشعبية مشكلة التجرؤ على شن حرب شعبية فقط ، بل تظهر كيف تشن هذه الحرب .

الرفيق ماو رجل دولة عظيم وعالم عسكري خبير بتوجيه الحرب تبعاً لقوانينها. لقد استطاع بواسطة الخطط والسياسات والاستراتيجية والتكتيكات أن يخلق الحرب الشعبية ، وأن يقود الشعب الصيني في توجيه سفينة الحرب الشعبية من خلال عقبات كبرى وظروف صعبة نحو شاطىء النصر .

ويجب التشديد على أن نظرية الرفيق ماو حول إقامة قواعد ثورية في الريف وتطويق المدن من الريف ذات أهمية عملية للثورات الحالية وللشعوب والأمم المضطهدة ، وخاصة لنضال دول آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية ضد الاستعمار وأتباعه .

فالولايات المتحدة وأتباعها تقوم الآن بعدوان يهدف إلى استعباد شعوب وبلدان عديدة في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية . وهناك عدة وجوه شبه بين وضع هذه الشعوب والوضع الذي كان قائماً في الصين القديمة . فقضية الفلاحين مهمة جداً في هذه البلدان كما هي في الصين . فالفلاحون يؤلفون القوة الرئيسية في الثورة الوطنية – الديمقراطية ضد المستعمرين وأتباعهم . يبدأ المستعمرون عدوانهم على هذه البلدان بالسيطرة على المدن الكبرى وعلى خطوط المواصلات الرئيسية ولكنهم لا يستطيعون أن يخضعوا الريف الواسع لسيطرتهم التامة . الريف وحده يمكن أن يقدم القواعد الثورية التي ينطلق الثوريون منها نحو النصر النهائي . لهذا السبب بالذات تجذب نظرية الرفيق ماو حول إقامة

قواعد ثورية في الريف وتطويق المدن من الريف ، اهتمام شعوب هذه المناطق أكثر فأكثر .

وإذا نظرنا إلى العالم كله نجد ان من الممكن الافتراض بأن أميركا الشمالية وأوروبا الغربية هي « مدن العالم » ، بينما تؤلف آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية « ريف العالم » . ومنذ الحرب العالمية الثانية تم وقف الحركة البروليتارية الثورية في دول أميركا الشمالية وأوروبا الغربية الرأسمالية لأسباب عدة ، بينما كانت حركة الشعوب الثورية في افريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية تنمو بسرعة . وبشكل ما تعطي ثورة العالم الحالية صورة لتطويق المدن من قبل المناطق الريفية . في التحليل النهائي ، تعتمد الثورة العالمية على النضالات الثورية لشعوب آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية والتي تشكل غالبية شعوب العالم . وعلى الدول الاشتراكية اعتبار دعم النضالات الثورية في هذه المناطق واجبها العالمي .

لقد شقت ثورة تشرين الأول حقبة جديدة في ثورة الأمم المضطهَدة . وأدى انتصارها إلى إقامة جسر بين ثورة البروليتاريا الاشتراكية في الغرب وبين الثورة الوطنية الديمقراطية لدول الشرق المستعمَرة وشبه المستعمَرة . ونجحت الثورة الصينية في حل مشكلة ربط الثورة الوطنية الديمقراطية بالثورة الاشتراكية في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة .

لقد أشار الرفيق ماو ، منذ ثورة تشرين الأول ، إلى أن الثورة على الاستعمار في أي بلد مستعمَر أو شبه مستعمَر لم تعد جزءاً من البرجوازية القديمة أو من الثورة الرأسمالية العالمية ، بل أصبحت جزءاً من الثورة العالمية الجديدة ، ثورة الطبقة الكادحة الاشتراكية .

هذا يعني ان قيادة الثورة لا يمكن إلا أن تكون ، بل يجب أن تكون ، للطبقة الكادحة وللحزب الثوري الأصيل المتسلح بالماركسية — اللينينية ، ولا يمكن أن تكون القيادة لأي طبقة أخرى أو أي حزب آخر .

وهو يعني أيضاً ان الثورة تضم في صفوفها ليس العمال والفلاحين والبورجوازيين الصغار في المدن وحسب، بل البرجوازية الوطنية أيضاً وعناصر وطنية أخرى مناوئة للاستعمار .

وأخيراً فإنه يعني أن الثورة موجهة ضد الاستعمار، والإقطاع، والرأسمالية البيروقراطية .

الثورة الديمقراطية — الجديدة تقود إلى الاشتراكية لا إلى الرأسمالية .

٤ - فيتنام

الانتفاضة العامة المسلحة - آب ١٩٤٥

فو نغوين جياب (*)

حرصت اللجنة المركزية (للحزب الشيوعي في الهند الصينية) في جلستها الثامنة على أن تعلن بوضوح منذ عام ١٩٤١ ، الشروط التي ينبغي توافرها حتى يمكن قيادة الشعب نحو القيام بالعصيان المسلح :

« يجب أن تؤول الثورة في الهند الصينية إلى انتفاضة مسلحة . وحتى يكون بالإمكان شن عصيان مسلح لا بد أن تكون الشروط كما يلي :

« أن تكون جبهة التحرير الوطني قد توحدت في جميع أرجاء البلاد .

«أن لا تقوى الجماهير على العيش بعد الآن تحت النير الفرنسي الياباني. وهي مستعدة لأن لتضحي بنفسها في بدء العصيان المسلح .

(*) يعتبر الجنرال فو نغوين جياب من أبرز القادة العسكريين وأحد كبار معلمي حروب التحرير الشعبية في عصرنا ، وهو يشغل منصب وزير الدفاع الوطني لجمهورية فيتنام الديمقراطية والقائد العام لجيش الشعب الفيتنامي . للاطلاع على المزيد من أفكاره الحديثة راجع كتاب « نصر كبير ومهمة عظيمة » وكتاب « من الذي سينتصر في فياتنام » . وكتاب « حربنا الشعبية انتصرت على حروب الابادة الامريكية » - اصدار دار الطليعة . « المترجم »

« ان تكون الدوائر الحاكمة في الهند الصينية مدفوعة نحو أزمة اقتصادية وسياسية وعسكرية .

« إن الظروف الموضوعية مؤاتية لانتفاضة على غرار النصر العظيم الذي أحرزه الجيش الصيني على الجيش الياباني ، وعلى غرار الثورة الفرنسية أو اليابانية ، أو النصر الشامل للمعسكر الديمقراطي في المحيط الباسفيكي وفي الاتحاد السوفياتي ، والتخمر الثوري في المستعمرات الفرنسية واليابانية وبوجه خاص نزول القوات الصينية أو البريطانية — الأميركية في الهند الصينية » .

إن تعليمات « الإعداد للانتفاضة » التي أصدرتها اللجنة المركزية للفياتمنه في أيار ١٩٤٤ قد أشارت أيضاً بوضوح إلى اللحظة التي ينبغي فيها للشعب أن يعلن العصيان :

« ١ — ان تكون صفوف العدو في تلك اللحظة مجزأة يدب فيها الرعب إلى أقصى مدى .

« ٢ — ان تكون منظمات التحرير الوطني والثوريين عاقدة العزم على القيام بالثورة وقتل الأعداء .

« ٣ — ان تدعم الجماهير العريضة الانتفاضة بإخلاص وتساعد الطليعة بعزم وإصرار .

« إذا بدأنا الثورة في الوقت المناسب فإن ثورتنا للتحرير الوطني سوف تنتصر بالتأكيد . يجب علينا أن نكون دائمي اليقظة ونشعر بنبض الحركة ونعرف حالة الجماهير النفسية ونقدر بوضوح الموقف العالمي والموقف في كل مرحلة كي ننتهز الفرصة المناسبة ونقود الجماهير لإعلان العصيان في الوقت المناسب » .

إن الإنتقال من النضال السياسي إلى النضال المسلح كان تغيراً عظيماً تطلب فترة طويلة من الإعداد . وإذا كان قد قيل بأن العصيان المسلح فن فإن المضمون الرئيسي لهـذا الفن هو أن نعرف كيف نعطي لهذا النضال أشكالاً مناسبة للموقف السياسي في كل مرحلة وكيف نبقي على العلاقة الصحيحة بين أشكال النضال السياسي وأشكال النضال المسلح في كل فـترة . كان النضال السياسي في البداية المهمة الأساسية ، والكفاح المسلح مهمة ثانوية . وبالتدريج أصبح النضال السياسي والنضال المسلح بنفس الأهمية . وفيما بعـد تقدمنا إلى مرحلة شغل فيها النضال المسلح الدور الأساسي . ولكن حتى في هذه المرحلة كان علينا أن نحدد بوضوح متى شغل النضال المسلح الدور الأساسي ضمن منطقة معينة فقط ومتى شمل ذلك كل الأمة . كان علينا أن نبني أنفسنا على أساس القاعدة الموجهة فيما يتعلق بأشكال الصراع كي نضع بوضوح القواعـد الموجهة لعملنا ولأشكال التنظيم . كان الصراع بيننا وبين العدو في ذلك الموقف القائم صعباً وعنيفاً للغاية ، فلو لم يكن التوجيه في النضال والتنظيم دقيقين ، أي لو لم يتبعا بشكل صحيح القاعدة الموجهة في التصميم والحذر وفي معرفة كيفية تقدير الظروف الذاتية ومقارنة القوات الثورية بقوات الثورة المضادة ، لكنا قـد واجهنا بالتأكيد المصاعب والفشل .

إن القيادة الصحيحة عليها أن توفر في إعدادها للعصيان المسلح تطوراً مستمراً ومحـدداً للقوى الثورية إلى أن يكون الوقت قـد نضج للانتفاضـة المسلحـة .

وكان قد ذكر بوضوح في الجلسة الثامنة للجنة المركزية :

« كي نعد القوى اللازمة للعصيان المسلح ، على حزبنا أن يقوم بما يلي :

« ١ أن يطور ويوحد المنظمات من أجل التحرر الوطني .

٢ — أن يمدّ المنظمات إلى المدن والمصانع والمناجم والمزارع .

٣ — أن يمدّ المنظمات إلى المقاطعات حيث الحركة الثورية ما زالت ضعيفة ، وكذلك إلى مناطق الأقليات .

٤ — أن يعبىء شباب الحزب بروح التصميم والتضحية .

٥ — أن يعبىء أعضاء الحزب بحيث يمكنهم الحصول على الطاقة والتجربة التي تمكنهم من القيادة والتغلب على مشكلات الموقف .

٦ — أن يشكل مجموعات صغيرة من الثوار ومنظمات للجنود ... ».

لقد أكد لينين في حديثه عن العصيان المسلح أن « الانتفاضة يجب أن تعتمد على الموجة العارمة لحركة الجماهير الثورية : (وليس على المتآمرين) » . إن التحدث عن الإعداد لعصيان مسلح وعن العصيان المسلح لا يعني أننا سنولي اهتماماً أقل للتحرك السياسي للجماهير ، على العكس فلا يمكن للعصيان المسلح أن ينتصر بدون حركة سياسية عميقة وعريضة تقوم بها الجماهير الثورية . وإذن ، فلكي نعد إعداداً جيداً لانتفاضة مسلحة لا بد أن تكون المهمة الأكثر إلحاحاً هي القيام بالدعاية بين الجماهير وتنظيمها كي « تطور وتعزز المنظمات العاملة من أجل التحرر الوطني » وذلك على أساس المنظمات السياسية القوية ، فقط . وبذلك تتمكن المنظمات شبه المسلحة . ومجموعات الثوار ووحدات الثوار المنظمة والتي لها صلة وثيقة بالجماهير الثورية، أن تعمل على أسس وطيدة ، وأن تدفع بنشاطاتها وتطورها حتى النهاية .

في السنوات المبكرة ، وعندما لم يكن التحرك السياسي للجماهير على مستوى كاف من القوة وكانت قوات العدو لا تزال قائمة ، كان للتعبئة بين الجماهير كل المقومات لأن تُعتبر المهمة الأساسية للإعداد لعصيان مسلح . وقد

نفذت الدعاية وتنظيم الجماهير في كل مكان من البلاد وكانت ذات أهمية حاسمة في النواحي الأساسية . إذ سرعان ما اختارت اللجنة المركزية للحزب مناطق جبال فييت باك والمنطقتين المركزيتين باك صن فو نهاي وكاوينانغ لتصبح قواعد مسلحة . ففي ظل الظروف السائدة حينذاك كان لا بد من إقامة القواعد المسلحة بشكل سري أي أن تكون المراكز حيث الحركة الثورية راسخة وحيث تنظيم الجماهير قوي . وعلى أساس المنظمات السياسية للجماهير أقيمت مجموعات الدفاع الذاتي ومجموعات القتال الدفاعية – الذاتية والتي تحولت فيما بعد إلى جماعات محلية مسلحة أو إلى فصائل مسلحة محررة أو محررة جزئياً من الانتاج وإلى وحدات ثوار كبيرة في النهاية . وظهرت بالتدريج فرق الملاكات السرية العاملة والفرق المعسكرة السرية ، فرق الصدامات المسلحة والمجموعات المحلية المسلحة . وكانت قاعدة الدعاية المسلحة أكثر القواعد الموجهة إفادة وملاءمة ، كما كانت النشاطات السياسية أكثر أهمية من النشاطات العسكرية ، والقتال أقل أهمية من الدعاية . لقد استخدم النشاط المسلح كي يصون ويعزز ويطور القواعد السياسية .

وما أن عززت القواعد السياسية وتطورت حتى قمنا بخطوة واحدة إلى الأمام لتعزيز وتطوير القوات المسلحة وشبه المسلحة . وكان لا بد من أن تحاط هذه القوات بسرية تامة وأن تكون لديها مراكز للنشاط الدعاوي ومعالجة مشكلة الخونة . ولقد اتسمت الهجمات العسكرية بالسرية التامة ونفذت بصورة سريعة فيجب أن تكون حركاتها شبيهة بحركات الأشباح .

أما القاعدة العريضة للجماهير فقد تركت لها مهمة القيام بالنضال القانوني المشروع ، إذ لم تكن الفرصة مؤاتية بعد لإقامة سلطة ثورية . ومع انه كانت هناك مناطق شاركت فيها الجماهير بأكملها في منظمات التحرر الوطني وكان للجان الفياتمنه في القرى نفوذ كامل بين الجماهير بوصفها منظمات سرية للسلطة الثورية . إلا أننا حتى في تلك المناطق لم نحاول الإطاحة بالعدو وإنما حاولنا

استمالته وتسخيره . وانسجاماً مع هذا الخط أصدرت اللجنة المركزية للحزب تعليماتهـا إلى الوحدات المسلحة للتحرير الوطني في باك سون – فو نهاي . وانسجاماً مع هذا الخط أيضاً، أعلن هوشي منه المبادىء الموجهة بشأن الدعاية المسلحة للمنظمات المسلحة في كاو يانغ – باك كان . وتناول ذلـك بصورة رئيسية إعطاء الأوامر لإقامة وحدة الدعاية المسلحة لحركة تحرير فيتنام . وقد أظهرت التجارب انه إذا لم يتم استيعاب المبادىء الموجهة المشار إليها أعلاه في الأسابيع الأولى من الإعداد لانتفاضة مسلحة فإن من المرجح أن تواجه الحركة الثورية مشاكل وخسائر مرحلية تنال من قوة الإعدادات لانتفاضة مسلحة .

لقد كان العصيان المسلح الشامل الذي وقـع في شهر آب نصراً عظيماً لشعبنا وحزبنا وكانت انتفاضة ناجحة لبلد مستعمر وشبه إقطاعي. فقد تطورت الانتفاضة من خـلال النضال السياسي الطويل الذي تحول إلى نضال إقليمي مسلح في المرحلة التي سبقت العصيانات . وفي النهاية ، باغتنامنا الفرصة المناسبة عندما كان العدو في أزمة تامة ، وباستخدامنا لقوة الجماهير السياسية بشكل رئيسي ، وبدعم من القوات المسلحـة وشبه المسلحة ، قمنا بالانتفاض بشكل بطولي في المدن والريف وحطمنا حكم الامبرياليين والإقطاعيين وأقمنـا سلطة الشعب الديمقراطية . إن نجاح العصيان العام الذي وقع في شهر آب يثبت أن حركة التحرر للشعوب المضطهدة قادرة على الانتصار ضمن معطيات تاريخيـة معينة من خلال العصيان المسلح .

حرب المقاومة ضد الامبريالية الفرنسية

فو نغوين غياب

كانت السياسة التي تقدم بها حزبنا مع بداية الحرب العالمية الثانية تقوم على الإعداد لانتفاضة مسلحة لتحرير بلادنا . وفي عامي ١٩٤٥ – ١٩٤٦ وفوراً بعد تأسيس النظام الديمقراطي الجمهوري تبنى الحزب سياسة توحيد الشعب موطداً العزم على شن حرب مقاومة كي يحمي منجزات ثورة آب والاستقلال الذي استعيد حديثاً .

وقد أدرك الحزب بوضوح بعد نجاح الثورة مخاطر عدوان المستعمرين الفرنسيين . ودعا حتى في « إعلان الاستقلال » و « قسم الاستقلال » إلى مضاعفة الاحتراس وتعبئة الشعب كي يكون جاهزاً للدفاع عن أرض أجداده .

نشبت الحرب ضد المستعمرين الفرنسيين العدوانية في سايغون حيث لم تكن قوة الشعب قد تعززت بعد . واعترضتنا مشاكل كبيرة في كل الحقول . ولم يسبق لبلدنا أن تحمل نير هذا العدد من الجيوش الأجنبية . لقد استسلم اليابانيون ولكنهم بقوا يحتفظون بسلاحهم . وبذل جيش تشانغ كاي تشيك الذي نزل في الشمال أقصى طاقاته لمساعدة كوك وان دانغ (الكومنتانغ الفيتنامي)

للإطاحة بسلطة الشعب ، واحتلت القوات البريطانية في الجنوب البلاد حتى موازاة خط عرض ١٦ وحاولت أن تساعد المستعمرين الفرنسيين على توسيع حربهم العدوانية .

قاد حزبنا الشعب في نام بو [١] ليشن حرب مقاومة ضد المستعمرين الفرنسيين ، ولكي يدفع بجميع القوى نحو العدو الرئيسي سلك الحزب خط كسب المزيد من الأصدقاء مع خلق القليل من الأعداء وسعى لتوسيع الجبهة الوطنية المتحدة وأوجد الجبهة الوطنية الفيتنامية المتحدة ووحد كل القوات التي يمكن توحيدها وحيَّد تلك القوى التي أمكن تحييدها وميز بين القوى التي كان بالإمكان التمييز فيما بينها . وفي نفس الوقت وحّد السلطة وطور وعزز القوات المسلحة وانتخب الجمعية الوطنية وشكل حكومة ائتلافية من أجل المقاومة .

وفي السياسة الخارجية ، حاول حزبنا بكل الوسائل أن يقيم سياسة ودية مع جيش تشاينغ كاي شيك وأن يتجنب كل الصراعات الجانبية وهو يواجه العدو الرئيسي ، المستعمرين الفرنسيين المعتدين . وقاد حزبنا الشعب والجيش في نام بو بإصرار وعزم ليقاوم الجيش المعتدي وعبأ الشعب بكامله في كل أنحاء البلاد كي يبذل أقصى طاقته لدعم الجنوب وأرسل الجيوش إلى هناك وأعدّ في نفس الوقت للمقاومة في حالة امتداد الحرب . هذا من جهة ومن جهة أخرى لم تفته فرصة الإفادة من التناقض بين القوات الفرنسية وقوات تشانغ كاي تشيك والتفاوض مع الحكومة الفرنسية كي يحقق الانفراج ويصون السلام .

إن توقيع المعاهدة التمهيدية في السادس من آذار عام ١٩٤٦ بين الفرنسيين وقواتنا كان نتيجة لهذه السياسة والاستراتيجية الصحيحتين ونظراً لتنازل قدم

(١) وهي الجزء الاسفل من جنوب فياتنام المعروف سابقاً بـ صين — كوشين .

من طرفنا ، كان بوسع جزء من الجيش الفرنسي النزول في مراكز محـــددة في شمال فيتنام ليحل محـــل قوات تشانغ كاي تشيك . وقد اعترفت الحكومة الفرنسية ، من جهتها ، بجمهورية فيتنام الديمقراطية كبلد حر ضمن إطار الاتحاد الفرنسي، لها حكومتها الخاصة وجيشها ، وبرلمانها ، وماليتها الخ ... وبهذا نجحنا في طرد ٢٠٠٠٠٠ من قوات تشيانغ كاي تشيك خارج بلادنا . بعد هذا ابيد أيضاً جيش الثورة المضادة ، فياتنام كوك وان دانغ، والذي ما زال يحتل خمس مقاطعات على طول الحدود ووسط شمال فيتنام. لقد نما النظام الديمقراطي الجمهوري وازداد قوة .

ومع الاتفاق التمهيدي قمنا بتنفيذ سياسة « دفع السلام إلى الأمام ». وفوراً بعد توقيع الاتفاق سنح الوقت لأوهام السلام بالتأثير، بشكل جزئي، على يقظتنا تجاه مشاريع المستعمرين الرجعية . ولكن الحزب واصل ، بشكل عام ، بذل الجهود لتعزيز السلام وفي نفس الوقت زاد من قواتنا وكان مستعداً لأن يحبط كل مؤامرات العدو . فمن ناحية التزم بالاتفاق الذي وُقّع، وواصل، من ناحية أخرى ، بعزم نضال دفاع ذاتي ضد كل أعمال العدو التخريبية لهذا الاتفاق . وبدأت مشاريع المستعمرين الفرنسيين تنكشف في كل يوم يمر ، وكانت كلما ازدادت تنازلاتنا ازدادت تمادياتهم وانتهاكاتهم للاتفاقات . لقد مزقوا علنـــاً الاتفاقية التي وقعوها وقاموا بعمليات عابثـــة في مناطق المقاطعات المحتلة في الجنوب وانغمسوا في أعمـــال مثيرة للغضب وتعدوا بالتدريج على حقوقنا في مراكز عديدة بما فيها هايفونج وهانوي العاصمة . لقـــد بذلوا أقصى جهودهم لاحتلال بلادنا . وعندئذ ، وبعد أن أدرك الحزب أن إمكانيـــات الحفاظ على السلام لم تعد موجودة ، دعا الشعب بكامله لشن حرب المقاومة .

وقد أظهرت الحقائق لشعبنا بوضوح، أن حزبنا وحكومتنا بذلا أقصى حد ممكن للحفاظ على سياسة السلام ولكن المستعمرين الفرنسيين كانوا مصممين على

غزو بلادنا مرة أخرى . وكان من البديهي أنه لم يعد أمام شعبنا من سبيل سوى حمل السلاح بعزم لإنقاذ الوطن . لقد أظهرت الأعمال بشكل واضح للشعب الفرنسي ولجميع الشعوب المحبة للسلام في العالم أننا نرغب بالعيش في سلام ولكن المستعمرين الفرنسيين يحثون بإصرار ، على الحرب . وهنا يتجلى سبب كسبنا في حرب المقاومة التي يقوم بها شعبنا لعطف وتأييد الجماهير العريضة في فرنسا وجميع أنحاء العالم .

كانت سياسة حزبنا في المقاومة دقيقة في انسجامها مع متطلبات الشعب الذي بلغ حنقه على المعتدين أوجه . ولهذا السبب بالذات ، واستجابة لنداء الرئيس هو لتنفيذ حرب مقاومة لم ينأ جيشنا وشعبنا بنفسه عن الشدة والتضحيات . وكانوا مصممين كهبة رجل واحد على شن حرب مقاومة يهبون فيها هبة رجل واحد لإحراز النصر وإبادة المعتدين .

إن حرب المقاومة التي شنها شعبنا كانت استمراراً للثورة الديمقراطية الاجتماعية عن طريق النضال المسلح . لذا فإن الالتزام بخط ثابت لثورة تحررية ديمقراطية في قيادة حرب مقاومة كانت مسألة معقدة وحاسمة .

كانت فيتنام بالأصل بلداً مستعمراً وشبه إقطاعي . ولكن مجتمعنا دخل في تحولات عظيمة نتيجة لثورة آب . فقد أطيح بنظام الحكم الامبريالي وبسلطة الملك ورجال حكمه الكبار ، أدوات الامبريالية الذين يمثلون أكثر القطاعات رجعية في طبقة الملاك الاقطاعيين ، مع ذلك فما تزال هذه الطبقة موجودة في مجتمعنا ولم تحل مسألة الأرض إلا جزئياً .

لقد أضرمت القوات الفرنسية المستعمرة نار الحرب العدوانية وعاد ظهور التناقض الرئيسي بين شعبنا والامبريالية في أكثر أشكاله حدة . من كان العدو المعتدي ؟ الامبرياليون الفرنسيون بالتأكيد . وفي البداية ، نظراً لوجود عناصر

تقدمية في الحكومة الفرنسية ونظراً لضرورة تكتيكية ، قلنا بأن عدونا هو المستعمرون الفرنسيون الرجعيون . ولكن فيما بعد ، وبالتحديد بعد عام ١٩٤٧ فصاعداً ، أصبحت الحكومة الفرنسية رجعية بالتأكيد وكان المعتدون هم الامبرياليون الفرنسيون الذين كانوا أعداء شعبنا كله والذين كانوا يغزون بلادنا . في هذا الوضع كان العامل القومي ذا أهمية قصوى . فلكي نقاتل الامبريالية الفرنسية كان من الضروري توحيد الأمة بكاملها وكل الطبقات الثورية والعناصر الوطنية وأن تعزز الجبهة الوطنية الموحدة . وحصل حزبنا على نجاحات عظيمة في سياسته لتوحيد الشعب . وأصبح الشعار الذي وضعه الرئيس هو شي مينه « الوحدة ، الوحدة ، والوحدة العريضة — النجاح ، النجاح ، والنجاح العظيم » ، حقيقة عظيمة . وكانت الجبهة الوطنية المتحدة المعادية للامبريالية في بلادنا نموذجاً لأعرض الجبهات الوطنية في بلد مستعمَر .

إن الثورة التي قادها الحزب الشيوعي لم تنحرف مطلقاً عن الثورة الديمقراطية . إن مهمة المعاداة للامبريالية قد سارت جنباً إلى جنب مع مهمة المعاداة للاقطاعية بالرغم من أن الأولى كانت أكثر إلحاحاً . وكانت فيتنام بلداً زراعياً متخلفاً أغلبية السكان فيه من الفلاحين. وبينما كانت الطبقة العاملة هي التي تقود الثورة فقد كانت طبقة الفلاحين مصدراً أساسياً للثورة مشحونة بروح المعاداة للامبريالية والاقطاع . وأكثر من ذلك فقد اعتمدنا في شن حرب المقاومة على الريف كي نبني قواعدنا التي ننطلق منها لشن حرب عصابات كي نطوق العدو في المدن ونحررها في النهاية . لذلك كان من الأهمية بمكان أن نولي اهتماماً خاصاً لمسألة الفلاحين ومسألة المعاداة للاقطاع كي نصل بحرب المقاومة الطويلة نحو النصر .

كيف عالج حزبنا مسألة المعاداة للاقطاع من أجل تعبئة القوة الفلاحية خلال حرب المقاومة ؟ إبان ثورة آب ، وبعد أن أطحنا بالملك ورجال الحكم

الكبار ، أنزل العقاب بعدد من الخونـــة ووزعت أراضيهم على الفلاحين . وأُعطيت أراضي المستعمَرين مرحلياً للفلاحين . وبعد أن أعاد الامبرياليون الفرنسيون احتلال بلادنا بدأ التواطؤ بين الامبرياليين وأكثر القطاعات رجعية في طبقة المـــلاك الاقطاعيين . كان التناقض الأساسي ، في مجتمعنا ، في ذلك الوقت بين أمتنا وشعبنا من جهة وبـــين الامبرياليين الفرنسيين وأتباعهم من الاقطاعيين الرجعيين من جهة أخرى . وبناء على ذلك رفعنا شـــعار « إبادة المستعمرين والرجعيين والخونة » . ونتيجة لذلك ، وفي السنين الأولى من حرب المقاومة ، قمع عدد من أكثر العناصر الرجعية في طبقة الملاك في مسار العمليات التي جرت ضد الحكومات المحلية – الألعوبة – وضد الخونة . وقـد وزعت أراضيهم وأراضي الملاك الغائبين على الفور أو انها وضعت تحت وصاية الفلاحين. ولذا فقد استمرت المهمات ضد الاقطاع أثناء التطبيق .

على أية حال ، ونظراً للمفهوم المبهم لمضمون ثورة التحرر الوطني الذي ساد حتى مطلع عام ١٩٤١ وحتى السنوات الأولى لحرب المقاومـــة فقد أهملت في أذهاننا وفي سياساتنا أيضاً مهمة معاداة الاقطاع بطريقة ما ، ولم تلق المسألة الفلاحية التقدير الكافي لأهميتها . ولم يطرح السؤال بطريقة أكثر تحديداً قبل حلول فترة ١٩٤٩ – ١٩٥٠ . وفي الفترة ١٩٥٢ – ١٩٥٣ قرر حزبنـا تعبئة الجماهير من أجل إجراء تخفيض حاد في ريع الأراضي ولمواصلة الاصلاح الزراعي محققاً شعار « الأرض لمن يفلحها » وبهذا فقد أذكيت بقوة روح المقاومة لدى الملايين من الفلاحين وعزز التحالف العمالي الفلاحي ودعمتـــه الجبهة الوطنية الموحدة وعززت الادارة والجيش وزادت النشاطات . كانت هناك أخطاء في الاصلاح الزراعي ولكنها ارتكبت في أغلبها ، بعـد إعادة السلام وبذلك لم يكن لها من أثر في حرب المقاومة . وينبغي أن يضاف أن الاصلاح الزراعي لم ينفذ في الشمال فحسب وإنما جرى بعد عام ١٩٥١ توزيع الأرض على الفلاحين

في جنوب فيتنام أيضاً . كان تنفيذ الاصلاح الزراعي خلال حرب المقاومة سياسة صحيحة ذات طبيعة خلاقة تميز بها حزبنا .

وإذا ما نظرنا إلى الوراء ، فإن حزبنا ، بشكل عام ، التزم بخط ثورة التحرر الوطني من خلال حرب المقاومة . وبفضل هذا نجحنا في تعبئة شعبنا لشن حرب الشعب مستخدمين القوة الهائلة للشعب لقهر المعتدين .

إن العدو وهو قوة امبريالية ضعفت كثيراً بعد الحرب العالمية الثانية ، ما زال قوياً بالقياس الينا . وأكثر من ذلك فقد امتلك جيشاً موسمياً محترفاً مجهزاً بأسلحة حديثة ومزوداً بخبرة في الحروب العدوانية وأما نقطة ضعفه فإنها تتجلى في الطبيعة غير العادلة للحرب التي يخوضها . ونتيجة لذلك فقد كان منقسماً داخلياً ولا يلقى دعماً من شعب بلاده ، ولم ينعم بعطف الرأي العام العالمي . كان جيشه قوياً في البداية ولكن روحه المعنوية كانت آخذة في التدهور . وقد أصيبت الامبريالية الفرنسية بنقاط ضعف وعقبات أخرى ، فالقوة البشرية والثروة كانت محدودتين وأدينت الحرب القذرة بقوة من قبل المواطنين الفرنسيين أنفسهم .

ومن جانبنا كان بلدنا بالأصل بلداً مستعمراً وشبه إقطاعي نال استقلاله حديثاً . فلذلك لم نكن قد وحدنا قوانا في جميع الحقول بعد ، وكان اقتصادنا زراعياً متخلفاً ، وكان جيشنا عبارة عن قوات ثوار تنقصها الخبرة ، تمتلك بعض الأسلحة القديمة ، ولم تكن مؤننا كافية وكانت الملاكات تعوزها التجربة . وتجلت نقطة القوة فينا في الطبيعة العادلة للحرب التي نخوض ، وبذلك استطعنا أن نوحد شعبنا بأكمله . لقد شرّب شعبنا وقواتنا روح التضحية بأنفسهم في مقاتلة العدو ونعموا بالعطف العميق وبدعم الشعوب في جميع أنحاء العالم .

تلك كانت الملامح الرئيسية لكلا الجانبين في حرب المقاومة الأخيرة ، إنها

تشير بوضوح إلى أن مواضع قوة العدو كانت نقاط ضعفنا ومواضع قوتنا كانت نقاط ضعفه . بيد ان مواضع قوة العدو كانت موقتة في حين انها كانت أساسية بالنسبة لنا .

ونظراً للسمات المذكورة أعلاه فقد كانت قاعدة العدو الاستراتيجية هي أن يهاجم بسرعة وأن ينتصر بسرعة ، فكلما أطيلت الحرب أكثر نقصت مواضع قوته وازدادت مواضع ضعفه . هذه القاعدة الستراتيجية كانت تتناقض مع القوة المحدودة للامبريالية الفرنسية التي ازداد ضعفها بعد الحرب العالمية الثانية وبالتالي فقد أجبر في مخططاته لاحتلال بلادنا ، لأن يدمج خطته في الهجوم السريع والفوز السريع مع خطته في الغزو خطوة فخطوة واتبع نفس الأمر في التفاوض معنا مستخدماً سياسة كسب الوقت كي يحشد قوى إضافية . وبغض النظر عن المشاكل والعقبات التي سببتها مواطن ضعفه فإن العدو كان حالما تتوفر له الإمكانية ينفذ بالحال خطة الهجوم السريع ومحاولة الفوز السريع آملاً أن ينهي الحرب بنصر حاسم . ومنذ بداية الحرب كان لدى الامبرياليين الفرنسيين طموح في تكملة الاحتلال و « تهدئة » جنوب فياتنام خلال أسابيع قليلة . لقد اندلعت حرب المقاومة على مستوى الأمة فبذلوا كل ما في وسعهم ، عندما فشلوا في تدمير قوانا الأساسية في المدن ، لكي يعيدوا تجميع قواهم وقاموا بهجوم كبير في فييت باك متوقعين أن يبيدوا عناصرنا القيادية وقوانا الأساسية كي يسجلوا نصراً حاسماً . فشل الهجوم في فييت باك وأجبر العدو على إطالة الحرب وأن ينتقل « لتهدئة » المناطق في مؤخرته بيد انه لم يتخل عن خطته في الهجوم السريع والانتصار السريع . وكانت إعادة توزيع الجنرالات مرة بعد أخرى وبوجه خاص إرسال الجنرال نافار إلى الهند الصينية قد قصد منها إلحاق ضربات حاسمة لإنها الحرب العدوانية بشكل سريع .

وعندما أدرك حزبنا ، بوضوح ، مواطن القوة والضعف لدى العدو ولدينا ،

ولكي يحبط مخطط العدو الاستراتيجي ، تقدم بمبدأ حرب المقاومة الطويلة الأجل . إن شعبنا بمواجهته لعدو يمتلك مرحلياً اليد العليا ، لم يكن بوسعه أن يضرب بسرعة ويفوز بسرعة ولكنه احتاج إلى الوقت كي يتغلب على نقائصه ويزيد من مواطن العدو الضعيفة . وقد ظهرت الحاجة إلى الوقت لتعبئة وتنظيم وتعزيز قوى المقاومة لإنهاك قوى العدو ولإعادة ميزان القوى بالتدريج بصورة عكسية ولتحويل الضعف إلى قوة وفي نفس الوقت افادة أنفسنا من تحولات الموقف الدولي الذي كان يتجه أكثر فأكثر نحو دعم مقاومتنا ، لتنتصر على العدو في النهاية .

إن القانون العـــام للحرب الثورية الطويلة غالباً ما يمر في ثلاث مراحل : دفاع فتوازن فهجوم. وقد اتبعنا ، بصورة أساسية ، في حربنا للمقاومة وفي الاتجاهات الرئيسية هذا القانون العام . وبالطبع فإن حقيقة ما كان يجري على جبهات القتال قد انتشر بطريقة أكثر قوة وأكثر تعقيداً ولكي نحقق القاعدة الموجهة للحرب الطويلة ، بعد فترة قتال لإنهاك العدو ومراقبته قمنا بتنفيذ استراتيجية الانسحاب عن المدن الى الريف كي نحفظ قوتنا وندافع عن قواعدنا الريفية. وبدأ التوازن يظهر بالتدريج بعد فشل العدو في هجومه في فييت باك. وقررنا شن حرب مقاومة واسعة النطاق. فمنذ عام ١٩٥٠ فصاعداً كانت حملات الهجمات المضادة المحلية ناجحة جداً وكسبنا المبادرة على الحدود الشمالية للمعركة. وكانت حملة ديان بيان فو في مطلع عام ١٩٥٤ هجوماً مضـاداً أنهى حرب المقاومة بنصر عظـيم .

إن تمكين كل فرد من استيعاب القـــاعدة الاستراتيجية الموجهة للحرب الطويلة الأمد بشكل كامل لم يكن جهداً عسكرياً واقتصادياً كبيراً من حيث التنظيم فحسب بل أيضاً عملية تثقيف إيديولوجي ونضال داخل الحزب وبين الشعب ضد الاتجاهات المنحرفة التي ظهرت كثيراً إبان سنوات حرب المقاومة.

كانت إحداها انهزامية متشائمة افترضت أن ضيق رقعة بلادنا وقلة عدد سكاننا وتخلف اقتصادنا وضعف قواتنا المسلحة وصغرها سوف لن تمكننا من مواجهة العدو ولا تسمح لنا بالمثابرة وحدنا على شن حرب مقـــاومة طويلة . وكانت الاتجاهات الخاطئة الأخرى تتمثل في الذاتية ، فقدان الصبر ، التوق للانتصار بسرعة وهذه برزت عند بدء حرب المقاومة في خطط العمليات لعدد من المراكز التي لم تكن راغبة في سحب قوتها من أجل المحافظة على قوتنا الرئيسية كما ظهرت في خطة قادة تلك المراكز المتمثلة في القيام بهجوم شامل مضاد في عام ١٩٥٠ مع ان الظروف الموضوعية والذاتية على السواء لم تكن تسمح بذلك .

وقام الحزب بأقصى الجهود كي يصحح الاتجاهات الخاطئة وليثقف أفراد الشعب بحيث يمكنهم من أن يروا بوضوح مشاكلنا وميزاتنا، محركاً الشعب بأكمله كي يحافظ على ثبات تصميمه في القتال . إن الكتيب الذي كتبه الرفيق ترونغ شنيه « سوف تنتصر حرب المقاومة » كان مساهمة هامة للفهم الدقيق لخط حرب المقاومة ولسياسات الحزب . هنـا ينبغي أن يكون التأكيد على الأثر العظيم لمقررات الجلسة الاولى للجنة المركزية في عام ١٩٥١ التي ذكرت الحزب بأكمله بأن « حرب المقاومة التي نخوض ، صراع طويل وقاس » و « علينا أن نعتمد ، بصورة رئيسية ، على أنفسنا ، وعلى قوانا ». إن حملات إعادة الصياغة الإيديولوجية في الحزب والجيش والعمل الدعاوي بين الشعب الذي نفذ حسب تعليمات اللجنة المركزية قد عزز بشكل رئيسي تصميم الشعب على شن حرب مقاومة طويلة وزاد من ثقته في النصر النهائي ، ومكن القواعد الموجهة الطويلة الأجل ومبادىء الاعتماد على النفس في حرب المقاومة من النفاذ نفاذاً أكثر عمقاً في وعي الجماهير .

ولكي نشن حرب مقاومة طويلة ، كان علينـــا أن نولي روح الاعتماد على النفس عناية خاصة . وفي خلال السنوات الاولى من المقاومة كان على شعبنا أن

يناضل عندما طوق من جميع الجهات . كان الاعتماد على الذات حينذاك مسألة حيوية. فلم يكن لدى شعبنا من طريقة غير الاعتماد على الذات كي يكون في مستوى العدو . وعندما أولينا روح الاعتماد على الذات عنـــاية خاصة. أخذت قواتنا بالبحث عن مؤنها على أرض المعركة فاستولت على أسلحة العدو كي تسلح نفسها واقتصدت في الذخيرة وطورت قدرتهـــا على الاحتمال وتغلبت على المشاكل وناضلت كي تساهم في الانتاج ، وزودت نفسها بفضل هـذا الإنتاج بجزء من احتياجاتها وذلك كي تخفف من الأعباء الملقاة على كاهل الشعب .

ولقد سعى شعبنا في بنـــاء المؤخرة وفي تطوير اقتصاد المقاومة كي يحقق الكفاية لنفسه ويواجه احتياجات الجبهة . وقمنا بمضاعفة الانتاج في كل مظهر كي نمد شعبنا بالسلع الرئيسية ، وقاتلنا ضد حصار العدو الاقتصادي ، وجرى إصلاح مساحات كبيرة من الأراضي البكر لزيادة انتاج المواد الغذائية . وشيد عدد كبير من مصانع انتاج الأسلحة لتزويد قوات الجيش . وقد عزز شعب وجيش المنطقة الخامسة وفي نام بو ، بشكل خاص، روح الاعتماد على الذات الى درجة كبيرة وسجـــلوا إنجازات عديدة بالاعتماد على الذات كي يشنوا حرب المقاومة بمواظبة ومثابرة في ظروف قاسية وصعبة للغاية .

وعندما تحول الموقف الدولي إلى صـــالحنا – وإن كنا ما نزال نواجه المشكلات العديدة – بدأ يظهر بين الحزب والجيش اتجاه نحو التريث والاعتماد على العون الاجنبي لذلك فقد أولى حزبنا الاهتمام ، أثناء مواصلة التبشير بحرب المقاومة الطويلة ، لإيقاظ روح الاعتماد على الذات والإشارة إلى أن أهمية الدعم والعطف الدولي تكون فقط عندما نعتمد على قوانا الخاصة كي نضمن النصر لشعبنا في حربه التحررية .

إن وجود قاعدة استراتيجية مرشدة صحيحة لم يكن بالأمر الكافي للانتقال بحرب المقاومة نحو النصر فقد كانت الضرورة تقتضي وجود مبدأ موجه للقتال

يستطيع أن ينفذ القاعدة الاستراتيجية الموجهة بنجاح وبشكل عـــام كانت حرب المقاومة التي نخوض حرب عصابات وحرب المواقع .

ولقد استوعبنا هذا القانون العام بصورة أساسية ولذلك حققنا النجاح . ومع ذلك فلم نستوعبه بدقة منذ البداية وإنمـــا بعد عملية شاملة من التمرس والاختبار في تطبيق الحرب .

وفي حرب المقاومة لعبت حرب العصابات دوراً كبير الأهمية . فهي تمثل نوعاً من القتال الذي تخوضه الجماهير ، جماهير بلد ضعيف سيىء التجهيز يتصدى لجيش عدواني يمتلك معدات أفضل .

هذه هي طريق خوض القتال في حرب ثورية تعتمد على الروح البطولية للانتصار على الأسلحة الحديثة ، فهي تتجنب ملاقاة العدو عندما يكون قوياً وتهاجمه عندما يكون في وضع أضعف فتارة تكون مبعثرة القوى وأخرى جامعة لقواها ، تارة تصمد وأخرى تبيـــد العدو مصممة على مقارعته في كل مكان بحيث يواجه حيثما يذهب الغرق في بحر من الشعب المسلح يواصل ضربه وبذلك يضعف روحه المعنوية ويستنزف قواه . وبالإضافة إلى الوحدات التي يستلزم توزيعها كي تتصدى للعدو من الضروري إعادة تجميع القوى الكبيرة المسلحة في ظروف مؤاتية لكي يتحقق التفوق في الهجوم في نقطة معينة وفي موعد معين لإبادة العدو. إن إحراز الانتصارات في مواقع صغيرة يؤدي إلى استنزاف قوة العدو البشرية وفي نفس الوقت يعزز قـــوانا شيئاً فشيئاً . إن الهدف الأساسي للقتـــال يجب أن يكون تدمير قوة العدو البشرية وينبغي أن لا تستنزف قوانا بمحاولة الاحتفاظ أو احتلال الأراضي وبهـــذا تخلق الظروف النهائية لإبادة العدو بكامله وتحرر بلادنا .

إن حرب العصابات تتوافق كلياً مع سمات حربنا في المقاومة ففي المرحلة

المبكرة من المقاومة لم تكن هناك ولم يكن ممكناً أن تكون في بلادنا حرب نظامية وإنما نشاطات فقط يقوم بها الثوار. وعندما بدأت الحرب في جنوب فيتنام كانت خطتنا تقوم على شن حرب عصابات وبالفعل فقد أخذت هذه الحرب شكلها في التطبيق. ولكن عندما اندلعت المقاومة وشملت الأمة بكاملها لم تنفذ سياسة شن حرب عصابات بصورة أساسية، بوضوح. وفي خريف عام ١٩٤٧ ومع بداية فصل الشتاء بذلت اللجنة المركزية جهوداً في بدء وتوسيع نشاطات الثوار في جميع المناطق المحتلة. فقد قسم جزء من قوتنا الرئيسية إلى سرايا مستقلة، تعمل منفصلة ونفذت إلى أعماق مؤخرة العدو كي تبشر بدعايتنا بين الشعب وتدافع عن قواعدنا وتصعد حرب العصابات. كانت سياسة السرايا المستقلة والتي تلاقت مع الكتائب المركزة تجربة ناجحة جداً في مسار حرب العصابات. ومع تصاعد نشاطات الثوار وامتدادها الواسع تحولت مؤخرة العدو في أمكنة عديدة إلى خطوط أمامية لنا.

ولقد بذل العدو جهوداً كبيرة كي يتغلب على نشاطاتنا الثوريه المطردة التوسع كي يبدأ عمليات تطهير بقوات مسلحة أكبر في أي وقت. كان هدف العدو من وراء هذه العمليات إبادة وحدات الثوار التابعة لنا وتدمير قواعدنا العسكرية ونهب ممتلكاتها آملاً بذلك تحطيم قواتنا المقاومة و «تهدئة» مؤخرته*. ولهذا السبب أصبحت عمليات التطهير وعمليات التطهير المضادة هي الأشكال الرئيسية للحرب التي يخوضها الثوار في مؤخرة العدو. ومن خلال عمليات التطهير استطاع شعبنا التمرس على تحمل أقصى المحن بروح قتال عالية خالقاً بذلك أشكال قتال غنية جداً. ولكي تستمر نشاطات الثوار وتتوسع نسق حزبنا، بذكاء، ما بين النضال السياسي والاقتصادي من جهة والنضال المسلح من جهة أخرى. وخاض نضالاً مريراً كي يفيد من الفرص الإيجابية لدفع الشعب إلى الأمام نحو الكفاح المسلح، ونحو تطوير قواتنا وإبادة واستنزاف قوات العدو وتحويل المناطق المحتلة موقتاً إلى مناطق للثوار أو تحويل مناطق الثوار إلى

* تعني «التهدئة» في اصطلاح جيوش الاحتلال معنيين عسكري وسياسي: القضاء على جيوب المقاومة الوطنية وكسب جماهير السكان الى صفهم (م).

قواعد . وعندما كنا نواجه بموقف صعب كان حزبنا يتحرك بذكاء في الوقت المناسب كي يصون قواتنا ويجعل قواعدنا في مأمن . وكانت عمليات الثوار في مؤخرة العدو أوضح تعبير للارادة الحديدية ولروح الشجـــاعة القصوى التي يتحلى بها شعبنا وكانت في الوقت نفسه دليلاً على الموهبة القيادية التي يتمتع بها حزبنا .

إن حرب العصابات من وجهة النظر الاستراتيجية تستنزف العدو عن طريق خلق العديد من المشاكل له وإلحاق الخسائر به . ولا بد لحرب العصابات كي تبيد العدو وتحرر الارض من أن تنتقل تدريجياً نحو الحرب المتحركة . وبسبب من أن حرب المقاومة التي كنا نخوض كانت حرباً ثورية طويلة ، كان من المحتم علينا أن تنتقل نحو الحرب المتحركة . ومن خـــلال حرب العصابات تشكلت قواتنا بالتدريج . وخاضت القتال في البداية بوحدات صغيرة ثم بوحدات كبيرة منتقلة من القتال المبعثر إلى قتـــال أكثر تركيزاً . وتطورت حرب العصابات بالتدريج نحو حرب متحركة — وهي شكل من القتال تبدأ فيه مبادىء الحرب النظامية بالظهور تدريجياً وتتطور بتزايد ولكن تبقى تحمل طابع حرب العصابات . إن الحرب المتحركة هي طريقة خوض القتـــال بالقوات المتمركزة ، بالجيش النظامي حيث تجمع قوات كبيرة نسبياً تقوم بعملياتها في أراضي ميدان واسعة نسبياً ، وتهـــاجم العدو حيث يكون مكشوفاً نسبياً ، قاصدة إبادة القوة البشرية للعدو ، وسبر اغواره ثم الانسحاب بسرعة كبيرة ، وامتـلاك أقصى ما يمكن من الدينامية والمبادرة والحركة وسرعة اتخـــاذ القرارات في مواجهة أي وضع جديد. ومع استمرار حرب المقاومة أصبح الدور الاستراتيجي للحرب المتحركة أكثر أهمية مع كل يوم يمر ، وكانت مهمتها إبادة عدد أكبر فأكبر من قوات العدو لكي تطور قوانا الخاصة بينما كانت مهمة حرب العصابات

استنزاف وتدمير احتياطات العدو . لذلك كان على الحرب المتحركة أن تسير جنباً إلى جنب مع حرب الإبادة . فقط ، بإبادة القوة البشرية التي يمتلكهـا العدو يمكننا أن نحطم هجماته الكبيرة وننقـذ قواعدنا ومؤخرتنا ، وننتقل لكسب المبادرة في العمليات ونستنزف المزيد من قوة العدو البشرية المهمة ونحرر مراكز أوسع واحداً تلو الآخر ونصل بالنهاية إلى تحطيم قوة العدو المسلحة كلياً ونحرر بلدنا بأكمله .

وبإنجازنا للقاعدة الموجهة في الانتقال تدريجياً من حرب العصابات إلى الحرب المتحركة . كان لدى قواتنا منذ البدء ، إلى جانب جزء يعمل بشكل منفصل، جزء آخر يعمل بنشاط مركز، وكان هذا بمثابة البذور الأولى للحرب المتحركة. وفي عـــام ١٩٤٧ ومع ظهور خطة السرايا المستقلة التي تعمل منفصلة والفرق المركزة بدأنا بالانتقال للمزيد من القتال المركز ومن ثم نحو الحرب المتحركة. وفي عام ١٩٤٨ قمنا بنصب المكامن وبهجمات مفاجئة كبيرة نسبياً بكتيبة أو بعدة كتائب وبدأنا في عام ١٩٤٩ حملات صغيرة ليس في الشمال فحسب بل في مواقع أمامية أخرى ومنذ عام ١٩٥٠ بدأنا بشن حملات على نطـــاق أوسع ممكنين الحرب المتحركة من لعب الدور الرئيسي في ساحة القتـال الشمالية في وقت كانت حرب تطويق الخنادق قد بلغت مرحلتها العليا . إن هذه الحقيقة ظهرت بوضوح في حملة ديان بيان فو العظيمة .

نحن درجنا على القول : يجب أن تنتشر حرب العصابات ، فكان ينبغي لحرب العصابات ، كي تبقى على نفسها حية ولكي تتطور ، من أن تسير باتجـاه الحرب المتحركة هذا قانون عام . وبالنسبة للظروف المادية التي تحيط بحربنا في المقاومة لم يكن بالإمكان وجود حرب متحركة بدون حرب عصابات . ولكن ما لم تنتقل حرب العصابات إلى حرب متحركة فإن عواقب ذلك لا يتوقف

عند العجز عن تنفيذ مهمتنا الاستراتيجية التي تهدف إلى إبادة قوةالعدو البشرية فحسب بل إن نشاطات حرب العصابات نفسها يصعب الإبقاء عليها وتوسيعها. إن القول بضرورة تطوير حرب العصابات إلى حرب متحركة لا يعني إهمال حرب العصابات بل على العكس فإنه يعني إنه في ظل نشاطات الثوار الواسعة تنمو وحدات الجيش النظامي تدريجياً ويكون بإمكانها شن حرب متحركة . وإلى جـــانب القوة الرئيسية يجب أن تكون على الدوام قوات ثوار عديدة ونشاطات عديدة لهم .

وما ان تظهر الحرب المتحركة على الجبهة الأمامية لحرب العصابات حتى يتوجب أن يحدث تنسيق وثيق وصحيح بين هذه الأشكال من القتال كي يصبح بالإمكان دفع حرب المقاومة إلى الأمام وإبادة قوات أكبر للعدو وتحقيق أكبر الانتصارات. وهذا قانون عام آخر في السلوك في الحرب . فمن جهة لا بد من توسيع حرب العصابات بحيث تستفيد من الظروف الإيجـــابية الجديدة التي أوجدتها الحرب المتحركة وتنسق مع الحرب المتحركة كي تبيد وتستنزف عدداً كبيراً من قوات العدو ومن خلال هـــذه الانتصارات تواصل تصعيد الحرب المتحركة ، ومن جهة أخرى لا بد من مزيد من التصعيد في مسار تطور الحرب المتحركة لإبادة أكبر عدد ممكن من الأعداء ، وفي الوقت نفسه خلق ظروف جديدة مؤاتية لأحداث المزيد من التوسع في حرب العصابات ، وسرعان ما بدأت حرب المواقع بالظهور تدريجياً . وهـــذه الحرب التي أصبحت جزءاً من الحرب المتحركة واصلت تطورها واحلت مركزاً لها .

إن سلوك الحرب يجب أن يبقى على نسبة صحيحة بين أشكال القتال . ففي البداية كان علينا أن نثابر على حرب العصابات ونوسعها وبدخولنا إلى مرحلة جديدة ، ظهرت خلالها ملامح الحرب المتنقلة ، كان علينا أن نحافظ بثبـات

على التنسيق بين الشكلين اللذين شكلت حرب العصابات الحرب الرئيسية فيهما . وكانت الحرب المتنقلة ذات أهمية أقل ولكنها لا تزال في طريقها نحو التقدم .

ثم جاءت مرحلة جديدة وأرقى انتقلت فيها الحرب المتحركة نحو المركز الرئيسي ، وتمثل ذلك في البداية في ساحة قتال واحدة فقط - حيث ظهر إلى الوجود هجوم محلي مضاد - ثم انتشرت على نطاق واسع جداً . وقد توسعت حرب العصابات خلال هذه المدة بيد انها ، على العكس من الحرب المتحركة ، تراجعت من المركز الرئيسي الى مركز أقـــل أهمية في ساحة قتال معينة في البداية ثم على نطاق أوسع بكثير .

في بعض ساحات القتـــال واجهنا مشكلات عديدة في تطبيقنا لحرب التحرير بالنظر إلى اننا لم نحزم الأمر على تطوير حرب العصـــابات الى حرب متحركة ، وفي ساحات أخرى أدى التهور في دفع الحرب المتحركة الى ترك آثار سيئة على حرب العصابات ولذا واجهت الحرب المتحركة أيضاً المشاكل . وقد انتشرت هذه الظاهرة نسبياً عندما رفع شعـار « الإعداد لهجوم مضاد شامل » بيد انه سرعان ما تم التغلب عليها بعد فترة معينة . وعلى العموم تمكنا من خلال التجارب والاختبارات من التقيد بالنسب الصحيحة السابقة الذكر الأمر الذي أدى إلى نجاحنا

وتعتبر حملة هوبنه نموذجاً للتنسيق بين حرب العصابات والحرب المتحركة على الجبهة الشمالية وكانت حملة ديان بيان فو والحملة الشتوية ـ الربيعية ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ أكثر النماذج نجاحاً في التنسيق ما بين الحرب المتحركة وحرب العصابات، بين ميادين المواجهة ومسارح العمليات في مؤخرة العدو ، بين الميدان الرئيسي والميادين المنسقة المنتشرة في كل أنحاء البلاد .

ومع وجود أشكال قتال العصابات والقتال المتحرك ، ونظراً لظروف العدو وظروفنا من حيث القوة وتشكيل الجيش والطوبوغرافيا الخ . . . ظهر على الجبهات وضع المناطق الحرة المتشابكة مع مناطق تقع تحت سيطرة العدو وتطوق بعضها بعضاً . ويوجد أيضاً في المناطق التي تقع تحت سيطرة العدو نطاق للثوار وقواعد لهم وهي ظاهرة أخرى من التشابك والتقاطع بين المناطق. إن عملية تطوير الحرب كانت في توسيع المناطق الحرة ومناطق ثوارنا بأقصى ما يمكن وتضييق المناطق التي يحتلها العدو بأكثر ما يمكن متقدمين نحو تحرير مناطق واسعة على الشمال بأكمله .

إن استراتيجية الحرب الطويلة الأمد والقاعدة الموجهة في القتال بالانتقال من حرب العصابات نحو الحرب النظامية بالتدريج مع الإبقاء على أشكال من حرب العصابات ، كانت تجارب ناجحة جداً في حربنا في التحر الوطني . تلك كانت استراتيجيات وتكتيكات حرب الشعب ، وفن السلوك العسكري في حرب الشعب والحرب الثورية لبلد زراعي صغير ومتخلف يقوده حزبنا .

وفي مسار حرب التحرير الوطني تعتبر إقامة القواعد من أجل مقاومة ثابتة وطويلة مسألة استراتيجية هامة وكذلك تجربة ناجحة جداً لحزبنا . وانها لضرورة مطلقة بالنسبة لنا أن نجري دراسة عميقة ونقيم التجارب الغنية التي تتناول هذه القضية .

إن حرب المقاومة المقدسة التي يقوم بها شعبنا قد واصلت العمل المجيد لثورة آب رافعة عالياً راية التحرير الوطني ضد الاستعمار وأثبتت بجدارة انه في ظل الظروف الدولية الحاضرة حتى الدولة الصغيرة والضعيفة تكون لديها الطاقة الكاملة لإلحاق الهزيمة بكل القوات المعتدية إذا مـــا اتحد شعبها ليقاوم تحت

قيادة طبقة عاملة مصممة على النضال من أجل الاستقلال والديموقراطية . إن هذا النضال من أجل التحرير الوطني ضمن ظروف تاريخية معينة يمكنه من خلال شكل النضال الطويل الأجل ، حرب المقاومة الطويلة ، أن يحقق النجاح .

إن حرب المقاومة الناجحة التي خاضها شعبنا وجهت ضربة عنيفة للنظام الاستعماري المتفكك وبذلك شاركت جزئياً في تحطيم المؤامرات التي يحوكها الامبرياليون ، وفي نضال شعوب العالم من أجل السلام والديموقراطية والاشتراكية .

مراكز « الدفاع الذاتي » في الحرب الشعبية

ولفرد بورشت

إن فكرة مراكز « الدفـــاع الذاتي » هي إحدى الأفكار الأصلية التي أضافها الشعب الفيتنامي إلى حرب العصابات ، وهي فكرة ملتصقة بتصوره « للحرب الشعبية » . فمعظم التكتيكات والستراتيجيات التي يستعملهـــا الفيتناميون ، خاصة عند تطبيقها في الجنوب ، غير معروفة أو يساء فهمها في الخارج وذلك لأن الفيتناميين منهمكون بالقتـــال لدرجة لم تترك لهم وقتاً للكتابة عن تجاربهم . « الدفاع الذاتي » فكرة فيتنامية مارسها الفيتناميون في حربهم ضد الفرنسيين لكنهم لم يستعملوها في الجنوب منذ ذلك الحين . أمـــا « الدفاع الذاتي » في المـــدن فهو ابتكار فيتنامي جنوبي صرف . « الدفاع الذاتي » في المدن هو امتـــداد لنظام « الدفاع الذاتي » في القرى الذي أتقنه الفيتناميون . كان « الدفاع الذاتي » ناجحاً جداً في جنوب فيتنام ، ومـــا كان لحركة المقاومة أن تصل إلى مرحلة الهجوم على المدن الحـــالية بدون تكوّن وحدات الدفاع الذاتي في القرى المحررة ، وبدون دمج مجموعات القرى المحصنة في مناطق دفاع ذاتي . إن التخلي عن فكرة الدفاع الذاتي يعني حرمان القوى الثورية من سلاح حيوي أثبت فعاليته .

ولا شك أن إقامة وحدات ومناطق الدفاع الذاتي مرحلة حتمية ومنطقية في تصور الفيتناميين الجنوبيين للحرب الشعبية . ففكرة الدفاع الذاتي جزء لا يتجزأ من الجانب السياسي والشعبي للكفاح المسلح وتلعب دوراً أساسياً في دعم النشاطات السياسية العسكرية . هذه الفكرة تخلق عند الناس روح المبادرة لتطوير أساليب وتكتيكات وحتى أسلحة جديدة ، وهي مبادرات لا تعطي ثمارها إلا إذا كان الشعب كله يشارك في المعركة .

ويمكن تطبيق مبدأ « الدفاع الذاتي » في أي مكان يهب فيه الشعب كله للمشاركة في معركة التحرير . فنجاح هذه الفكرة يعتمد على عوامل كثيرة منها أن تكون المعركة على نطاق واسع وليست جزئية ، وأن تتناول وحدة شعبية واسعة مصممة على النضال حتى النهاية . ويجب أن تكون مناطق الدفاع الذاتي كبيرة أو تكون في وضع جغرافي ملائم يسمح بالحركة للقوات المدافعة ضمن تلك المناطق ، أو أن تكون متصلة بقاعدة صلبة يمكن للقوات المدافعة الانسحاب اليها موقتاً أو المناورة فيها .

ان المثال الذي أعطاه « دبريه » حول فشل مراكز الدفاع الذاتي في بوليفيا ، ليست له خصائص تلك المراكز في جنوب فيتنام . فقد قام عمال مناجم التنك في بوليفيا ، بعد ان لعبوا دوراً رئيسياً في الإطاحة بالفئة الحاكمة ، بتحصين أنفسهم في منطقة طولها ١٥ كلم وعرضها ١٠ كلم لكنها مفصولة جغرافياً وسياسياً عن أنحاء البلاد الأخرى . وأعدت القوات الحكومية بكل سهولة حملة كبرى ضد هذه المنطقة مستعينة بالطيران وبالمظليين الذين دربهم الاميركيون واستطاعت بالتالي القضاء على المقاومة في هذه المنطقة وتطهيرها . ومع أن دبريه يحلل ضعف فكرة « الدفاع الآلي » المنعزل تحليلاً صحيحاً ، إلا أن استنتاجه أن « الدفاع الآلي » يجعل حرب العصابات حرباً تكتيكية فقط

ويجردها من أي دور استراتيجي ، وانه يضمن حماية السكان في المدى القصير لكنه يعرضهم للمخاطر في المدى الطويل هو استنتاج خاطىء .

وعلى الرغم من أن مهمة قوات الدفاع الذاتي الأساسية هي حماية قراهم وتحييد مواقع العدو القريبة منهم ، ففي حال هجوم واسع النطاق تنسق هذه القوات عملياتها ومكامنها مع قوات جبهة التحرير الوطنية لجنوب فيتنام ومع جيش التحرير الوطني ريثما يعيد الجيش تجميع قواته . لقد كانت قوات الدفاع الذاتي أفضل مدرسة لتدريب المناضلين الجدد لقوات المناطق ثم للجيش النظامي، كما ان هذه القوات مصدر دماء جديدة للجيش . كانت قوات الجيش النظامي في تطور مستمر ، وكانت كميات سلاحها تزداد بعد كل عملية ناجحة . وفي إحدى المراحل أعطت القوات النظامية لقوات الدفاع الذاتي نصف السلاح الذي غنمته من العدو ، ثم عادت وأعطتها كل السلاح الذي غنمته باستثناء الرشاشات الثقيلة والبازوكا .

وكان هناك تحسين مستمر لأساليب وتكتيكات قوات الدفاع الذاتي ، كما كان هناك تنسيق بين القرى لدرجة انه في بعض المناطق تم ربط كل القرى ببعضها بواسطة أنفاق تحت الارض .

واستطاعت وحدات الدفاع الذاتي الإجابة بسهولة على السؤال «لماذا ولمن ؟» ففي البداية كانت مهمة أفراد قوات الدفاع الذاتي محصورة في الدفاع عن بيوتهم وحقولهم ولكنهم وجدوا بعد ذلك أن من الضروري تقدمهم في اتجاه العدو لشله في مواقعه ليلاً ونهاراً ، ثم المبادرة في اللحظة المناسبة الى القضاء على مواقعه بواسطة العمليات المنسقة التي تحول مناطق الدفاع الذاتي إلى مناطق فدائيين حيث يكون الفدائيون أسياداً في الليل وأحياناً في النهار . لكن كان باستطاعة قوات العدو اختراق هذه المناطق في النهار .

وكان اذا اتضح لقوات الدفاع الذاتي انه يمكنها سحق قوات العدو في منطقتها ، تقوم هذه القوات بتحويل منطقة الفدائيين الى قاعدة للفدائيين بحيث يصبح الفدائيون أسياد المنطقة ليلاً ونهاراً ، وبحيث لا يمكن للعدو اختراق المنطقة الا بوحدات رئيسية وكبيرة . وعندما كان الجيش يطلب متطوعين من قوات الدفاع الذاتي لتطويق مواقع العدو في منطقة أو حتى في مقاطعة كان عدد المتطوعين دائماً يفوق حاجات الجيش. وتوسع نطاق القتال وأصبح واضحاً ضرورة بناء وحدات كبرى في جيش التحرير لمواجهة وحدات العدو الكبرى ، وخاصة وحدات الجيش الأميركي . كان كل هجوم للطائرات الاميركية يزيد فيض المتطوعين ، وكانت تزداد الحاجة الى التوغل أكثر لضرب قواعد الطائرات .

وكان من الواضح ان الدفاع الذاتي المسلح بالبنادق والرشاشات لا يستطيع مقاومة الطائرات، ومن ثم كان أفضل دفاع هو مهاجمة الطائرات في مطاراتها . لقد أنجبت قوات الدفاع الذاتي قادة ومقاتلين ممتازين يتحولون بمعنويات نادرة لأن كل خطوة اتخذوها كانت صحيحة وفي صالح جيرانهم وأمتهم .

إن وحدات الدفاع الذاتي في الواقع هي قاعدة الهرم الذي تقف عليه قوات جبهة التحرير الوطني المسلحة . الدفاع الذاتي من الشعب ولأجل الشعب ، ومن الصعب تصور شكل أكثر ديمقراطية للقوات المسلحة من شكل الدفاع الذاتي ، أو تصور شكل أكثر منه كمالاً للمهام التي يفرضها نضال المقاومة . تسد قوات الدفاع الذاتي النقص في سرعة تحرك وانتقال قوات جبهة التحرير الوطني الناتجة من عدم امتلاك هذه القوات لوسائل المواصلات الحديثة ومن احتكار الأميركيين للقوة الجوية . وبينما يحتاج الاميركيون لتنفيذ عملية معينة الى نقل قواتهم وذخيرتهم وطعامهم وحتى مياههم بالطائرات عبر مئات الكيلو

مترات ، نجد قوات الدفاع الذاتي في كل بقعـة من جنوب فيتنام بأكملها تحيط بالقواعد والمواقع الاميركية . وهي اذا دعت الضرورة على استعداد للتجمع السريع بمعدات كافية على ظهور رجالها لمجابهة قوات العدو المتنقلة في معركة فورية . وتعتمد قوات الدفاع الذاتي على السكان المحليين ، وغالباً ما يتكون هؤلاء من زوجاتهم وأهلهم ، في الحصول على الامدات أثناء المعركة . لقد أثبتت وحدات الدفاع الذاتي مقدرتها على صد هجمات الوحدات الاميركية الرئيسية أو على إعاقتها إلى أن يصل جنود جبهة التحرير الوطني في المنطقة لتشن معركة مشتركة مع وحدات الدفاع الذاتي ومع قوات جيش التحرير النظـــامية إذا دعت الحاجة .

٥ - افـريقيـا

الجزائر : ملامح الكفاح المسلح

لكفاح الشعب الجزائري المسلح خصائص معينة يتقاسمها مع نضال التحرير الشعبي في الصين وفيتنام وأندونيسا والمغرب وتونس – حرب تحرير وطنية في بلد زراعي لا تملك جماهير الفلاحين فيه أية أرض ، وفي بلد يضم عدداً كبيراً من العاطلين عن العمل وعدداً صغيراً من التجـــار والحرفيين . ومع ذلك فإن لكفاح الشعب الجزائري جوانبه الخاصة به أيضاً وهي :

١ – توجد طبقة عاملة جزائرية كبيرة نسبياً ومتطورة سياسياً ومنتظمة في حزب مضى على إنشائه عشرون عـاماً وله تجربة في النضـــال وله امتداده في كل أنحاء الجزائر .

٢ – السكان ذوو الأصل الأوروبي لهم أهمية نسبية أكثر مما لنظرائهم في باقي المستعمرات . ومعظمهم من العمال .

٣ – وحدة القوات الوطنية تحققت في المجـال الواقعي العملي ومن خـلال الممـارسة .

٤ – تتألف القوات الفرنسية المحتلة من عدد كبير من غير المرتزقة (الجنود المتطوعون أو النظاميون ٢٠٠،٠٠٠ – ٦٠٠،٠٠٠ جندي) بعكس الجيش الفرنسي الذي حارب في الهند الصينية مثلاً .

٥ – للوضع الجغرافي في الجزائر خصائص معينة منفصلة عن مشاكل الكفاح المسلح العادية .

كل هذه الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والجغرافية تدخل في استراتيجية وتكتيك القوات الشعبية الجزائرية المسلحة .

وتخضع الاستراتيجية العسكرية للأهداف السياسية . وقد أعلن الحزب الشيوعي الجزائري في مناسبات عديدة أهدافه : ترغب الجزائر في الاستقلال الوطني لكنها مستعدة لوقف اطلاق النار والمفاوضة على أساس الاعتراف بواقع الأمة الجزائرية . فليس من الضروري أن يكون هدف الكفاح المسلح تدمير القوات الغازية أو إحراز نصر كنصر ديان بيان فو في القريب العاجل . وقد سأل مراسل « لموند » في بونس آيرس السؤال التالي :

« هل يتطلع الفدائيون الى نصر عسكري وهل يخشون حملة جديدة في الشتاء ؟ » .

فأجابه فرحات عباس بصدق : « لم يتطلع الفدائيون أبداً إلى إحراز نصر عسكري على الجيش الفرنسي . نحن نعرف ان أمة كبرى قادرة على إبادة شعب صغير . لكن الفدائيين سوف يبقون في المعركة طالما ان أهدافهم السياسية لم تتحقق . ويمكن القول انهم قادرون على تحمل عدد كبير من حملات الشتاء اذا اضطروا الى ذلك » .

وإذن ، فالوطنيون الجزائريون لا يتطلعون الى إحراز انتصارات باهرة ، بل إلى تسديد ضربات مؤلمة ومتكررة الى القوات الفرنسية ، والى الادارة الاستعمارية وعملائها ، والى الاستعماريين المتطرفين . انهم يهدفون الى جعل

حياة المستعمرين لا تطاق . فقد أجبر الفدائيون الأسبان نابليون على مغادرة اسبانيا بدون معارك كبرى .

ومن الضروري لبلوغ الهدف وجود درجة معينة من التنظيم العسكري ، والكوادر ، والسلاح والذخيرة ، والمعرفة العسكرية . لكن الشعب الجزائري يقاتل على طريقة شعوب أخرى أثبتت انه عندما يقاتل شعب من أجل الحرية فإن موارده المادية لها قيمة أكبر مئة مرة من قوة الجيش الغاصب والمعتدي .

إن المحتوى السياسي و « الجانب النفسي » دائماً في صالح الحروب الثورية والحروب العادلة . لقد خلق موقع الجزائر الجغرافي والذي يشبه الجزيرة صعوبات في الحصول على السلاح والذخيره والتموين . لكن المبادرة الشعبية عدلت هذه الصعوبة : قـــام الناس بالإستيلاء على أسلحة العدو ، وبصنع السلاح بأنفسهم .

التكتيك العسكري يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتكتيك السياسي وبحالة البلاد الراهنة . سياسياً ، كان الشيوعيون ينصحون دائماً بوحدة كل القوى الوطنية كتكتيك ضد المستعمرين : جبهة وطنية ديمقراطية جزائرية . توحيد القوات المسلحة هو انتصار عظيم ضد المستعمرين كما ان توحيد القوى الوطنية يساعد على عزل المستعمرين المتطرفين عن العمال الأوروبي الاصـــل والذين يعتبرون المطالب الجزائرية عادلة ولا يودون العودة الى بلادهم .

واذا كان الكفاح المسلح هو الظـــاهرة الرئيسية في المسرح الجزائري السياسي ، فإنه غير منفصل عن العمل الجماهيري . فمن الأمثلة على التصرفات الجماهيرية المساندة للهدف الوطني : الاضراب العام في ٥ تموز ، التظاهرات في ١ أيار ، إضراب التلاميذ والأطفال ، وإضراب التجار والحرفيين ، ومقاطعة الدخان والكحول . إن ازدياد هذه التصرفات ونمو حجمها يضعف عدونا .

من الواضح إن هناك دوراً سياسياً لجيش التحرير الوطني وللجماعات المسلحة في الريف .

المجاهدون بشكل عام هم فلاحون متصلون بالجماهير . انهم لا يكتفون فقط بمضايقة العدو ، ونصب المكامن له ، وقتله والاستيلاء على سلاحه الخ . . . انهم أيضاً رجال لهم هدف وطني وأصحاب ضمير وطني يرغبون في السير بالمعركة على أوسع نطاق مع كل أفراد الشعب .

إنهم رجال اعلام أيضاً . فهم يشرحون صيغة الحرب وأهـــداف جيش التحرير الوطني للشعب ويقولون بأن الجيش سيحرر البـــلاد ويعطي الأرض للفلاحين . انهم في الوقت نفسه المنظمون الذين يحضرون الناس لحكم أنفسهم ، والذين يقيمون في القرى والمقاطعات الريفية أجهزة السلطة الثورية التي ستستلم الحكم المحلي بعد التحرير ، والمشاركة الشعبية هنا مصدر دعم كبير للثورة .

وفي الوقت نفسه ، المجـاهد صديق للفلاح الذي يقدم له يد المساعدة في مشاكله اليومية والذي يساعده بقدار ما تسمح به إمكاناته وواجباته العسكرية في الحصاد والأعمال الزراعية الأخرى . ويعرف المجاهد تمام المعرفة انه يصبح عاجزاً اذا أثار جماهير الفلاحين ضده . وهو يعرف ان عليه معـــاقبة الخونة والمتعاونين معاقبة صارمة ، فمعاقبة الخونة كانت دائماً مصدر إعجاب شعبي بالفدائيين كما كان الحال أثناء تحرير فرنسا ، وأثناء تحرير اسبانيا مثلاً .

أما تكتيك جيش التحرير الوطني في المدن فهو بدوره يهدف إلى مضايقة العدو: مهاجمة وقتل أو جرح رجال البوليس والجيش الفرنسي وموظفي الإدارة الفرنسية والخونة . ليس صحيحاً انه تم طرد الكفاح المسلح من الريف فانتقل الى المدن ، بل الصحيح ان الثورة نمت في الريف وامتدت إلى المدن .

لقد بين لينين أثناء الانتفاضة المسلحة في موسكو عام ١٩٠٥ كيف تخطت « حرب العصابات » في المدن فن المتاريس وقال « التنظيم الذي تحتاجه حروب

المدن هو وحدات صغيرة متنقلة سريعة الحركة تتألف كل منها من عشرة أو ثلاثة أفراد أو حتى من شخصين » وقد تبنى الثوار الجزائريون بشكل غريزي تكتيك المجموعات الفدائية في المدن .

ومن واجب الثورة « ضبط وتنظيم » التصرفات الجماهيرية ضد العدو لئلا تبدو عنصرية فاشية في نظر الأقليات في مجتمعنا وفي نظر الرأي العام العالمي .

ومن الطبيعي أن يتفهم الشخص العاقل تصرفات بعض العناصر وردود فعلهم على الاضطهاد الذي يلاقيه شعبهم لكنه لن يبرر هذه التصرفات أو ردود الفعل . السياسيون الواعون لمسؤولياتهم لا يخضعون لعفوية الجماهير . يقول الماركسيون إن الحزب الذي يحترم نفسه لا يجري وراء الجماهير بل يضع نفسه في صف القيادة ويرشد الجماهير . هذا صحيح لأن أعداء الثورة سوف يلصقون أي تصرف أو عمل جماهيري شاذ أو قاس بالثورة وذلك للقضاء على التأييد المعنوي الذي تحظى به كما ان أعداء الثورة سوف يحاولون إدخال عملائهم السياسيين والعسكريين في صفوف الثورة في سبيل تفسيخ تنظيمها وارتكاب أعمال تسيء إلى سمعتها . ولذا فإن الحذر الشديد ضرورة أساسية . لكن أفضل طريقة للتغلب على الأخطاء وعلى نقاط الضعف في الثورة هي رفع مستوى الكفاح السياسي باستمرار ، وتثقيف الجماهير الفقيرة سياسياً ، ثم تدعيم كوادر جيش التحرير الوطني بعناصر من الطبقة العاملة : من عمال الميناء ، وعمال المناجم ، وعمال النقل والعمال الزراعيين الخ . . .

دروس معركة التحرير الجزائرية

بشير الحاج علي

كيف بدأ الكفاح المسلح ؟ ما هي العوامل الداخلية والخارجية التي أدى تأثيرها التراكمي إلى إشعال شرارة الثورة ؟

كان العامل الداخلي الاول تصاعد حركة التحرير الوطنية عشية الانتفاضة التي تميزت بالعمل التنظيمي والسياسي بين الجماهير وبإضرابات العمال والفلاحين، ومظاهرت التضامن مع شعوب فيتنام وتونس والمغرب بشكل لم يسبق له مثيل في الجزائر .

وكان العامل الداخلي الثاني تعاظم التناقضات بين شعبنا والاستعمار الفرنسي. لقد تأكد الشعب الجزائري كله من عدم جدوى الوسائل « القانونية » ومن ضرورة إيجاد وسائل أخرى للقضاء على الاستعمار . وأدى ذلك إلى ظهور كتائب فدائيين تتكون من عناصر وطنية ، ومنظمة شبه عسكرية قائمة على الجناح الثوري للحزب الوطني الرئيسي في ذلك الوقت وهو « حركة انتصار الحرية الديمقراطية ». وبالإضافة الى ذلك كانت هناك كمية كبيرة من السلاح والمعدات، خاصة في القرى، تركها الحلفاء الذين نزلوا في شمال افريقيا في تشرين الثاني ١٩٤٢ .

وقد عجلت الأزمة السياسية في أوساط « حركة الحرية الديمقراطية » التي انقسمت الى قسمين ، في نمو الوعي السياسي بين الجماهير والقادة على حد سواء . ولقد فكر الثوريون الذين تركوا الحركة بإعادة الوحدة للحركة عن طريق الانتقال إلى شكل أعلى من النضال أي الثورة المسلحة .

ويمكن إضافة عاملين خارجيين الى تلك العول الداخلية وهما :

١ — هزيمة الفرنسيين في ديان بيان فو التي أظهرت للوطنيين الجزائريين ان هزيمة الفرنسيين ممكنة .

٢ — ظهور المعسكر الاشتراكي الذي كان له تأثير كبير في الجماهير ، حتى في القرى النائية ، والذي ساعد الجماهير على إدراك ضرورة إنهاء السيطرة الفرنسية الاستعمارية بقوة السلاح .

دور الطبقات والتركيب الاجتماعي

كان سكان الجزائر عشرة ملايين، ٨٠ ٪ منهم تقريباً فلاحون . ان امتلاك المستعمرين لأفضل الأراضي ترك ٦٠٠،٠٠٠ فلاح بدون أرض ، بينما كان ٤٥٠،٠٠٠ آخرين يملكون قطعاً صغيرة لا تكفي كمصدر عيش .

وهكذا كان في الريف عشية الثورة المسلحة ، مليون شخص عاجزين عن تحصيل معيشتهم ، وكان في المدن ٥٠٠،٠٠٠ عاطل عن العمل . وكان هناك أيضاً ١٢٠،٠٠٠ من التجار الصغار والحرفيين الذين أضرتهم كثيراً المزاحمة الفرنسية .

وكانت الطبقة البورجوازية المتوسطة تتألف من ١١،٠٠٠ عائلة تملك

مترات ، نجد قوات الدفاع الذاتي في كل بقعــة من جنوب فيتنام بأكملها تحيط بالقواعد والمواقع الاميركية . وهي اذا دعت الضرورة على استعداد للتجمع السريـع بمعدات كافية على ظهور رجالها لمجابهة قوات العدو المتنقلة في معركة فورية . وتعتمد قوات الدفاع الذاتي على السكان المحليين ، وغالباً ما يتكون هؤلاء من زوجاتهم وأهلهم ، في الحصول على الامدات أثناء المعركة . لقد أثبتت وحدات الدفاع الذاتي مقدرتها على صد هجمات الوحدات الاميركية الرئيسية أو على إعاقتها إلى أن يصل جنود جبهة التحرير الوطني في المنطقة لتشن معركة مشتركة مع وحدات الدفاع الذاتي ومع قوات جيش التحرير النظــــامية إذا دعت الحاجة .

٥ - افـريقيـا

الجزائر : ملامح الكفاح المسلح

لكفاح الشعب الجزائري المسلح خصائص معينة يتقاسمها مع نضال التحرير الشعبي في الصين وفيتنام وأندونيسا والمغرب وتونس — حرب تحرير وطنية في بلد زراعي لا تملك جماهير الفلاحين فيه أية أرض، وفي بلد يضم عدداً كبيراً من العاطلين عن العمل وعدداً صغيراً من التجـــار والحرفيين . ومع ذلك فإن لكفاح الشعب الجزائري جوانبه الخاصة به أيضاً وهي :

١ — توجد طبقة عاملة جزائرية كبيرة نسبياً ومتطورة سياسياً ومنتظمة في حزب مضى على إنشائه عشرون عــاماً وله تجربة في النضـــال وله امتداده في كل أنحاء الجزائر .

٢ — السكان ذوو الأصل الأوروبي لهم أهمية نسبية أكثر مما لنظرائهم في باقي المستعمرات . ومعظمهم من العمال .

٣ — وحدة القوات الوطنية تحققت في المجــال الواقعي العملي ومن خــلال الممــارسة .

٤ – تتألف القوات الفرنسية المحتلة من عدد كبير من غير المرتزقة (الجنود المتطوعون أو النظاميون ٢٠٠،٠٠٠ – ٦٠٠،٠٠٠ جندي) بعكس الجيش الفرنسي الذي حارب في الهند الصينية مثلاً .

٥ – للوضع الجغرافي في الجزائر خصائص معينـــة منفصلة عن مشاكل الكفاح المسلح العادية .

كل هذه الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والجغرافية تدخل في استراتيجية وتكتيك القوات الشعبية الجزائرية المسلحة .

وتخضع الاستراتيجية العسكرية للأهداف السياسية . وقد أعلن الحزب الشيوعي الجزائري في مناسبات عديدة أهدافه : ترغب الجزائر في الاستقلال الوطني لكنها مستعدة لوقف اطلاق النار والمفـــاوضة على أساس الاعتراف بواقع الأمة الجزائرية . فليس من الضروري أن يكون هدف الكفاح المسلح تدمير القوات الغازية أو إحراز نصر كنصر ديان بيان فو في القريب العاجل . وقد سأل مراسل « لموند » في بونس آيرس السؤال التالي :

« هل يتطلع الفدائيـــون الى نصر عسكري وهل يخشون حملة جديدة في الشتاء ؟ » .

فأجابه فرحات عباس بصدق : « لم يتطلع الفدائيون أبداً إلى إحراز نصر عسكري على الجيش الفرنسي . نحن نعرف ان أمة كبرى قادرة على إبادة شعب صغير . لكن الفدائيين سوف يبقون في المعركة طالما ان أهدافهم السياسية لم تتحقق . ويمكن القول انهم قادرون على تحمل عدد كبير من حملات الشتاء اذا اضطروا الى ذلك » .

وإذن ، فالوطنيون الجزائريون لا يتطلعون الى إحراز انتصارات باهرة ، بل إلى تسديد ضربات مؤلمة ومتكررة الى القوات الفرنسية ، والى الادارة الاستعمارية وعملائهـــا ، والى الاستعماريين المتطرفين . انهم يهدفون الى جعل

حياة المستعمرين لا تطاق . فقد أجبر الفدائيون الأسبان نابليون على مغادرة اسبانيا بدون معارك كبرى .

ومن الضروري لبلوغ الهدف وجود درجة معينة من التنظيم العسكري ، والكوادر ، والسلاح والذخيرة ، والمعرفة العسكرية . لكن الشعب الجزائري يقاتل على طريقة شعوب أخرى أثبتت انه عندما يقاتل شعب من أجل الحرية فإن موارده المادية لها قيمة أكبر مئة مرة من قوة الجيش الغاصب والمعتدي .

إن المحتوى السياسي و « الجانب النفسي » دائماً في صالح الحروب الثورية والحروب العادلة . لقد خلق موقع الجزائر الجغرافي والذي يشبه الجزيرة صعوبات في الحصول على السلاح والذخيره والتموين . لكن المبادرة الشعبية عدلت هذه الصعوبة : قـــام الناس بالإستيلاء على أسلحة العدو ، وبصنع السلاح بأنفسهم .

التكتيك العسكري يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتكتيك السياسي وبحالة البلاد الراهنة . سياسياً ، كان الشيوعيون ينصحون دائماً بوحدة كل القوى الوطنية كتكتيك ضد المستعمرين : جبهة وطنية ديمقراطية جزائرية . توحيد القوات المسلحة هو انتصار عظيم ضد المستعمرين كما ان توحيد القوى الوطنية يساعد على عزل المستعمرين المتطرفين عن العمال الأوروبي الاصـــل والذين يعتبرون المطالب الجزائرية عادلة ولا يودون العودة الى بلادهم .

واذا كان الكفاح المسلح هو الظـــاهرة الرئيسية في المسرح الجزائري السياسي ، فإنه غير منفصل عن العمل الجماهيري . فمن الأمثلة على التصرفات الجماهيرية المساندة للهدف الوطني : الاضراب العام في ٥ تموز ، التظاهرات في ١ أيار ، إضراب التلاميذ والأطفال ، وإضراب التجار والحرفيين ، ومقاطعة الدخان والكحول . إن ازدياد هذه التصرفات ونمو حجمها يضعف عدونا .

من الواضح إن هناك دوراً سياسياً لجيش التحرير الوطني وللجماعات المسلحة في الريف .

المجاهدون بشكل عام هم فلاحون متصلون بالجماهير . انهم لا يكتفون فقط بمضايقة العدو ، ونصب المكامن له ، وقتله والاستيلاء على سلاحه الخ . . . انهم أيضاً رجال لهم هدف وطني وأصحاب ضمير وطني يرغبون في السير بالمعركة على أوسع نطاق مع كل أفراد الشعب .

إنهم رجال اعلام أيضاً . فهم يشرحون صيغة الحرب وأهـــداف جيش التحرير الوطني للشعب ويقولون بأن الجيش سيحرر البـــلاد ويعطي الأرض للفلاحين . انهم في الوقت نفسه المنظمون الذين يحضرون الناس لحكم أنفسهم ، والذين يقيمون في القرى والمقاطعات الريفية أجهزة السلطة الثورية التي ستستلم الحكم المحلي بعد التحرير ، والمشاركة الشعبية هنا مصدر دعم كبير للثورة .

وفي الوقت نفسه ، المجـاهد صديق للفلاح الذي يقدم له يد المساعدة في مشاكله اليومية والذي يساعده بمقدار ما تسمح به إمكاناته وواجباته العسكرية في الحصاد والأعمال الزراعية الأخرى . ويعرف المجاهد تمام المعرفة انه يصبح عاجزاً اذا أثار جماهير الفلاحين ضده . وهو يعرف ان عليه معـــاقبة الخونة والمتعاونين معاقبة صارمة ، فمعاقبة الخونة كانت دائماً مصدر إعجاب شعبي بالفدائيين كما كان الحال أثناء تحرير فرنسا ، وأثناء تحرير اسبانيا مثلاً .

أما تكتيك جيش التحرير الوطني في المدن فهو بدوره يهدف إلى مضايقة العدو: مهاجمة وقتل أو جرح رجال البوليس والجيش الفرنسي وموظفي الإدارة الفرنسية والخونة . ليس صحيحاً انه تم طرد الكفاح المسلح من الريف فانتقل الى المدن ، بل الصحيح ان الثورة نمت في الريف وامتدت إلى المدن .

لقد بين لينين أثناء الانتفاضة المسلحة في موسكو عام ١٩٠٥ كيف تخطت « حرب العصابات » في المدن فن المتاريس وقال « التنظيم الذي تحتاجه حروب

المدن هو وحدات صغيرة متنقلة سريعة الحركة تتألف كل منها من عشرة أو ثلاثة أفراد أو حتى من شخصين » وقد تبنى الثوار الجزائريون بشكل غريزي تكتيك المجموعات الفدائية في المدن .

ومن واجب الثورة « ضبط وتنظيم » التصرفات الجماهيرية ضد العدو لئلا تبدو عنصرية فاشية في نظر الأقليات في مجتمعنا وفي نظر الرأي العام العالمي .

ومن الطبيعي أن يتفهم الشخص العاقل تصرفات بعض العناصر وردود فعلهم على الاضطهاد الذي يلاقيه شعبهم لكنه لن يبرر هذه التصرفات أو ردود الفعل . السياسيون الواعون لمسؤولياتهم لا يخضعون لعفوية الجماهير . يقول الماركسيون إن الحزب الذي يحترم نفسه لا يجري وراء الجماهير بل يضع نفسه في صف القيادة ويرشد الجماهير . هذا صحيح لأن أعداء الثورة سوف يلصقون أي تصرف أو عمل جماهيري شاذ أو قاس بالثورة وذلك للقضاء على التأييد المعنوي الذي تحظى به كما ان أعداء الثورة سوف يحاولون إدخال عملائهم السياسيين والعسكريين في صفوف الثورة في سبيل تفسيخ تنظيمها وارتكاب أعمال تسيء إلى سمعتها . ولذا فإن الحذر الشديد ضرورة أساسية . لكن أفضل طريقة للتغلب على الأخطاء وعلى نقاط الضعف في الثورة هي رفع مستوى الكفاح السياسي باستمرار ، وتثقيف الجماهير الفقيرة سياسياً ، ثم تدعيم كوادر جيش التحرير الوطني بعناصر من الطبقة العاملة : من عمال الميناء، وعمال المناجم ، وعمال النقل والعمال الزراعيين الخ . . .

دروس معركة التحرير الجزائرية

بشير الحاج علي

كيف بدأ الكفاح المسلح ؟ ما هي العوامل الداخلية والخارجية التي أدى تأثيرها التراكمي إلى إشعال شرارة الثورة ؟

كان العامل الداخلي الاول تصاعد حركة التحرير الوطنية عشية الانتفاضة التي تميزت بالعمل التنظيمي والسياسي بين الجماهير وبإضرابات العمال والفلاحين، ومظاهرت التضامن مع شعوب فيتنام وتونس والمغرب بشكل لم يسبق له مثيل في الجزائر .

وكان العامل الداخلي الثاني تعاظم التناقضات بين شعبنا والاستعمار الفرنسي. لقد تأكد الشعب الجزائري كله من عدم جدوى الوسائل « القانونية » ومن ضرورة إيجاد وسائل أخرى للقضاء على الاستعمار . وأدى ذلك إلى ظهور كتائب فدائيين تتكون من عناصر وطنية ، ومنظمة شبه عسكرية قائمة على الجناح الثوري للحزب الوطني الرئيسي في ذلك الوقت وهو « حركة انتصار الحرية الديمقراطية ». وبالإضافة الى ذلك كانت هناك كمية كبيرة من السلاح والمعدات، خاصة في القرى، تركها الحلفاء الذين نزلوا في شمال افريقيا في تشرين الثاني ١٩٤٢ .

وقد عجلت الأزمة السياسية في أوساط « حركة الحرية الديمقراطية » التي انقسمت الى قسمين ، في نمو الوعي السياسي بين الجماهير والقادة على حد سواء. ولقد فكر الثوريون الذين تركوا الحركة بإعادة الوحدة للحركة عن طريق الانتقال إلى شكل أعلى من النضال أي الثورة المسلحة .

ويمكن إضافة عاملين خارجيين الى تلك العوامل الداخلية وهما :

١ – هزيمة الفرنسيين في ديان بيان فو التي أظهرت للوطنيين الجزائريين ان هزيمة الفرنسيين ممكنة .

٢ – ظهور المعسكر الاشتراكي الذي كان له تأثير كبير في الجماهير ، حتى في القرى النائية ، والذي ساعد الجماهير على إدراك ضرورة إنهاء السيطرة الفرنسية الاستعمارية بقوة السلاح .

دور الطبقات والتركيب الاجتماعي

كان سكان الجزائر عشرة ملايين، ٨٠ ٪ منهم تقريباً فلاحون . ان امتلاك المستعمرين لأفضل الأراضي ترك ٦٠٠،٠٠٠ فلاح بدون أرض ، بينما كان ٤٥٠،٠٠٠ آخرين يملكون قطعاً صغيرة لا تكفي كمصدر عيش .

وهكذا كان في الريف عشية الثورة المسلحة ، مليون شخص عاجزين عن تحصيل معيشتهم ، وكان في المدن ٥٠٠،٠٠٠ عاطل عن العمل . وكان هناك أيضاً ١٢٠،٠٠٠ من التجار الصغار والحرفيين الذين أضرتهم كثيراً المزاحمة الفرنسية .

وكانت الطبقة البورجوازية المتوسطة تتألف من ١١،٠٠٠ عائلة تملك

٧٠٠٠ مصلحة تجارية صغيرة لا يزيد عدد مستخدمي كل مصلحة منها على خمسة عشر مُستخدماً .

وكانت البورجوازية الأوروبية تملك ٣٠،٠٠٠ مصلحة تجارية . أما البورجوازية الوطنية الكبيرة فقد كانت ضعيفة وقليلة العدد. أما الطبقة العاملة فكانت تتألف من ٣٠٠،٠٠٠ عامل دائم وموسمي معظمهم عمال غير مهرة أو شبه مهرة . وقد اتخذت هذه الطبقة العاملة أثناء النضال المسلح موقفاً معادياً للبورجوازية الأوروبية وليس للبورجوازية الجزائرية . كان غالبية العمال من القرى أصلاً أو على ارتباط بالقرى . وحتى ذلك الحين لم تكن الطبقة العاملة طبقة قائمة بذاتها . وهكذا ، لم تلعب البورجوازية الكبيرة الدور القيادي في الثورة ، إنما كان ذلك الدور من نصيب الطبقة البورجوازية الصغيرة والمتوسطة وخاصة الصغيرة ، وعلى الرغم من أن الطبقة العاملة كانت ناشطة ومنظمة في اتحادات العمال ، والحزب الشيوعي وحركة الحرية الديمقراطية ، فإنها لم تستطع أن تلعب دوراً قيادياً في الثورة وإن لعبت دوراً هاماً فيها . ولكن مع تطور حرب التحرير كان دور الطبقة العاملة السياسي ينمو باستمرار .

كان الفلاحون يؤلفون جيش الثورة الرئيسي . وكانت الحرب في الجزائر حرب تحرير شعبية ، حرباً من أجل الأرض . وقد اشترك معظم الناس ، بما فيهم النساء ، بالحرب . وشاركت كل الطبقات وكل الفئات الاجتماعية في الحرب بأشكال مختلفة ، ولكن العبء الرئيسي كان يقع على عاتق أفقر فئات الفلاحين. كان التحالف السياسي لكل القوى الوطنية ، باستثناء الاقطاعيين ، قد تحقق داخل إطار جبهة التحرير الوطني . وقد تم تحقيق تحالف القوى العسكرية من خلال جيش التحرير الوطني بقيادة جبهة التحرير الوطنية . وتم تحقيق وحدة اتحادات العمال من خلال الاتحاد العام للعمال .

نقاط ضعف واخطاء حركة التحرير

لم تخل أية حركة تضم جماهير كبيرة من الأخطاء . وهذا ينطبق على جبهة التحرير الوطني التي لن تنسى أعمالها العظيمة أبداً . بيد أنه من الانصاف أن نذكر إن أخطاء الجبهة لم تكن قط كبيرة الى درجة تعريض انتصارات الثورة للخطر . وبالإضافة الى ذلك ، اكتشفت الجبهة تلك الأخطاء في الوقت المناسب وجرى تصحيح بعضها أثناء سير المعركة . وقد قام الحزب الشيوعي الجزائري بعرض هذه الأخطاء ونقاط الضعف في رسالتين سريتين بعث بهما الى الحكومة المؤقتة في تشرين الثاني عام ١٩٥٨ ، وفي منتصف عام ١٩٥٩ (وقد جرى نشر هاتين الرسالتين بعد الاستقلال) .

عند تفحص الأخطاء التي ارتكبتها الحركة نجد انها ترجع بصورة عامة الى الظروف الموضوعية ، كالمصاعب التي كان على جبهة التحرير مواجهتها خلال الحرب مثلاً . غير أن بعضها كان يرجع الى الحركة نفسها . إن شعار « كل شيء للحرب وللكفاح المسلح » مثلاً ، شعار صحيح لكنه كان يطبق تطبيقاً ضيقاً أحياناً. فلم يفهم الناس لوقت طويل ان اعطاء الكفاح المسلح الأولوية على أي أمر آخر لا يعني بتاتاً إهمال العمل السياسي بل بالعكس ، يجب أن يرتبط الكفاح المسلح ارتباطاً وثيقاً بالعمل السياسي وأن يكون خادماً للأهداف السياسية التي تكون في مصلحة الثورة .

سنعرض الآن مثالاً . لقد أظهرت الأحداث التي تلت « معركة مدينة الجزائر » عام ١٩٥٧ ان تصورنا لتلك المعركة كان خاطئاً . أولاً : كان مقر القيادة المركزية السياسية في مدينة الجزائر . ثانياً : ميزان القوى لم يكن في صالحنا لأن نصف السكان كانوا أوروبيين ومعظمهم مناوئين لحركتنا . كانت

المدينة تعج بالجنود الفرنسيين. وبالإضافة الى ذلك ، كانت المدينة تخدم كقاعدة تموين خلفية للفدائيين العاملين في المناطق الوسطى من الجزائر كما كانت مصدر تعبئة العمال والطلاب في صفوف جيش التحرير .

لقد بدأنا معركة العاصمة كمناورة لتحويل جزء من الجيش الفرنسي العامل ضد جيش التحرير في المناطق الريفية ، وخاصة في الأوراس ، الى المدينة بغية تخفيف الضغط عن جيش التحرير . ودامت معركة مدينة الجزائر ثمانية أشهر حارب الناس خلالها بشجاعة فائقة ضد القوات الاستعمارية المسلحة تسليحاً كاملاً . ونظم العمال وأصحاب الدكاكين اضراباً دام ثمانية أيام ولكن بما ان ميزان القوى في المدينة كان في صالح المستعمرين فقد هزم الوطنيون . وقد كلفنا ذلك أرواح سبعة آلاف من المقاتلين الشباب ، وتم سحق تنظيمنا في المدينة وتفتيته كما كشفت قيادات جبهة التحرير الوطنية بعد ان تركت بدون تموين وبدون كوادر . واضطر قادة جبهة التحرير الوطنية السياسيون إلى مغادرة الجزائر، وهذا أمر له عواقب سياسية خطيرة فقد فقدت الجبهة وجيش التحرير قيادتها المركزية . ومنذ ذلك الحين أخذت مجموعات جبهة التحرير الوطنية تعمل كل بمفردها مما أدى الى تقسيم البلاد الى مقاطعات وظهرت مشاكل جديدة كان غالباً ما يجري حلها على أساس المصالح العشائرية والقبلية والعصبية المحلية لا على أساس المصلحة الوطنية .

إن صراع العشائر والتجمعات هذا ، والذي بدأ عام ١٩٥٧ نظراً لغياب القيادة المركزية وتعدد الفئات السياسية ، أدى الى تعقيد الوضع في الجزائر بعد الاستقلال وعرقل تطور الصراع الطبقي داخل جبهة التحرير الوطنية وخارجها .

أما الخطأ الجذري في هذه المشكلة فيعود إلى عدم تمكن الحركة من إجراء تقييم واقعي للعلاقات بين القـوى المختلفة ، وعدم وجود معلومات كافية عن قوة العدو وعن الأحوال العامه في العـاصمة ، وإلى عجز القادة عن رؤية أي جانب آخر للعملية غير الجـانب العسكري البحت . وكان الفشل الآخر هو التسرع وعدم الصبر . فالتسرع هو الذي جعـــل بعض القادة يطلقون شعار « ديان بيان فو جزائرية » رغم ان ذلك كان مستحيلا في الظروف الجزائرية . التسرع والنظرة الشخصية خصائص مميزة للتفكير البوجوازي الصغير . فإذا أضيفت هذه الخصائص إلى التقليل من أهمية العمل السياسي في ذلك الوقت ، أدركنا كيف كادت الأخطاء المذكورة أن تقضي على الثورة لولا تصحيحها قبل فوات الأوان .

لقد أدى التقليل من أهمية العمل السياسي إلى نقص في المعلمين وخاصة في الوحدات الفدائية ، وكانت النتيجة عدم الاهتمام اللازم بكفاح الجماهير السلمي. أما نحن في « الحزب الشيوعي » فقد شددنا على ضرورة استخدام كل أشكال النضال وكنا مستعدين للعمل الجماهيري ولمطالب اقتصادية معينة . فقد عملنا مثلا على تأسيس اتحادات التجار ، ودعمنا نضال النساء في سبيل اطلاق سراح أزواجهن من السجون ، كما دعمنا مطالبة العمال الزراعيين برواتب أعلى، ودعمنا المطالب الطلابية . ولقد هيأت أعمالنا هذه الجماهير لمعارك أكبر ودعمت الكفاح المسلح مباشرة بتحويلها انتباه البوليس إلى المشاكل المدنية .

كانت الحكومة الموقتة تمثـــل قطاع البورجوازية المستعد لإجراء تسوية وكانت تخشى الحركة الجماهيرية ومضمونهـــا الاجتماعي . ولهذا السبب منعت التظاهرات في مدينة الجزائر ومدن أخرى في كانون الاول عام ١٩٦٠ . وقد انتقدنا هذا الإجراء بشدة ودعونا إلى استمرار العمـل الجماهيري . واليوم يقر

الجميع بأن التصرفات الجماهيرية في كانون الاول ١٩٦٠ . وفي المدن الكبرى كانت نقطة تحول في حرب التحرير . لقد ساعدت تلك التصرفات على خلق الوعي الاجتماعي عند الجماهير وأعطت قوة كبرى للكفاح المسلح .

بعض الدروس

من أجل تأمين أفضل مناخ لنجاح النضال المسلح، نؤمن بأنه من الضروري:

١ ــ تكوين قيادة مركزية واحدة مع السماح بقدر من اللامركزية .

٢ ــ ربط الكفاح المسلح ربطاً وثقاً بالنضال الجماهيري السياسي .

٣ ــ دعم الحرب بالنضال في المدن ، مع المحافظة على أمن المدن كقواعد خلفية للكفاح المسلح .

٤ ــ العمل السياسي الدؤوب بين الجماهير ، وفي أوساط جيش العدو ، وبين شعب البلد الذي يشن الحرب العدوانية ، وفي أوساط الرأي العام العالمي.

٥ ــ التقدم باقتراحات عملية وغير متناقضة لإنهاء الحرب على أساس تحقيق مطالب الشعب الوطنية ، وذلك بأخذ المطالب المحددة لكل قطاع من المجتمع وربط هذه المطالب بالهدف الرئيسي .

٦ ــ استغلال التناقضات القائمة بين العدو وحلفائه، وتقوية روابط الشعب مع حلفائه الطبيعيين خارج البلاد .

التحور الوطني والبنيان الاجتماعي

بقلم اميلكار كابرال [١]

قد تختلف الحالات الأخرى عن حالتنا ، ولكن تجربتنا تعلمنا ، في إطار نضالنا اليومي ومن حيث توجيه اهتمامنا الى المشاكل التي يخلقها لنا عدونا ، ان النضال ضد أنفسنا هو أصعب أنواع النضال . ومن الأفضل لصالح شعبنا أن نقوم به الآن بدلاً من المستقبل . هذا النضال هو في الحقيقة تعبير عن التناقضات الداخلية في الواقع الاقتصادي والاجتماعي والحضاري لبلد كل منا . نحن مقتنعون بأن أي ثورة وطنية أو اجتماعية لا تفهم هذا الواقع فهماً أساسياً ، معرضة للفشل .

عندما يقول الافريقيون بلغتهم البسيطة « مهما كانت المياه ساخنة في الربيع فإنها لا تطبخ الارز » فهم يعبرون ببساطة عن مبدأ أساسي في الفيزياء وفي العلوم السياسية أيضاً . نحن نعلم ان تحرك أية ظاهرة ، مهما كانت العوامل الخارجية ، يعتمد على خصائص تلك الظاهرة الداخلية . يجب أن نذكر أنفسنا يومياً ، بغض النظر عن هوية أعدائنا ووجوه الشبه بينهم ، بأن التحرير الوطني

---

(١) المؤلف امين سر حركة التحرير الوطني المناهضة للاستعمار البرتغالي في غينيا البرتغالية .

والثورة الاجتماعية ليست بضاعة للتصدير ، بل هي نتـــاج محلي ووطني يتأثر بالعوامل الخارجية (المؤاتية أو غير المؤاتية) لكن تقررهـــا أساساً الحقيقة التاريخية لكل شعب ، ويعززها النصر أو الحل الصحيح للتناقضات الداخلية بين العناصر المختلفة التي تؤلف تلك الحقيقة . إن نجاح الثورة الكوبية ، على بعد بضع مئات من الكيلومترات في وجه أقوى وأشرس استعمار في العـالم ، ليؤيد هذا المبدأ .

إن النقص العقائدي وليس غياب العقيدة تمـاماً ، في حركة تحريرنا الوطني يشكل أكبر نقطة ضعف في نضالنا ضد الاستعمار .

وسنقدم الآن رأينـــا في هدف حركة التحرير الوطني وعلاقته بالبنيان الاجتماعي ، لأن تحليلاً كهذا يفيد حركات التحرير الوطني بمقدار مـا تفيدها المساعدات المادية والعسكرية أو أكثر .

التحرير الوطني لشعب من الشعوب هو إعادة كسب شخصية ذلك الشعب التاريخية ، إنه العودة إلى التـاريخ للقضاء على السيطرة الاستعمارية التي أخضع لها . وبالتالي لا يمكننا القول بأن هناك تحرراً وطنياً الا حين تكون القـوى الفاعلة الوطنية متحررة تماماً من أية سيطرة أجنبية . فاذا رأينا ان بقاء التحرر الوطني يتطلب تحولاً في تطوير القوى الفـــاعلة ، سندرك ان ظاهرة التحرير الوطني مساوية تماماً الثورة .

رغم ان الاستعمار والاستعمار الجديد متساويان في جوهرهما ، ورغم ان الجانب الرئيسي من النضال ضد الاستعمار هو النضال ضد الاستعمار الجديد ، فإننا نعتقد انه يجب التمييز بين الحالتين . في الواقع ، ان البنيان الأفقي للمجتمع البدائي ، في الوضع الاستعماري يجعل قيام الجبهة الوطنية العريضة الضرورية لانتصار النضال ضد الاستعمار أمراً ممكن التحقيق . ولكن هذه الإمكانية لا

تعفينا من تحليل البنيان الاجتماعي واتجاهات تطوره وتبني الإجراءات الملائمة لضمان تحرير وطني أصيل . من بين هذه الاجراءات ، وأكثرها ضرورة ، خلق طليعة موحدة تعي تماماً معنى وهدف النضال الذي ستوجهه . إن وضع القوى الرئيسية في التحرير الوطني الاقتصادي والاجتماعي وهي الفلاحون ، لا يسمح للطبقة العاملة وللبروليتاريا الريفية بالتمييز بين الاستقـــلال الوطني الحقيقي والاستقلال الوطني المزيف . الطليعة الثورية فقط ، وهي عادة أقلية فعالة هي التي يمكنها أن تعي الفارق بين الاستقلال الحقيقي والاستقلال المزيف وهي التي يمكنها أن تفهم ذلك الفارق خلال نضال الجماهير الشعبية . هذه الطليعة الواعية توضح الشكل السياسي الأساسي لحركة التحرير الوطني وتعطي إلى حـــد ما النضال التحريري الشكل الذي يتخذه .

أما في الوضع الاستعماري الجديد فإن البنيان الاجتماعي رأسي كما ان وجود سلطة سياسية تتألف من العناصر الوطنية – دولة وطنية – يزيد من حـــدة التناقضات الموجودة في المجتمع ويجعل من الصعب ، ان لم يكن من المستحيل ، قيام جبهة موحدة كالتي تقوم في الوضع الاستعماري .

فمن ناحية تسهم التأثيرات المـــادية (سيطرة التجار على اقتصاد البلاد) والتأثيرات النفسية (تعجرف الطبقة الحاكمة واستغلال زعماء قلائل لقبائلهم أو طوائفهم) في تفكيك جزء كبير من القوى الوطنية . ولكن اضطهـــاد دولة الاستعمار الجديد للقوى الوطنية ، وتعاظم التناقضات الطبقية ، والوجود الدائم لعملاء الاستعمار الأجنبي (من خـــلال احتفاظهم بامتيازات معينة ، أو بقوات مسلحة أو بتمييز عنصري) ، وازدياد فقر الفـــلاحين وتأثير القوى الخارجية ، كل هذه الأمور تسهم من الناحية الأخرى في ابقاء الشعلة القومية وفي رفع مستوى الوعي الجماهيري ، وفي إعادة توحيد معظم أفراد الشعب حول فكرة التحرير الوطني . وبالاضافة الى ذلك ومع تطور الطبقة الوطنية الحاكمة

الوطنية . ليس هناك شعب على سطح الارض كان خاضعاً للاستعمار القديم منه والجديد على السواء واستطاع أن يظفر باستقلاله (اسمياً أو فعلياً) بدون وقوع ضحايا في صفوفه . الشيء المهم هنا هو تقرير أشكال العنف التي يمكن لقوى التحرير الوطنية استعمالها ليس للرد على العنف الاستعماري فقط ولكن لضمان النصر النهائي للكفاح وتحقيق هدفه في الاستقلال الوطني الحقيقي .

تبين لنا التجارب الماضية والحاضرة في النضـــال الحقيقي من أجل التحرر الوطني في فيتنام والكونغو وزمبابوي (الاسم الافريقي لروديسيا) كما تؤكد لنا التناقضات والقفزات التي سببها العنف الدائم في بعض البلدان التي حصلت على استقلالها بالسبل السلمية ان التسويات مع الاستعمار غير عملية وان الطريق الطبيعي للتحرير الوطني الذي يفرضه التعسف الاستعماري على الشعوب إنما هو الكفاح المسلح .

ومن الواضح أيضاً ، فيما يتعلق بفعـالية ذلك الطريق ، ان استقرار الوضع بعد التحرير لا يعتمد على طريقة تنظيم النضال فقط وإنما يعتمد أيضاً على الوعي السياسي واخلاقية الذين يتولون الحكم مباشرة بعد ذهـاب المستعمرين . وتدل الحقائق على ان الطبقة البورجوازية الوطنية الصغيرة هي الطبقة الوحيدة التي تقدر على تسيير دفة الحكم في بلادنا ، وهذا في رأيي نقطة ضعف في حركة تحررنا الوطنية لأن البورجوازية الصغيرة متذبذبة نظراً لطبيعة وضعها الاقتصادي .

إن قطاع البورجوازية الوطنية الصغيره الذي يعي ضرورة التحرر الوطني ويعمل من أجله يعتبر ثورياً بنظر الاستعمار ، لكن لهذه الطبقة قطاعات أخرى مستعدة لمماشاة الاستعمار في سبيل المحافظة على امتيازاتها الاجتماعية .

ان الوضع الاستعماري الجديد الذي يتطلب تصفية « البورجوازية المزيفة » الوطنية من أجل تحقيق التحرر الوطني يعطي للبرجوازية الصغيرة ايضاً فرصة

الى طبقة بورجوازية ، فإن نمو الطبقة العـــاملة المؤلفة من عمال المدن وعمال الريف المستغلين بشكل غير مباشر من قبل السيطرة الاستعمارية ، يعطي آفاقاً جديدة لتطور التحرير الوطني . هذه الطبقة العاملة التي تملك درجة من الوعي السياسي ، مستعدة في الوضع الاستعماري الجديد لتكوين طليعة شعبية أصيلة للنضال من أجل التحرير . لكن الطبقة العاملة لا تستطيع أن تحقق رسالتها كاملة من خلال ذلك النضال (الذي لا ينتهي بالاستقلال) اذا لم تكن متحدة مع الطبقات المستغلة الأخرى كالفلاحين والبورجوازية الوطنية الصغيرة . إن تحقيق ذلك الاتحاد يتطلب تحريك وتنظيم القوى الوطنية ضمن إطار منظمة سياسية قوية .

هناك فارق هام آخر بين الوضع الاستعماري والوضع الاستعماري الجديد . ففي الوضع الاستعماري (حيث تقاتل الطبقة الوطنية قوى الاضطهاد البرجوازية المستعمرة) يمكن إيجاد حل وطني (ثورة وطنية) ، وعندما تحصل الأمة على استقلالها تتبنى ، افتراضياً ، النظام الاقتصادي الذي يلائمها . أما في الوضع الاستعماري الجديد (حيث تقاتل الطبقات العاملة وحلفاؤها ضد البرجوازية الاستعمارية وضد الطبقة الوطنية الحاكمة في آن معاً) فلا يمكن إيجـــاد حل وطني للمشكلة اذ يتطلب الوضع تحطيم البناء الرأسمالي الذي أوجده المستعمرون وتطبيق الحل الاشتراكي .

وتظهر الحقائق بشكل قاطع ان العنف هـــو أداة السيطرة الاستعمارية الأساسية . فإذا قبلنا مبدأ النضال من أجـل التحرير هو ثورة وان الثورة لا تنتهي حين يرتفع العلم الوطني فوق البلاد أو حين يعزف النشيد الوطني ، لا بد أن نوافق على انه لا يمكن أن يكون هناك تحرر وطني بدون اللجوء إلى العنف كعامل تحريري وكرد فعل على عنف المستعمرين الاجرامي وعملائهم . فكل من يعرف خصائص الاستعمار يعرف أنه في حالة دائمة من العنف المضاد للقوى

لعب دور رئيسي وحاسم في النضال التحرري . لكن في هذه الحالة تشترك في القيادة (بدرجات متفاوتة) الطبقات العاملة وعناصر « البورجوازية المزيفة » المتحلية بالعواطف الوطنية . ان دور البورجوازية الصغيرة الوطنية أساسي في معركة التحرير ، اما بسبب تفهم الطبقات العاملة لضعفها الاقتصادي والثقافي أو لأن التعقيدات العقائدية تؤثر في كفاح « البورجوازية المزيفة » الملتزمة بالمعركة . إن المهمة الملقاة على عاتق البورجوازية الصغيرة تتطلب منها وعياً ثورياً عظيماً ، ومقدرة على ترجمة تطلعات الجماهير بصدق في كل مرحلة من مراحل النضال ، كما تتطلب منها أن تلتصق بالجماهير التصاقاً وثيقاً .

ويجب أن يكون الوعي الثوري عند الطبقة البورجوازية الصغيرة عظيماً لدرجة تدرك معها هذه الطبقة انها ، كطبقة خدمات ، لا تستطيع أن تسيطر على الأسس الاقتصادية . في الواقع ، ان التاريخ يظهر انه مهما كان دور البورجوازيين الصغار مهما في الثورة فإن هذه الطبقة لم تملك قط السلطة السياسية ولا يمكنها أن تملكها لان تلك السلطة قائمة على المقدرة الاقتصادية للطبقة الحاكمة . وفي الوضعين الاستعماري القديم والاستعماري الجديد تكمن القوة الاقتصادية في طبقتين : المستعمرين والطبقات الوطنية العاملة .

للمحافظة على السلطة التي تضعها معركة التحرير الوطني في أيدي البرجوازية الصغيرة لا خيار لهذه الطبقة غير التخلي عن ميولها الطبيعية لأن تصبح بورجوازية . فاذا طورت البورجوازية الصغيرة برجوازية بيروقراطية لها صفات الوسيط أو تحولت الى « برجوازية مزيفة » وطنية تكون قد تنكرت للثورة وانحازت الى جانب الاستعماريين ، وهذه ليست سوى حالة من حالات الاستعمار الجديد تنطوي على خيانة لأهداف التحرر الوطني . ولكي لا تخون البرجوازية الصغيرة أهداف التحرر الوطني ليس أمامها سوى اختيار واحد وهو : أن تقوي وعيها الثوري ، ان تقضي على ميولها البرجوازية وعلى مخلفات عقليتها الطبقية وأن تنظر الى نفسها على انها طبقة عاملة ، والا تعارض النمو الطبيعي

لتيار الثورة . هــذا يعني انه على البورجوازية الصغيرة ، لكي تلعب دورها كاملاً في معركة التحرر الوطني ، أن تنتحر كطبقة ، وأن تنبعث كعمال ثوريين وأن تجسد أعمق تطلعات وأماني الجماهير .

ذلك الاختيار بين خيـــانة الثورة والانتحار كطبقة ، يشكل معضلة البورجوازية الصغيرة في الإطار العام للنضال التحرري الوطني . وإن حل هذه المعضلة إيجابياً ولمصلحة الثورة يعتمد على ما دعاه فيدل كاسترو اكتساب الضمير الثوري . هذا الاعتماد يجذب انتباهنا إلى مقدرة قيادة النضال التحرري الوطني على المحافظة بصدق تام على مبادىء المعركة وهدفها الاساسي. وهذا يدل ، إلى حد ما ، على ان معركة التحرر الوطني وإن كانت من حيث الجوهر سياسية ، فان ظروف نموها وتطورها تضفي عليها مظاهر اخلاقية معينة .

٦ - أميركا اللاّتينيَّة

دروس الثورة الكوبية

بقلم : تشي غيفارا

لم يكن انتصار الشعب الكوبي بقوة السلاح على دكتاتورية باتيستا انتصاراً للبطولة فقط كما قالت صحف العالم ، فقد أحدث هذا الانتصار تغييراً في المعتقدات القديمة حول تصرف الجماهير الشعبية في أميركا اللاتينية . وأظهر بوضوح مقدرة الشعوب على تحرير أنفسها ، بواسطة حرب العصابات ، من قبضة الحكومات التي تضطهدها .

قدمت الثورة الكوبية ثلاثة دروس أساسية للحركات الثورية في أميركا وهي :

١ — انه يمكن للقوات الشعبية أن تربح الحرب ضد الجيش .

٢ — انه ليس من الضروري الانتظار إلى أن تتوفر الظروف الملائمة للثورة ، فالانتفاضة نفسها تستطيع خلق تلك الظروف .

٣ — ان الريف ، في المناطق المتخلفة اقتصادياً من أميركا ، هو المنطقة الأساسية للكفاح المسلح .

والدرسان الأولان يناقضان الأسلوب الانهزامي عند الثوريين أو الثوريين المزيفين الذين لا يفعلون شيئاً والذين يتذرعون بأنـــه لا يمكن مقاومة جيش نظامي ، والذين يجلسون بانتظار توفر ظروف الثورة الموضوعية دون أن يفعلوا شيئاً للتعجيل في توفير هذه الظروف .

بالطبع يجب أن لا نعتقد أن كل ظروف الثورة ستوجد نتيجـة لتحريك الحركة الفدائية . يجب أن نتذكر دائماً أنه توجد ضرورة أولية لا يمكن بدونها إقامـــة وترسيخ أول مركز للثورة . ويجب أن يدرك الناس كذلك عقـم محاولاتهم لتحقيق أهدافهم الاجتماعية في نطاق الحوار المـدني . وعندما ترسخ قوى الاضطهاد نفسها في الحكم ضد إرادة الشعب لن يبقى هناك سلام بينها وبين الشعب . وتعبر الجماهير عن استيائها بأشكال إيجابية مختلفة . وأخيراً يتبلور موقف المقاومة من خلال قتال أو معركة يفرضها تصرف السلطات .

على أنه حين تكون الحكومة قد وصلت إلى الحكم بواسطة شكل من أشكال الانتخاب الشعبي ، سواء تم ذلك بتزوير الانتخابات أو بغير ذلك ، وعندمـا تحافظ الحكومة على مظاهر الشرعية ، لا يمكن إثارة حرب عصابات ضدها ، لأن احتمالات النضال السلمي لا تكون قد استنفدت بعد .

أما الدرس الثالث فهو ضرورة أساسية في الستراتيجية . وتجدر الملاحظة لهذا الدرس من قبل الذين يقولون ان نضال الجماهير هو في المدن ، وينسون أهمية إسهام سكان الريف في حياة الأقطار النامية من أميركا . بالطبع ، لا يمكن تجاهل نضال جماهير العمال المنظمة في المدن ، لكن يجب تحليل احتمالات قيام هؤلاء بكفاح مسلح ضد السلطات التي علقت الحريات . إن حركات العمال غير الشرعية تواجه ، في هذه الظروف ، أخطاراً هائـــلة . إن عليهم أن يعملوا بسرية وبدون سلاح . الوضع في الريف ليس بهذه الصعوبة ، فهناك أماكن لا يمكن للسلطة أن تصلها ويمكن للفدائيين العمل فيها والظفر بمناصرة الأهالي فيها .

من هـــو الفدائي

الفدائي هو مقاتل من أجل الحرية : وهو يمثل الناس في نضالهم من أجل الحرية . فحرب العصابات ليست ، كما يعتقد الكثيرون ، حرباً ضيقة النطاق تقاتل فيها مجموعات صغيرة جيشاً قوياً . حرب العصابات هي حرب الشعب كله ضد الاضطهاد الذي يلقاه . وحركة المقاومة هي طليعة ذلك الشعب ، وجيش الفدائيين يضم كل سكان المنطقة أو البلد . ذلك هو سبب انتصارهم الأكيد مهما كانت قوة الحكم الذي يريد سحقهم. الشعب هو قاعدة الجماهير وأرضها الصلبة .

ليس بالإمكان تصور تفوق مجموعات صغيرة ، مهما كانت منظمة ومسلحة وخبيرة بالمنطقة ، على جيش مجهز تجهيزاً جيداً إذا لم يساند الشعب هـــذه المجموعات . ويظهر ذلك من واقع ان كل قطاع الطرق وكل العصابات خضعت في النهاية للحكومة المركزية .

على كل عنصر في جيش الفدائيين ، وهو جيش الشعب ، أن يتحلى بصفات أفضل جنود العالم . على الجيش التقيد بالانضباط التام . وكون التنظيم الفدائي خالياً من تقاليد الجيش الرسمية كضرب الحذاء والتحية الرسمية ، لا يعني بتاتاً عدم وجود انضباط بين الفدائيين. والانضباط الفدائي يكون داخل كل عنصر . ويولد هذا الانضباط اقتناع الفدائي بأن إطاعة رئيسه ضرورية للمحافظة على

حياته قبل المحافظة على فعالية المجموعة المسلحة . وإذا كان من الممكن تصحيح أي إهمال بسيط يصدر عن جندي نظامي فإن الأمر يختلف بالنسبة للفدائي الذي هو وحدة قائمة بذاتها . ومن ثم فإن أقل إهمال أو خطأ يكون قاتلاً . وهكذا لا يجوز لأي فدائي أن يكون مهملاً أو أن يرتكب أقل هفوة لأن حياته وحياة رفاقه مرهونة بتصرفاته .

وكثيراً ما يبدو لمن هم في الخارج أن الجندي النظامي أكثر انضباطاً من أي فدائي . لكن الواقع هو أن جيش التحرير لا مجال فيه لأي ضعف إنساني، فليس لدى هذا الجيش وسائل قمع ولا استخبارات ، فلا يبقى له إذن سوى أمر واحد هو الانضباط الذاتي ووعي الواجب وتنفيذه . وعلى الفدائي ، بالإضافة إلى انضباطه ، أن يكون خفيف الحركة سريع الخاطر .

وليس في الإمكان تصور حرب فدائية ساكنة جامدة . والليل يعطي مجالاً للتحرك . يتحرك الفدائي ليلاً ويأخذ موقعاً ثم يهاجم وينسحب . ولا يكون الانسحاب بالضرورة إلى مكان بعيد عن مسرح العملية ، لكن يجب أن يكون انسحاباً سريعاً لأن العدو سوف يركز فوراً على قواته في المنطقة التي هوجمت . وسوف يبدأ بالقصف الجوي ثم يرسل وحدات خاصة لتطويق المنطقة وأخيراً يرسل جنوده لاحتلال الموقع فلا يجد فيه أحداً . وعلى الفدائيين خلق جبهة وهمية أمام العدو . يمكنهم الانسحاب مسافة قصيرة وانتظار العدو ثم ضربه والانسحاب مرة أخرى مما ينهك جيش العدو إنهاكاً بالغاً .

والفدائي ينقض من كمينه في اللحظة المناسبة . وعليه أن يعرف المنطقة معرفة جيدة . عليه أن يعرف موقع كمينه وممرات الانسحاب وبيوت أصدقائه وأعدائه في المنطقة ، وأكثر الأماكن أماناً حيث يمكن إخفاء رفيق جريح أو

حيث يمكن إقامة معسكر موقت . وهذا كله ممكن لأن جماهير الشعب ، نواة قوات الفدائيين ، هي وراء كل عملية .

إن سكان المنطقة هم الحمالون والمخبرون والممرضات ومصدر الفدائيين الجدد، وباختصار إنهم يشكلون أهم العناصر المساندة للطليعة المقاتلة .

ولقد يتساءل الفدائي « لماذا أقاتل ؟ » والجواب المقنع هو : « الفدائي هو مصلح اجتماعي . يحمل السلاح تعبيراً عن احتجاج الأهالي على مضطهديهم ، ويقاتل لتغيير النظام الاجتماعي الذي يخضع إخوته العزل للفقر والاضطهاد . إنه يقاوم النظام وهو مصمم على إزالة ذلك النظام » .

ثـــورة في الثـــورة

ريجي دوبريه

... لقد تمت معايشة انفجار الثورة الكوبية والتفكير فيـــه ، خاصة في أميركا اللاتينية ، من خلال أشكال ونماذج لها قوالب تاريخية ، تم تكريسها ومبايعتها . لذلك فإنه رغم كل الاهتزازات التي أحدثها هذا الانفجار ، فقد جاءت الضربة مخففة ... والآن وقد هدأت الجلبة ، بـدأ البحث عن المعنى الحقيقي لكوبا ، عن أبعاد درسها الذي فاتنا . إن مفهومـــاً جديداً لحرب العصابات قد رأى النور .

لقد أعادت كوبا إلى الأذهان عدة أشياء بينهـا ان الثورة الاشتراكية هي نتيجة كفاح مسلح ضد السلطة للدولة البرجوازية . هذا القانون التاريخي القديم ذو الطبيعة الستراتيجية ، إذا شئنا ، كان قد ملىء في البدء بمحتويات تكتيكية معروفة ، فبدىء بالخلط بين حرب العصابات والعصيان ، لأن النموذج الأساسي (ثورة ١٩١٧) كان قد تكون على هذا الشكل ، ولأن لينين – ومن بعـــده ستالين – قـــد وضع هذا النموذج في نظرية بعدة صيغ لا علاقة لها أبداً بالأوضاع الراهنة ، والتي يجري عبثاً تحريكها دورياً ، كتلك القوانين المتعلقة

بشروط البدء بالعصيان المتفق على أنه قفزة مباشرة إلى السلطة المركزية. ولكن سرعان ما قفز هذا الفارق إلى الأذهان. عندئذ اختلطت حرب العصابات الاميركية، مع حروب العصابات الآسيوية، ذلك ان الأمر يتعلق بحرب لا نظامية تطوق المدن انطلاقاً من الريف. وهذا الخلط أشد خطراً من الخلط الأول.

فالكفاح الثوري المسلح يلاقي شروطاً في كل قارة وفي كل بلد: ولكن هذه الشروط ليست «طبيعية» ولا واضحة، بل ان هذه الشروط بعيدة عن الوضوح لدرجة انه لا بد في كل مرة، من سنوات من التضحيات لاكتشاف هذه الشروط ووعيها..

لقد فكر الديمقراطيون الروس، بالغريزة، في إعادة تجربة «كومونة باريس» في بتروغراد، وبالغريزة أيضاً فكر الشيوعيون الصينيون في العشرينات بأن يعيدوا في كانتون تجربة اكتوبر الروسية، كما فكر الرفاق الفيتناميون، بعد سنة من إنشاء الحزب، في إطلاق مجالس السوفيات الفلاحية في عصيان مسلح شمالي البلاد، ولكننا ونحن ننظر إلى هذه الأمور اليوم، نرى انه ما كان ممكناً للعصيان على الطريقة السوفياتية أن ينجح في المستعمرات الآسيوية فيما قبل الحرب العالمية الثانية، ومن هنا اضطر أشد المناضلين الشيوعيين أصالة أن يبدأوا في اختبار وسائل جديدة لتحقيق النصر.

ومن المغري القول انه كان من حسن الحظ ان فيديل كاسترو لم يقرأ كتابات ماوتسي تونغ العسكرية قبل نزوله على سواحل «اورينتي» لأن ذلك اضطره أن يبتكر، على الطبيعة، انطلاقاً من تجربته الخاصة، قوانين عسكرية ملائمة للأرض. لقد اكتشف الثوار كتابات ماو فقط في آخر الحرب، وبعد أن أصبح تكتيكهم محدداً. ولكن ثوار أميركا اللاتينية، يعودون من جديد إلى قراءة خطب كاسترو وكتابات غيفارا بنفس العيون التي قرأوا بها كتابات

ماو عن الحرب ضـــد اليابان ، وكتابات « جياب » وبعض نصوص لينين ، ويعتقدون انهم تعرفوا إلى الكتابات الأولى من خلال كتابات كاسترو وغيفارا. وهذه هي العملية البصرية الكلاسيكية التي تسمى « الطبعة الثانيــة » ، وهي عملية خطيرة عندما يكون للحرب الثورية في أميركا اللاتينية ظروف تطور خاصة جداً ، ومختلفة لدرجة عميقة بحيث لا يمكن اكتشافها إلا من خـــلال التجربة الخاصة ، وبهذا المعنى فإن جميع الكتابات النظرية حول الحرب الشعبية قد أضرت بقدر ما أفادت. لقد أطلق علىهذه الكتابات اسم «قواعدالحرب». ولكن أليس أسهل على الذي يريد تعلم لغة بلد ما ، أن يعيش في ذلك البلد حيث يضطر للتعبير عن نفسه ، من أن يدرس هذه اللغة في كتاب ؟ إن سرعة التعلم في زمن الحرب أمر حيوي ، خاصة في اللحظات الاولى ، عندما تضطر جماعة بلا سلاح ولا خبرة تقريباً ، مواجهة غدو مسلح ومجرب ...

... كل الخطوات الثورية الحاسمة بدأت – وكان يجب أن تبـــدأ – من منطلق خاطىء ، للأسباب التي أشرنا إليها : لأن خطوط الانطلاق الموجودة هي التي تركها لنا أسلافنا ، والتي ننطلق منها حتى دون أن نعي ذلك . بل كل هذه الخطوط الخاطئة ، تبقى خطوط الانطلاق في أميركا اللاتينية أقلها خطراً . ففي كل مرة كان يكفي تصحيح الخطوة دون تغيير وجهة السير ، وتعديـــل التكتيك دون رفض الستراتيجية الصحيحة والمبـــادىء . إنها لحظة التمييز العميق بين المعسكرين ...

... إن أي خط سياسي (في أميركا اللاتينية اليوم) لا يستطيع أن يعبر عن نفسه – على صعيد نتائجه – بخط عسكري متماسك ودقيق ، لا يمكن اعتباره خطاً ثورياً .

كل خط يدعي الثورية يجب أن يتمكن من إعطاء الجواب العملي على هـــذا

السؤال : كيف يجري قلب سلطة الدولة الرأسمالية ؟ أي ، كيف يجري تحطيم هيكلها ، الجيش ، الذي تقويه يوماً بعد يوم بعثات أميركا الشمالية العسكرية .

إن الثورة الكوبية تقدم للبلدان الاميركية الشقيقة جواباً يبقى موضع دراسة في تفاصيله التاريخية : بواسطة بناء قوة استراتيجية متحركة كنواة للجيش الشعبي والدولة الاشتراكية المقبلة ، وذلك بتفاوت في السرعة ، ومن خلال حرب عصابات تشن في المناطق الريفية الأكثر ملاءمة .

... إن حرب العصابات الثورية سرية ، تولد وتتطور تحت الأرض ، والمناضلون أنفسهم يحملون أسماء مستعارة في هذه المرحلة الاولية ، تبقى مختفية عن الانظار ، فإذا قررت الظهور فسيكون ذلك في الزمان والمكان اللذين يختارهما القائد ، والعصابات الثورية في عملها وفي تنظيمها العسكري مستقلة عن السكان المدنيين ، وليس من واجبها والحالة هذه تحمل مسؤولية الدفاع المباشر عن سكان الارياف . فحماية السكان ترتكز على التدمير التدريجي للآلة العسكرية التي يملكها العدو ، وهي متعلقة بالنسبة العامة للقوى ، بحيث ان السكان يصبحون في أمان تام ، عندما تصبح القوى المعادية عاجزة عن القتال . وإذا كان الهدف الأساسي للعصابات الثورية هو تدمير الامكانات العسكرية للعدو ، فإنها لا تنتظر أن يأتي العدو إليها لتأخذ المبادرة وتنتقل إلى الهجوم — هذا الهدف يتطلب على كل حال من القاعدة الثورية أن تظل في معزل عن العائلات التي تقيم في منطقة العمليات .

أولاً : لحماية السكان من عمليات القمع التي يقوم بها الجيش . فالجيش الذي يواجه رجال عصابات متحركين ، ينتقم من الفلاحين الذين يشك بعلاقتهم برجال العصابات .

فإذا ضبط فلاح لم يزود الجيش بالمعلومات، فإنه يقتله ثم « يعمده » « رجل

عصابات » في التقرير الذي يرفعه إلى رئاسة الأركان حتى يزيـــد من القيمة «البطولية » لما يقوم به من مهام . وسرعة التحرك ، التي يتميز بها رجـال العصابات على السكان المدنيين ، تلقي على عاتقهم مسؤولية خاصة تجاه الفلاحين الذين يتعرضون ليل نهار لعمليات القمع ، والذين يشكلون الضحايا الأبديـــة البديلة . رجال العصابات إذن يمارسون السرية لسببين : الاهتمام بسلامة الفلاح بقـــدر الاهتمام بسلامة المقاتل ، السلامتان تشكلان في نهايـــة المطاف سلامة واحدة .

لهذا السبب يتجنب رجال العصابات دخول القرى ، ويتجنبون أن يكون جميع أفراد عائـــلة واحدة على معرفة بمكان وجودهم ، أو أن يتمركزوا في أرض عائلة معينة ، فإذا اضطروا إلى دخول قرية ما ، فعليهم دخول جميـع البيوت حتى يشركوا جميع العائلات في مسؤولية التعاون مع الثوار ، أو هم يعمدون إلى عدم الاتصال بأية عائلة . فإذا أرادوا عقـــد اجتماع ، تظاهروا باستعمال القوة لجميع السكان ، حتى يكون عذرهم أمـام السلطة انهم حضروا الاجتماع تحت التهديد وليس برضاهم . أما الاتصالات فتجري خارج القرية ، وفي سرية تامة ، وطبعاً خارج نطاق معسكرات رجال العصابات ، وباستعمال الوسائط غير المباشرة ، عند الحاجة ، إما بشراً أو آلات — على أن لا يعرف المخبرون والمتعاونون بعضهم ، وحتى المسؤولون في رجال العصابات ، فإن قـلة منهم يفترض فيها أن تعرف شبكات الاتصـال . وإذا طلب نصير من منطقة « محروقة » الانضمام إلى رجال العصابات فإنـه يقبل دون مناقشة ، حتى ولو وصل من غير سلاح ، الخ ...

ثانياً — لتأمين حماية سلامة رجال العصابات أنفسهم ، انطلاقاً من القاعدة الذهبية المثلثة : حرص دائم ، حذر دائم ، تحرك دائم، والقوانين الثلاثة تتعلق بمبدأ السلامة . هناك أسباب منطقية تفرض الحذر من السكان المدنيين ، فتفرض بالتالي الابتعاد عنهم .

فبالإضافة إلى وضع المدنيين الذي يعرضهم باستمرار للقمع ولوجود قوات العدو بينهم ، محـاولاً شراءهم وإفسادهم وفرض العنف على الذين لا يمكن شراؤهم، بالإضافة الى كل ذلك فإن المدنيين الذين لم يخضعوا لتدريبات وعمليات اختيار كالتي يخضع لها المقاتلون ، يكونون في منطقة العمليات أكثر تعرضـاً للرشوة ولتسلل العدو الى صفوفهم . لهذا السبب لا يمكن السماح للفلاحين، حتى أولئك المتعاونين منهم مع الثورة ، بالذهاب الى معسكرات الثوار ، التي لا يجوز لهم أن يعرفوا مكانها ، ولا مكان المخازن المختلفة ، ولا أهداف أو اتجاه القوات الثائرة التي يرون مرورها من أمامهم ...

... لا يمكن أن نفهـم كيف انه يمكن اليوم لقيادة سياسية في اميركا اللاتينية ، أن تظل غريبة عن المشـاكل التكتيكية للحرب ، كذلك لا يمكن أن نتصور ملاكاً سياسياً دون أن يكون في الوقت نفسه مـلاكاً عسكرياً . فالوضع نفسه – حالياً أو مستقبلاً – يتطلب ذلـك : ان « ملاكات » كفاح الجماهير المسلحة ، تتكون من أولئك الذين يشتركون فيها ويظهرون على الأرض كعادتهم لقيادتها . ولكن ، كم من القياديين السياسيين يفضلون أن يمارسوا يوماً بعد يوم، حياة النقابية الدولية أو أن تمتصهم عجلات الف « مؤسسة ديمقراطية دولية » ومؤسسة ، من تلك التي تهتم بشؤون استمرارها ، بدلاً من أن يبحثوا، بجدية وواقعية المسائل العسكرية المرتبطة بكفاح شعبهم ...

... لقد ثبت أن التجربة العسكرية لكفاح الشعب هي أكثر حسماً من تجربة سياسية لا علاقة لها بالعصابات من أجل تشكيل ملاكات ثورية . إن القادة الذين ينادون بتوسيع النطـاق اليوم في أميركا اللاتينية ، هم شباب ، ليس لديهم تجربة سياسية طويلة سبقت دخولهـم العصابات المقاتلة . إن من السخف الاستمرار في الحديث عن التناقض بين «الملاكات السياسية» و«الملاكات العسكرية » ، وبـين « القيادة » السياسية و « القيادة » العسكرية ، ليس باستطاعة « السياسات » الصرف ، والتي تنوي أن تظل كذلك ، أبداً أن

تخدم الكفاح المسلح للشعب ، أمـا « العسكريون » الصرف فيخدمون هذا الكفاح ، ثم من خلال ممارسة حرب العصابات ومعايشتها ، يصبحون أيضاً سياسيين . لقد أثبتت تجربة كوبا ، ومؤخراً تجربة فنزويلا ، وتجربة غواتيمالا والبلاد الأخرى ، ان التربية السياسية – حتى للبورجوازي الصغير أو الفلاح – تتم في حرب العصابات بأسرع وأعمق ممـا تتم بقضاء الوقت نفسه في مدرسة الملاكات ، وهذا على صعيد الرجال – مفعول حرب العصابات التي تتسم بشكل أساسي وكامل بالطابع السياسي. وفي ذلك ميزة مزدوجة على التربية السياسية التقليدية ، سواء داخل حزب ، أو في النضال النقابي ، أو في مدرسة وطنية أو دولية للملاكات: ففي « مراسيم الشرف » السياسية هذه، يكون البرجوازي الصغير أو الفـلاح على ثقة من انه لن يتلقى تربية عسكرية (إلا في نطاق التفاصيل) ولا يكون على ثقة من انه سيتلقى أحسن تربية سياسية ...

... إننا نشهد اليوم ، هنا وهناك ، انقلابات غريبة . كتب شي غيفارا في مقال ان حرب العصابات لم تكن غاية في حـد ذاتها ولا مقامرة جميلة ، ولكنها ليست إلا أسلوباً للوصول إلى غاية : الاستيلاء على السلطة السياسية . ولكن ها هي حرب العصابات تتحول الى خدمة غايات أخرى: أسلوب للضغط على حكومة بورجوازية ، عنصر للمقايضة السياسية ، كتلة احتياطي للأيـام السوداء ، هـذه هي الغايات التي أرادت القيادة السياسية أن تجيرها لإدارتها العسكرية ، فأصبح الأسلوب الثوري يخـدم غايات إصلاحية . عندئذ ، وبعد فترة من الجمود ، ينقلب أسلوب حرب العصابات ضد الغاية المفروضة من الخارج والتي تناقضه ، ويحدد لنفسه اتجاهـه السياسي الخاص . وحتى تنسجم مع نفسها ، تفرض العصابات الثائرة نفسها قيادة سياسية ، كأسلوب وحيد لحل التناقض والتطور عسكرياً . لنلاحظ أن العصابات الثائرة لم تطمح في أي مكان الى تشكيل حزب جديد ، ولكنها تهدف على العكس من ذلك الى أن تلغي في داخلها التمييز الحزبي أو العقائدي بـين المقاتلين . إن الحرب وأهدافها

السياسية المباشرة ، هي التي توحد . تبدأ حركة العصابات الثـــائرة بتحقيق الوحدة في داخلها ، حول المهام العسكرية الأكثر استعجالاً ، والتي هي مهام سياسية : وحدة اللاحزبيين وجميع الأحزاب الممثلة في العصابات الثائرة . إن أشد التعريفات السياسية حسماً ، هي الانتماء الى العصابات الثائرة ، الى قوات التحرير المسلحة . وهكذا يحقق هذا الجيش الصغير ، شيئاً فشيئاً ، من القاعدة وحدة جميع الأحزاب ، كلما أمنت وكلما أحرزت أولى انتصاراتهـا . وفي النهاية يقرر جيش الشعب مستقبل الحزب الذي كان من المفروض نظرياً أن يكون أداته : وفي الأساس ، فإن الحزب هو الجيش .

ألم تعرف الثورة الكوبية هذا التناقض ؟ لقد لاحظ البعض مستنكراً ان الأداة المعتادة للاستيلاء على السلطة ، الحزب ، قد تم تشكيله في حالات معينة بعد الاستيلاء على السلطة . أبداً : لقد كان موجوداً قبل ذلك ، كبذرة ، لقد كان الحزب هو الجيش الثائر . ففيدل كاسترو الذي كان مجرد قائد أعلى لجيش الثوار ، في الاشهر الاولى من سنة ١٩٥٩ ، كان في ذلك الوقت قد أصبح قائداً للحزب ، حتى ولو لم يكن كذلك رسمياً . وقد سجل صحفي أجنبي دهشته يوماً من رؤية هذا العدد من القادة الشيوعيين في لباس الميدان ، فقد كان يعتقد أن لباس الحرب والمسدس هما من مظاهر الفولكلور الثوري ، أو بشكل عام نوع من التصنع الحربي . مسكين ! لم يكن ما يراه تصنعـاً ، بل تاريـخ الثورة نفسها ، وحتماً تاريخ مستقبل أميركا . وكما ان اسم الاشتراكية قـد جاء الى الثورة بعد سنة كاملة من التطبيق الاشتراكي ، كذلك فإن اسم الحزب قد جاء بعد ثلاث سنوات من وجود حزب البروليتاريا في اللباس العسكري . في كوبا ، لم يكن الحزب هو النواة القائدة للجيش الشعبي ، كما يقول جياب عن الفيتنام ، بل ان الجيش الشعبي هو الذي كان النواة القائدة للحزب ، نواته البناءة . لقد رأى أوائل قادة الحزب النور في ٢٦ يوليو ١٩٥٣ في المونكادا : عمـر الحزب هو عمر الثورة نفسه ، وسيصبح عمره أربعة عشر عاماً ، المونكادا نواة جيش

الثوار ، وجيش الثوار نواة الحزب ، وحول النواة ، وفقط بسبب وجود هذه النواة سلفاً مع قيادتها السياسية – العسكرية الخاصة ، استطاعت أن تتجمع وتتوحد قوى سياسية أخرى ، لتشكل ما أصبح اليوم الحزب الشيوعي الكوبي ، الذي ما زالت قاعدته ورأسه تتشكلان من الرفاق النابعين من جيش العصابات .

وهكذا حققت ثورة أميركا اللاتينية ، وطليعتها الثورة الكوبية ، إضافة حاسمة الى التجربة الثورية العالمية والى الماركسية – اللينينية :

في بعض الظروف ، لا ينفصل المستوى السياسي عن المستوى العسكري ، فيكونان وحدة عضوية . وهذا التنظيم ، هو الجيش الشعبي الذي يشكل جيش العصابات نواته . وحزب الطليعة يمكن أن يوجد تحت الشكل الخاص بمركز العصابات الثائرة . والعصابات الثائرة هي الحزب في فترة الحمل .

ذلك هو الجديد الانقلابي الذي دشنته الثورة الكوبية .

... وهكذا انتهى الطلاق الذي استمر عدة عشرات من السنين بين النظرية الماركسية والتطبيق الثوري . ومهما بدا توافقهما طارئاً ورخصاً ، فإنه يتجسد في هذه العصابات الثائرة صاحبة قيادتها السياسية ...

... إذا كانت العصابات الثائرة تهدف الى حرب شعبية شاملة ، فإنها لا يمكن أن تتحمل في المدى الطويل أي تصارع أساسي في المهام والسلطات . ويدفع شي غيفارا الوحدة إلى حد يتمنى فيه أن يكون الزعماء العسكريون والسياسيون الذين يقودون النضالات المسلحة في أميركا ، « مجتمعين إذا أمكن في شخص واحد » . وسواء كانت هذه القيادة فردية ، كما عند فيديل ، أو جماعية ، فالمهم أن تكون القيادة متناسقة ، سياسياً وعسكرياً ...

المحتويـــات

صفحة

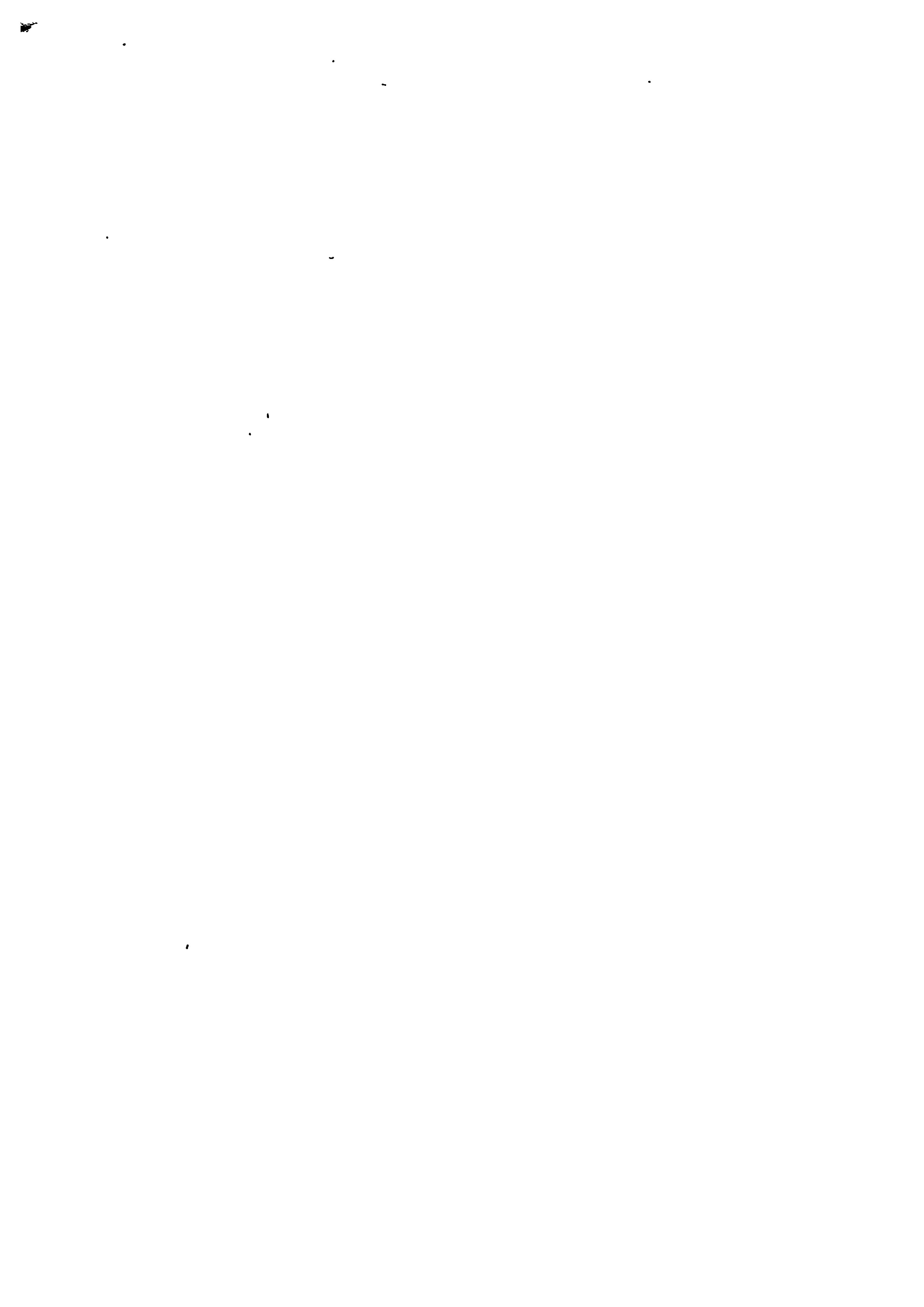
الباب الثاني : التجارب والنظريات المعاصرة

صفحة

٤) فيتنـــام :

٥) افريقيـــا :

٦) اميركا اللاتينية :



الماركسية وحرب العصابات

لقد أولت الماركسية حروب العصابات وحروب التحرير اهتماماً خاصاً انطلاقاً من فهمها للظواهر والتناقضات الاجتماعية والاقتصادية ومن خلال بحثها عن أساليب تجنيد الطاقات الثورية في المجتمع لتحقيق أهداف الطبقات المضطهدة . ويتضح من الوقائع التاريخية المثبتة في هذا الكتاب ان الحركات التاريخية تبحث عن إمكانيات وسبل العمل في ظل أصعب الظروف ، الأمر الذي يشكل حكماً قاسياً على جميع الحركات « الثورية » ولا سيما الحركات التي تخلفت عن خوض الكفاح المسلح في سبيل تحرير الأرض العربية التي احتُلَّت عنوة واغتصابا .

ان الانفتاح على الظواهر والتجارب الكفاحية العالمية يشكل ظاهرة ثورية صحية نظراً لفائدة الانفتاح على الصعيدين النظري والعملي ونظراً لما يمثله هذا الانفتاح من إدراك لوحدة قضية الشعوب المضطهدة ضد الاحتلال والتمييز والاستغلال الاستعماري .

المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير - ت ١/ ٨٠٧٩٠٠
برقياً "موكيالي" بيروت - ص.ب : ٥٤٦٠/١١ بيروت